افتتاحية العدد

للمرة الثانية يتأخر صدور «تراثيات» عن موعده، وللمرة الثانية تتماسك المجلة وتتشبث بأن تصدر مرتين فى العام، ولاترضى بأن يغطّى هذا التأخير بإصدار عددين فى عدد واحد. ولست أدرى إلى متى تستطيع المجلة أن تحتفظ بمقدرة الصمود هذه فى مواجهة الظروف الضاغطة المحيطة بعملية النشر وما يكتنفها من عقبات مادية وفنية وإدارية لادخل لنا فيها.

ومن حق قراء المجلة، وهم يمثلون صفوة من المثقفين، أن نعتذر إليهم عن هذا التأخير. ومن حق كتّاب المجلة أن نتوجه إليهم بالشكر والتقدير على ما تتسم به بحوثهم من جدّة وأصالة، وما يحرصون عليه من عمق فى الدراسة ودقة فى المعالجة.

وشكر آخر تستحقه سكرتارية التحرير على أدائها المتميز، وعلى ما تنهض به من أعباء فى إعداد مادة المجلة للطبع، وفى متابعة عملية النشر فى مراحلها المختلفة بدأب لا يكلّ.

والشكر من قبل ومن بعد لله سبحانه وتعالى على نعمه التى لا تعدّ ولا تحصى، وعلى ما حبا المجلة من قبول عند جمهور المشتغلين بالتراث والمعنيين بقضاياه.

ودعاء من الأعماق بأن يمدّ الله فى عمر هذه المجلة، وأن ييسّر لها أمورها، ويمنحها أسباب الحياة كما منحها أسباب الوجود.

رئيس التحرير

التراث العربي الإسلامي في البوسنة والهرسك

أ. عصام الشنطي(*)

(١)

توطئة:

نكأت الأحداثُ التى دارت فى منطقة البُوسْنَة والهِرْسِك، فى تسعينيات القرن الماضى، الجِراح، وأثارت شجونَ الإنسان وأحزانه، مهما كان جنسه أو معتقده. وزاد من عمق المحنة - بجانب ما جرى من سَفْك دماء وهَتْك أعراض - هذا التخريب والتدمير الذى امتدَّ إلى المؤسسات الثقافية ومساجد العِبادة، وهى مؤسسات تراثية تحظى بنظرةٍ متميِّزةٍ لدى شعب البُوسْنَة والهِرْسِك المتمسك بعقيدته، والمحبِّ لدينه.

والحق إننى قد تعلّقت بهذه المنطقة، وانفتح شأنها عندى؛ حيث أوفدتنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فى شهر يونيه (حزيران) من عام ١٩٨١م إلى مدينة سيراييڤو، العاصمة الإسلامية للمنطقة دون منازع؛ بهدف الاطلاع على المؤسسات الثقافية والحضارية الموجودة فيها، خاصة مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية، وما تحتويه من مخطوطات ونفائس؛ بغية تلمّس سبل التعاون للحفاظ على هذا التراث ورعايته وصيانته والانتفاع به[١].

ومن حُسْن الطالع أنْ عدتُ إلى مدينة سراييڤو فى شهر سبتمبر / أكتوبر من عام ١٩٨٩م على رأس بعثة لتصوير ما أختاره من مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية من مخطوطات عربية نفيسة، لصالح معهد المخطوطات العربية (التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، وقسم التراث العربى (التابع للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب فى الكويت). وقد عادت البعثة إلى مقرّها ، وفى جَعْبَتها - رغم قِصَر المدة - ٢٦٢ مخطوطة مصوَّرة من أنْفَس ما فى المكتبة[٢].

(*) خبير معهد المخطوطات العربية، مدير سابقًا.

(١) انظر : المخطوطات العربية في يوغوسلافيا، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) وضعتُ تقريرًا موجزًا عن المهمة، وقائمة مفصَّلة بالمصوَّرات، حُفِظتْ في أضابير المعهد.

(٢)

دخول الإسلام:

يعود بنا التاريخ إلى هذا الدِّين الذى استطاع أن يقرّ فى غرب أوروبا بضعة قرون فى إسبانيا (الأندلس) وصَقَلِّيّة وبعض مناطق فى إيطاليا، غير بعيدة عن مدينة روما، ولكنّ المسلمين خرجوا من هذه الديار جميعًا ومعهم دينهم الحنيف.

أما الأتراك العثمانيون المسلمون فقد دخلوا بالإسلام إلى أوروبا من جانبها الشرقى، وتوسَّعوا فى الفتوح والاستقرار إلى أن وصلوا إلى مشارف مدينة فِيَنَّا، عاصمة النمسا، وبالرغم من أن الإسلام انحسر عن كثير من هذه المناطق، إلا أنه بقى قارًا إلى يومنا هذا فى منطقتى البُوسْنَة والهِرْسِك، وبعض المناطق المجاورة الأخرى.

وكان سكان البُوسْنَة والهِرْسِك، قبل الفتح العثمانى لها، على العقيدة المسيحية، وكانت لهم دولة وملوك، ولكنَّ الإسلام بدأ يتسرَّب إلى هذه البلاد منذ عهد السلطان مراد الأول، الذى حكم من سنة ٧٦١ إلى سنة ٧٧١ هـ. وكان ملك البُوسْنَة يدفع الخراج له.

ولمَّا تولَّى السلطان محمد خان الثانى، المعروف بالفاتح، والذى حكم منذ سنة ٨٥٥ إلى سنة ٨٨٦هـ. غزا البُوسْنَة عام ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٣م لرفض ملكها دفع الجزية؛ فانتصر عليه ودانت له المنطقة بأسرها، وأسلم أغلبُ أهلها، وتلقّوا تعاليم الإسلام وحضارته ووظَّفوها فى شتّى مظاهر الحياة.

أما فتح بلاد الهِرْسِك، الواقعة جنوب البُوسْنَة، فقد تمَّ عام ٨٨٧هـ، أى بعد عشرين عاما من انتشار الإسلام فى البُوسْنَة. وهذا يعنى أن تاريخ هذا الدين فى المنطقة يعود إلى ما يزيد على خمسة قرون مضت، والفرق بين الإسلام فى شرق أوروبا عنه فى غربها واضح وجلىّ؛ فالمسلمون هنا ـ فى البُوسْنَة والهِرْسِك ـ من أهل البلاد، وليس من سبيل إلى إخراجهم من ديارهم.

وظلت هذه المنطقة جزءًا من الدولة العثمانية إلى أن احتلّتها النمسا سنة ١٢٩٥هـ. وفى عهدهم جرت محاولات لتنصير المسلمين، ودُمِّرت أملاك المسلمين الصِّرْبيين، وخرجوا من ديارهم، تاركين أموالهم، فارّين بأنفسهم.

ولمَّا قامت الحربُ العالمية الثانية، تشتّت أمر الدولة النمساوية، وقامت دولة يوغوسلافيا المستقلة التى تضم منطقة البُوسْنَة والهِرْسِك.

ونذكر دليلا على اضطهاد الدولة النمساوية لمسلمى الصِّرب، وانحسار الإسلام فى بلادهم عمَّا كانوا عليه فى العهد العثمانى: وصفَ الرحّالة «أوْليا چلَبى» للبلاد التى فتحها المسلمون فى شرق أوروبا، وهى رحلة مشهورة فصَّلت فى أحوال المنطقة فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى، إبَّان الحكم العثمانى. فذكر فى وصف بَلْغراد وهى من بلاد الصِّرْب. أنه كان فيها ٢١٧ مسجدًا، وثمانى مدارس إسلامية، وتسع دور للحديث النبوى، ومئتا مكتب لتعليم الصبيان، وسبعون مكتبة... وغير ذلك من المنشآت الإسلامية الخيرية(١)، فأين هذا كله من المسجد الوحيد الموجود فى أيامنا هذه فى بلغراد، ودار الإفتاء فيها؟! وهذا يشهد على أن ما جرى فى المنطقة ، فى سنين مضت، من غزو حاقد موجّه ضد معتقدات السكان ومذاهبهم. ليس جديدًا؛ سواء كان فى البُوسْنَة والهِرْسك، أو فى منطقة الكروات، بيدَ أن جميعهم ينتسبون إلى عرق سلافى واحد، وهم مَن يسميهم مؤرخو العرب صَقَالبة الجنوب.

وكانت هذه الغزوات الحاقدة تتجدد ما بين الحين والحين، وقد سجّل الأمير محمد على بك، فى رحلته الصيفية إلى بُوسْنَة وهِرْسِك، سنة ١٩٠٠م أحوال مسلمى تلك المنطقة. وذكر محاولات تنصير المسلمين فى أيام حكم النمسا، وما أثارته من الفتن، وتدمير أملاك المسلمين الصِّربيين والتَخلص منهم، وتعاسة المسلمين فى هذه البلاد وأحوالهم فى طرانيق (تراونيك)؛ والمناقشات التى دارت بينه وبين المتبصِّرين من المسلمين فيها، وإهمال وتدمير المساجد، وإنشاء كنيسة ودعمها وسط المساجد(٢).

(٣)

الثقافة العربية الإسلامية:

من أشهر الأعلام البارزة إبَّان الحكم العثمانى الذى يعتزّ به البوسنويون والهِرْسكيون، ويعود إليه الفضل فى تثبيت الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى المطنقة ـ الغازى خُسْرُو بك، المتوفى فى سرايیڤو عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م. وكان أبوه فرهاد (فرحات) بك بوسنوى الأصل، وأُمّه تُدعى: سلجوقة، وهى ابنة السلطان بايزيد خان، وعُدَّ عهدُه العصر الذهبى للبوسنة عامة.

كان الغازى خُسْرُو بك هذا واليًا عثمانيًا على إقليم البوسنة مدة طويلة، واشتهر

(١) نقلاً عن الجواهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة، ص ٧ - ٨.

(٢) انظر ص ١٥، ٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٩ وما بعدها من الرحلة، نقلاً عن مقدمة مُحقّق: الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة، ص ٥ - ٦ من المقدمة.

بكثرة فتوحاته فيه. وبنى فى مدينة سراييڤو مسجده الكبير المشهور، وجعل له ولسائر المدارس الدينية، والأبنية الثقفية والخيرية التى أسّسها - أوقافًا كثيرة.

وبالرغم من أن الثقافة التركية والفارسية كانت متواجدة فى المنطقة، فى العهد العثمانى، إلا أن الثقافة الإسلامية باللغة العربية كانت هى الغالبة، وانتشرت اللغة العربية فيها انتشارًا واسعًا، فظهر شعراء ومبدعون فى كتابة النثر الفنى، ومؤلفون بلغة القرآن فى مختلف العلوم الإسلامية[1]. وبلغ من انتشارها آنذاك أن سكان المنطقة المسلمين أخذوا يكتبون لغتهم السلافية بالحرف العربى، فضلا عن أن لغتهم هذه قد دخلتها بدخول الإسلام ألفاظ عربية وتركية كثيرة.

ومن أشهر مدن بوسنة النموذجية مدينة سراييڤو (سراى بوسنة)، وهى عاصمتها، وقد أسسها عيسى باى إسحاقوفيتش سنة ١٤٥٧م. أما قصبة منطقة هِرْسِك فهى مدينة موستار، ومن مدنهما الأخرى المشهورة طوزله وتراونيك. وموستار واقعة على نهر كبير، وأكثر سكانها مسلمون، وفيها مساجد كثيرة، وهى مشهورة بجسرها الكبير (قنطرة) المرتفع فى وسط المدينة.

لقد بنى المسلمون مدينة سراييڤو عند دخولهم البلاد، وهى ذات أنهار وأشجار - ونحو نصف سكانها مسلمون، وفيها مساجد كثيرة ذات مآذن بُنيت بأحجار بيضاء، تطلّ على الزائر من بعيد، فيوقن أنها مدينة إسلامية.

ويزداد الزائر معرفة بإسلامية المدينة بما تعجّ به من مؤسسات التراث الإسلامى، ففى كل جزء منها لمسةٌ واضحة من هذا التراث العريق. ومن أشهر معالمها الإسلامية مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية، ومسجده الكبير المسمّى باسمه، وكلية الدراسات الإسلامية، والمدرسة الثانوية الإسلامية للبنين، وأُخرى مثلها للبنات.

وجميع هذه المؤسسات فى العاصمة، وفى غيرها من المدن والقرى الأخرى تابعة للمَشْيَخَة الإسلامية، التى تنفق عليها من ريع أوقاف المسلمين فى المنطقة، ومن تبرعاتهم السخية. ويرأس هذه المشيخة رئيس العلماء، ومقرّه مدينة سراييڤو، وهى التى تدير شؤون المسلمين عامة فى البوسنة والهِرْسِك، بل المسلمين فى المناطق الأخرى.

(١) انظر تراجم عشرات منهم فى: الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة.

(٤)

المخطوطات الإسلامية:

أ - مكتبة الغازى خُسْرو بك الإسلامية:

تعود نشأة هذه المكتبة ، الواقعة فى العاصمة ، إلى عهد الغازى خُسْرُو بك، فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى). ففى الوقت الذى بنى فيه مسجده الكبير، بنى بجواره مدرسة عالية لتعليم العلوم الإسلامية. وأنشأ هذه المكتبة عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م لتكون مكتبةً لمدرسته، تخدم الطلاب والمتردّدين عليها من المشاركين بالعلوم. وأوقف لها المخطوطات النفيسة. ومن الطريف أن لدى المكتبة عند زيارتى إيَّاها مخطوطة فى الفقه، وهى «الغُنْية فى الفتاوى» لـ محمود بن أحمد القونوى، المتوفى ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، مثبتًا عليها أنها من وقف الغازى خُسْرُو بك، أوقفها لمدرسته بسراييفو المحروسة.

وفى عام ١٨٦٣م انتقلت المكتبة إلى بناء خاص شُيِّد ملاصقًا للجانب الغربى من مسجد الغازى خُسْرُو بك، خلف مئذنته. ولما كثرت كتب المكتبة وضاق عنها مكانها، انتقلت فى عام ١٩٣٥م إلى مبنى آخر أمام مسجد السلطان بالمدينة، وهو مبنى كان قد شُيِّد عام ١٨٩٦م فى عهد الاحتلال النمساوى، والذى تشغله المكتبة إبَّان زيارتى للبلاد فى المرتين. وتبلغ مطبوعاتها الحالية نحو خمسين ألف كتاب.

ولاشك فى أنّ المكتبة كانت تزخر قديمًا بالمخطوطات، إلا أنها تعرّضت فى سالف الأيام إلى التخريب والنهب والحريق. ونذكر من هذه الأحداث غارة الأمير أُوجَن سافويسكى النمساوى على المدينة سنة ١٦٩٧م، عندما حُرق جزء منها.

ويبلغ عدد مخطوطاتها فى الوقت الحاضر ما يربو على ١٥ ألف مخطوطة، وجميعها كتبت بالحرف العربى، لكنها بلغات متعددة؛ كاللغة العربية، والتركية، والفارسية، واليوغسلافية (الصِّرْبية والكرواتية). وتشكّل المخطوطات العربية فيها ما يزيد قليلاً على ٧٠٪ من مجموعها العامّ. وجميع هذه المخطوطات فى العلوم الإسلامية المعروفة، ففيها: الموسوعات، والمصاحف، وعلوم القرآن، وعلم الحديث، والعقائد، والأدعية، والأذكار، والفقه، والأخلاق والمواعظ، والتصوف، والحكمة والفلسفة، وعلوم اللغة والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والطب والبيطرة، والعلوم الطبيعية والرياضيات.

ولسنا هنا بصدد أن نعدّ نفائس هذه المكتبة من المخطوطات. وحسبنا أن نذكر بعض الأمثلة القليلة منها[1]: ففى المكتبة مجموعة من المصاحف، منها القديم ومنها

(١) لينظر من أراد تفصيلاً فى: المخطوطات العربية فى يوغسلافيا، عصام محمد الشِّنْطى، ص ١٣ وما بعدها.

المتأخر، ومن أقدمها ما كتب فى القرن التاسع الهجرى، وهى فى مجموعها تحفة فنية نادرة؛ فالورق من أنواع ممتازة معتنى بصناعته، والخطوط مجوّدة، والجدولة والزخرفة طُعِّمت بماء الذهب، والألوان متناسقة ومتنوعة، وكذلك الأحجام.

ومن المدهش أن لدى المكتبة مصحفًا بخطّ الحافظ إبراهيم شيهوفيتش، إمام مسجد الغازى خُسْرُو بك فى سراييڤو وخطيبه، كتبه سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وهى النسخة الثانية والثلاثون التى كتبها بخطّه. والمعروف أن الحافظ إبراهيم هذا كان يعكف على كتابة المصاحف فى عناية تامّة، إلى أن سطَّر منها ونمَّق ستةً وستين.

وأذكر من أمثلة النفائس مخطوطة «تاريخ التراجم فى تفسير القرآن للأعاجم»، (الجزء الثالث منه) لـ شاهفور، أبى المظفر طاهر بن محمد الإسفرايينى، المتوفى ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، والنسخة كُتبت سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م. ومنها «شرح الكليّات» (الكليات من كتاب القانون فى الطب لابن سينا)، لـِ إبراهيم بن على بن محمد السلمى، المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. كُتبت سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، أى فى حياة الشارح.

وما إن نصل إلى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حتى نجد مخطوطات لمؤلفين محليّين، من مشاهيرهم حسن كافى الأقْحِصارىّ[1] البوسنوى، المتوفى سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م. وكان قد رحل إلى إستانبول لإكمال تعليمه، فدرس على عدد من علمائها. وكان قاضيًا ومدرِّسًا ومجاهدًا يشارك فى القتال. وصنَّف بالعربية مؤلّفات عديدة فى مختلف العلوم، وله شعر بالعربية رصين. ووضع كتابًا عام ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م، ذائع الصيت، تناول فيه شؤون المجتمع والسياسة، وأسماه «أصُول الحكم فى نظام العالَم»، وقدَّمه إلى السلطان العثمانى آنذاك بقصد تحسين الأوضاع فى الدولة والعالم، وترجمه إلى التركية بناءً على طلب السلطان. كما ترجم فيما بعد إلى لغات أوروبية عديدة، كالألمانية والفرنسية. وترجم - أيضًا - إلى اللغة البوسنوية. وتعود أهميته لما فيه من تصوير الأوضاع السائدة فى الدولة العثمانية، وإرهاصات وإشارات لبدء تفككها.

وممن يفخرون به فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) العالِم مصطفى بن يوسف بن مراد المُوسْتارِىّ، المعروف بالشيخ يويو[2]، المتوفى ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م. وكان مفتيًا ومدرِّسًا بمدينة موستار، عاصمة إقليم الهِرْسك، وله ما يقرب من

(١) منسوبًا إلى مدينة أقْحِصار التى وُلد فيها، ويسميها أهل تلك البلاد «أبروساج». وترجمته فى الجوهر الأسنى: ص ٦١ - ٧١، وانظر: كشف الظنون ١/ ١١٣ - ١١٤، ٢/ ١٨٢٣ وما بعدها، والأعلام ٢/ ١٩٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٥٥٦.

(٢) ترجمته فى: سلك الدرر ٤/ ٢١٨ - ٢١٩، وكشف الظنون ٢/ ١٦٥٧، والجوهر الأسنى ص ١٧٩ - ١٨٢، والأعلام ٧/ ٢٤٧.

عشرين مؤلَّفًا وضعها بالعربية فى مختلف العلوم، وكان يحرص أن يكتب مؤلفاته بخطِّ يده، ولدى المكتبة منها اثنتا عشرة مخطوطة.

ولا تخلو مجموعة المخطوطات التركية بالمكتبة من فوائد، بعضها فى تاريخ مدينة سراييڤو السياسى والأدبى والثقافى، خاصة منذ دخول الأتراك إليها، كمجموعة باش اسكى الشهيرة لواضعها مولى مصطفى باش اسكى السرايى، المتوفى ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. والمخطوطة كُتبت بخطّ المؤلف، و«تاريخ بوسنة»، فى أربع مجلدات، لواضعه الموقِّت صالح حاج حسينوفيتش، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م.

وكذلك «تاريخ أنورى»، وهو فى عشرة آلاف صفحة (٢٨ مجلدةً)، لواضعه محمد أنور قاضيتش السرايى، المتوفى ١٩٣١م، وهو بخطّه. وجمع فيه مادة ضخمة وقيِّمة مستفيدًا من وثائق القضاة وسجلاتهم، ومختلف المصادر العربية والتركية والفاريسية واليوغسلافية.

ونلقى فى المكتبة ستة آلاف وثيقة تاريخية مهمة، منها مجموعة وثائق قضاة مدينة سراييڤو وسجلات المحاكم الشرعية، باللغة التركية، يتخلَّلها وقفيات باللغة العربية. ولايخفى ما لهذه المخطوطات والوثائق من فائدة محلية؛ لأنها تكشف عن تاريخ المنطقة، وانتشار الإسلام فيها، ونشاطها الأدبى والثقافى، وحياة المسلمين الاجتماعية وعلاقاتهم وعاداتهم، وظروفهم الاقتصادية، كل هذا بتصنيف مؤلفين من المنطقة عاشوا أحداثها وسطّروها بخطّهم.

ب - مكتبة معهد الدراسات الشرقية:

لا تقتصر المخطوطات العربية فى سراييڤو على مكتبة الغازى خُسْرُوُ بك الإسلامية، فمنها - أيضًا - ما هو فى مكتبة معهد الدراسات الشرقية الذى أنشئ عام ١٩٥٠م. وتقدر المخطوطات الإسلامية التى فى حوزته، حين زرته فى صيف ١٩٨١م، نحو ٤٨٥٠ مجلدة، تحتوى على سبعة آلاف عنوان. وتعود مصادر هذه المجموعة إلى ما ألحق به من متحف سراييڤو الحكومى، ومجموعة كلية الآداب التابعة للجامعة، كما نَمَّوْا مجموعتهم بالشراء.

وتبلغ المخطوطات العربية من بين مجموعة المعهد نحو ٥٠٪، أما المخطوطات التركية فهى نحو ٤٠٪، والفارسية نحو ٨٪، واليوغسلافية بالحرف العربى نحو ٢٪.

والمخطوطات فيه مصنفة على عشرين موضوعًا، غالبها فى العلوم الإسلامية المعروفة. ولديهم مصاحف قديمة، بعضها لها قيمة فنية عالية. وأقدمها كُتب فى القرن الثامن الهجرى (١٣٦٨م). ولديهم مجموعة من المصاحف كُتبت بأيدى محليين، منها

مصحف كتبه جعفر بن محمد الأقْحِصارى، وهو بوسنوى، بخطٍّ مجوَّدٍ لافتٍ للنظر، مع ترجمة معانى الآيات بين السطور باللغة التركية.

ومنها ـ أيضًا ـ دواوين شعر لمحليين من سراييڤو، ومجموعة فتاوى لبوسنويين، منها ما هو بخطّ المفتى نفسه وتوقيعه، من القرن الثانى عشر الهجرى (القرن الثامن عشر الميلادى).

جـ - المكتبة الوطنية والجامعية العامَّة:

تقع هذه المكتبة فى وسط المدينة على مقربة من مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية. وهى مكتبة وطنية وجامعية، يتردد عليها مثقفون وباحثون ودارسون، وطلبة جامعة سراييڤو، لأن الجامعة ليس لها مكتبة خاصة بها.

وحين زرتُها لاحظت أنها فى مبنى ضخم، كان قد بُنى للمجلس البلدى سنة ١٨٩٦م، فى عهد الحكم النمساوى. وهو على الطراز الإسلامى الأندلسى. وقد تحوَّل إلى مكتبة منذ عام ١٩٤٥م.

فى المكتبة مخطوطات صِربية قديمة جدًا، وكذلك مخطوطات المانية. أما المخطوطات الإسلامية فعددها خمس مئة مجلدة، تحتوى على ٦٤٨ كتابًا ورسالة، ليس فيها من المخطوطات الفارسية عددًا إلا ثمانى عشر، وبوغسلافية بالحرف العربى عشر، والأغلبية الباقية ما بين مخطوطات عربية وتركية، ٧٠٪ منها بالعربية.

لقد نمت مجموعة المخطوطات الإسلامية فى المكتبة بالشراء. وهى فى ظروف حفظ جيدة، وإن لم أشاهد قاعة الحفظ لاعتذارهم عن عدم مشاهدتها. ولدى المكتبة سجلٌّ بالمخطوطات، وجذاذات. وفيها أجهزة تصوير يستطيع الباحث أن يصوِّر منها ما يشاء لقاء نفقات مقبولة. ولم يصدر عن المكتبة فهرس وصفى لمحتوياتها؛ مما يبقيها فى طىّ الكتمان والنسيان.

لدى قسم المخطوطات إحصاء دقيق عن المخطوطات الإسلامية، مقسمة على وفْق الموضوعات. وهى فى الغالب فى العلوم الإسلامية المعروفة، وفيها فتاوى وصكوك. ومن هذه المجموعة مقدار من المصاحف متقدمة الكتابة ومتأخرة، مجوَّدة الخط، ومذهبة، ومجلدة محليًا بزخارف إسلامية؛ مما يجعل لها قيمة فنية عالية لدى الدارسين المتخصصين.

ومن أقدم مخطوطات هذه المكتبة مخطوطة «نزهة القلوب فى تفسير غريب

القرآن»، لأبى بكر زين الدين محمد بن عُزَيْر السِّجستانى، المتوفى ٣٣٠هـ/ ٩٤١م، وكُتبت النسخة سنة ٨٤٥هـ، وهى بحالة جيدة. وكذلك مخطوطة «مجمع البحرين وملتقى النيرين»، فى الفقة الحنفى، لمظفر الدين أحمد بن على بن تغلب بن السَّاعاتى البغدادى، المتوفى ٦٩٤هـ، وكُتبت النسخة سنة ٨٩١هـ. ومخطوطة «مراح الأرواح»، فى علم الصرف، لأبى الفضل أحمد بن على بن مسعود، من رجال القرن الثامن الهجرى، وكُتبت النسخة سنة ٩١٢هـ.

ومن مخطوطات المؤلفين المحليين، مثل حسن كافى الأقْحِصارِىّ البوسنوى، المتوفى ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م، نسخة من مخطوطة «أصول الحكم فى نظام العالم» الذى أتينا على ذكره، وفصّلنا بعض القول فيه، عند الحديث عن ذخائر مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية. وللمؤلف نفسه فى المكتبة مخطوطة باللغة العربية هى «أزهار الرَّوضات فى شرح روضات الجنَّات فى أصول الاعتقادات». وله كذلك مصنَّف «نور اليقين فى أصول الدين».

ونذكر ـ أيضًا ـ من المؤلِّفين المحليين إسماعيل عبد الكمال بن وليد التراونيكى (نسبة إلى مدينة تراونيك فى إقليم البُوسْنَة) الذى عاش فى القرن الثامن عشر الميلادى، ووضع كتابًا باللغة العربية، أسماه «النملية فى إظهار القواعد الصرفية والنحوية»؛ مما يدلّ على أن تعلّم اللغة العربية وقواعدها الصرفية والنحوية كان شائعًا فى المنطقة فى عهده.

د - دار المحفوظات:

وفى مدينة سراييڤو دار حكومية للمحفوظات (أرشيف)، فيها بعض المستندات والوثائق التاريخية التى تعود إلى العهد التركى فى المنطقة. ويُذكر أن لدى هذه الدار قسمًا لصيانة محفوظاتها ومستنداتها ووثائقها.

هـ - مجموعات أخرى فى غير مدينة سراييڤو:

استطاعت دار المحفوظات الحكومية بمدينة موستار، التى تبعد عن سراييڤو ١٣٠ كم، أن تشترى خلال ٢٣ سنة مضت (من عام ٥٤ – ١٩٧٧م) ٧٥٦ مخطوطة إسلامية باللغات الشرقية (العربية، والتركية، والفارسية). وقد تمَّ شراء غالبها من عائلات مسلمة تقطن فى مدينة موستار، وبعضها اشترتها من مدن أخرى داخل إقليم الهِرْسك.

وأكثر هذه المخطوطات باللغة العربية، وكثير منها فى الفلسفة والفقه والعقائد

والنحو والصرف والمعاجم. ومن بينها مخطوطات ذات وقائع تاريخية مهمة للمنطقة، وبعضها ذات نسخ فريدة. وفى الأعشاب الطبية، ووصفات لصنع أدوية مختلفة، وإرشادات فى صنع حبر ذى جودة متميِّزة، ومعلومات عن أسعار المواد الغذائية فى فترة سابقة، وعدد وافر من الفتاوى، ودواوين شعر لأبناء هرسْكيين نظموا الشعر - فى عهد الحكم العثمانى - باللغة التركية.

ويُذكَر أن دار المحفوظات هذه أصدرت عام ١٩٧٧فهرسًا بما لديها من مخطوطات باللغات الشرقية، طبعته فى مدينة موستار ذاتها.

ولاشك فى أن المخطوطات العربية مبعثرة فى المنطقة وموزعة على مكتبات عامة وخاصة وبيوت كثيرة. وقد نمى إلى علمى أن مدنًا أخرى فى مناطق غير ما ذكرتُ لا تخلو من مخطوطات إسلامية كمدينة برشْتِنَه فى جمهورية صرْبيا، ومدينة سكوبيا عاصمة جمهورية مكدونيا، ومدينة زَغْرِب التى يحتوى فيها القسم الشرقى من المعهد التاريخى التابع لأكاديمية العلوم والفنون اليوغسلافية على مجموعة من المخطوطات الشرقية تُقدَّر بنحو ثلاثة آلاف مخطوطة. فضلا عمَّا فى بلغراد من مخطوطات فى مكتبة الجامعة، وفى دارالمحفوظات التابعة لأكاديمية العلوم والفنون الصربية.

ويلفت النظر أن غالب مخطوطات هذه المنطقة كُتب باللغة العربية، وكثير منها فى علوم اللغة العربية وآدابها؛ لأن العربية كانت لغة العلم والأدب، ولغة العلوم الدينية والثقافية العربية. أما اللغة التركية العثمانية (بالحرف العربى) فانحصرت - فى الغالب - فى المحاكم والدوائر الرسمية وبعض الفتاوى، بالإضافة إلى وفرة المادة التاريخية فيها. مع وجود بعض المخطوطات الفارسية (بالحرف العربى) فى الشعر الفارسى عامة، وفى التصوف منه خاصة ، وتحتوى بعضها على صور يدوية ملوّنة دقيقة ذات قيمة فنيّة رائعة.

وتدل كثرة مخطوطات المنطقة فى الفقه، على أن الشريعة الإسلامية ظلت هى الغالبة فى العلاقات بين مسلمى هذه البقاع، برغم الاحتلال النمساوى فيما بعد.

ولا يفوت المطّلع على هذه المخطوطات أن قسمًا منها جُلب من المشرق أو شمال إفريقيا على أيدى طلاب العلم، وحجّاج هذه المنطقة وتُجّارها. كما لا يفوته ما يوجد بين هذه المخطوطات من منسوخات بأيدى نُسَّاخ محليين، وقد بلغت من الكثرة أن نجد منها ما هو خارج المنطقة من مثل مكتبات فْينّا واستانبول وبرلين وباريس وأُبسالا؛ الأمر الدالّ على أن الحركة الثقافية - دون شك - كانت تتطلب هذا النشاط.

ولا يفوته - أيضًا - ما يوجد بين هذه المخطوطات من مصنفات لمؤلفين مسلمين محليين، كثرت أسماؤهم وشاعت مؤلفاتهم فى مكتبات المنطقة، وقد أتينا على ذكر طرف منهم؛ مما يشهد على نشاط حركة التأليف والثقافة فى هذه الديار. وهذا خلاف أساسى بين مخطوطاتها ذات العلاقة القوية بالثقافة الإسلامية والمتأثرة بها، وبين مخطوطات أوروبا الغربية التى نُقلت إليها نقلاً.

أما خطوط هذه المخطوطات، وفى مقدمتها ما نُسخ فى المنطقة، فلم يأخذ طابعًا مميّزًا، فهى خطوط مشرقية معروفة. ولم ينتشر لديهم الخط المغربى أو الأندلسى. وعرفوا خط الرُّقعة الذى كان منتشرًا بين المثقفين. وكان خط النَّسْخ يستخدم فى مجالات الدراسة والتعليم. وكُتبت المصاحف غالبًا بخط الثلث المجوَّد، متأثيرن بتطور الخط العربى وتجويده على يد الأتراك العثمانيين. وعرفوا - أيضًا - الخط الديوانى، خاصة ما كُتب به من دواوين الشعر الفارسى.

ويُذكَر أنهم طوَّعوا الحرف العربى للغة اليوغسلافية، واتسعت هذه الحروف للغتهم، بوضع علامات على بعض الحروف لتناسب بعض الأصوات غير الموجودة فى اللغة العربية؛ ولهذا وجدنا مخطوطات باللغة الصِّرْبية والكرواتية كتبت بالحرف العربى.

وتتحلَّى كثير من المخطوطات بأغلفة جلدية بعضها ذات ألسنة، وتحمل زخرفة ومنمنمات مذهبة بفنية قيِّمة، وهى زخارف إسلامية تقليدية، بعضها بشكل الدنانير والنجوم وعناقيد العنب، ولا تحمل طابعًا خاصًا مميزًا متأثرًا بالبيئة المحلية، بالرغم من أن هذه الأغلفة كانت تصنع فى المنطقة.

ويبدو أن دباغة الجلود لدى المنطقة بلغت شأوًا عاليًا، وكانت من الصناعات المهمة المتطورة. ومن الطريف أنه مازال فى وسط مدينة سراييفو، وعلى مقربة من مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية، مسجد خاص بالمصلّين من الدبّاغين يحمل اسم صنعتهم، ربما لما يتميزون به من روائح خاصة من أثر هذه الصنعة.

كما يبدو أن صنعة تجليد الكتب كانت متطورة ورائجة؛ إذ مازال فى سراييفو شارع فى وسط المدينة القديمة يحمل اسم: «المجلِّد الكبير»، وآخر اسمَ: «المجلِّد الصغير». ونحن نعلم أن التأثيرات العربية فى أوروبا امتدت إلى فن تجليد الكتب. والمعروف أنه يرجع إلى العرب الفضل فى إدخال صناعة الورق إلى أوروبا. وكان لهم كذلك فضل فى توجيه العناية إلى التجليد وإلى زخرفة جلود الكتب. ومن المؤكَّد أن الأوروبيين أخذوا عنهم كذلك طريقة تزويد جلدة الكتاب بلسان؛ لحماية أطراف المخطوطات الخارجية.

وأخذ الأوروبيون من العرب طريقة تذهيب المجلدات بإذابة صفائح ذهبية فى الفراغات الناتجة عن ضغط الزخارف وكبسها. وكانت هذه الطريقة قد ابتكرت فى قرطبة، وانتقلت إلى أوروبا، وشاع استخدامها منذ القرن الخامس عشر الميلادى. وكذلك كان فى مدينة البندقية مركز هام للتجليد، وكان القائمون بالعمل فيه صناعًا مسلمين، وإليهم يرجع الفضل فى إحياء طرق التجليد الإسلامية واستمرارها فى أوروبا، وبلوغها شأوًا كبيرًا فى العصور الحديثة. وفى رأيى أن سراييڤو الإسلامية ذات الاثنتين وسبعين مسجدًا ومئذنة، والتى لا تبعد كثيرًا عن البندقية - كان لها أثر واضح فى هذا الميدان.

ويلفت نظر الباحثين أن موضوع أثر الثقافة العربى الإسلامية فى أوروبا عن طريق هذه المنطقة مازال بِكْرًا، ولا شك فى أن حفظ التراث العربى الإسلامى هناك، وإحياءه وتيسيره للباحثين والدراسين، وتنمية هذه الثقافة - لكفيل أن يكشف عن هذا الأثر واتجاهاته وخصوصياته.

(٥)

العِمارة الإسلامية:

إنَّ المتجوّل فى منطقة البُوسْنَة والهِرْسِك يرى الشاهد تلو الشاهد على انتشار العِمارة فيها ذات الهُوِيَّة الإسلامية، من أبنية دينية وثقافية واجتماعية، كالمساجد والقلاع والحصون وخَزانات الكتب والقصور. فمنذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد بدأ يبزغ طراز معمارى فريد، شاع فى حضن أوروبا، فى كنف الدولة البوسنية المسلمة التى تعيش وسط القارة الأوروبية. وبدل أن يقلِّد الأوروبيون هذا المعمار نصبوا له العِداء؛ صَدًّا لهذا الدين الوافد عليهم، وأصبح هدفهم تدميره - خاصة المساجد - بدافع التعصب والحقد على الآخر. وسنرى عَمَّا قليل كيف استطاع الصِّربيون فى بضعة أشهر من تدمير ما بناه البوسنيون خلال خمسة قرون.

لقد مارس الأتراك العثمانيون حين دخلوا البلاد فاتحين نشاطًا عمرانيًا مكثَّفًا خلال القرن الخامس عشر الميلادى، فأقاموا الخانات ومحطات القوافل والحمّامات والقناطر فوق الأنهار، والأسواق التجارية ذات المتاجر العديدة، والمدارس الدينية، والمساجد والتكايا والأضرحة. وكانوا يستقدمون إلى البلاد خبراء محنّكين فى ميدان العِمارة، ويعود لهم الفضل فى تعليم البوسنيين فنيَّة البناء العثمانى الراقى. نذكر من هذه المنشآت: مسجد الغازى خُسْرُو بك الكبير فى سراييڤو، الذى بُنى سنة ١٥٣٠م.

وكانت قبة هذا المسجد ضخمة وأنيقة، وله أجنحة تعلوها قبب وأنصاف قبب، وتتوفر فيه أبواب رئيسية كبيرة. وكذلك نذكر قنطرة مدينة مُوستّار الشهيرة فوق النهر الذى يمر بها.

ومن ثمَّ وُجد من البوسنيين مهندسون بنوا كثيرا من هذه المنشآت التى أصبحت تضاهى فى بنائها مساجد إستانبول نفسها. وهكذا انتشرت المساجد ذات القبب، حيث توخّى المهندسون فيها الكمال الهندسى والبساطة فى جمالها وزخرفتها ووظيفتها الروحية. وهذه من مكوّنات النمط المعمارى البوسنى. ونالت هذه المبانى شهرة فائقة تجاوزت البلاد إلى مناطق الدولة العثمانية المتّسعة. واعتزّ بها البوسنيون وعدّوها تحفةً معمارية، تبعث على الفخر.

واتّضحت صورة المعمارى البوسنى - أيضًا - فى غير المساجد، من مثل بناء المدارس الدينية الإسلامية، التى كانت عادة بجوار المساجد، وفيها إقامة داخلية يؤمّن للطلاب سكنهم، كمدرسة الغازى خُسْرُو بك التى بنيت عام ١٥٣٢م. وكان سقفها مغطى بمادة الرصاص، وهى متماثلة مع المدارس الإستانبولية، وكانت تتبع المدارس خَزَانات للكتب لانتفاع الطلاب بها.

ونعلم أنه أنشئ فى مدينة بلغراد، فى العهد الإسلامى، نحو ست مئة نافورة عمومية، مزودَّة بالماء الصالح للشرب. ووجُد فى مدينة سراييڤو فى القرن السادس عشر الميلادى نحو مئة نافورة عمومية، وبلغت فى العهد اليوغسلافى نحو ١٥٦ نافورة، أغلقت جميعها وأُزيلت، ولم يعد لهذه النافورات من أثر.

ومما شاع فى البلاد نظام الوقف، وهى فكرة إسلامية محضة، ساهمت فى النمو المطّرد للمدن. وعلى سبيل المثال: وَقَفَ الغازى خُسْرو بك فى سراييڤو ثمانين محلا تجاريًا للإيجار، وكان يُصرف هذا العائد على صيانة المرافق ذات النفع العام.

أما البيوت فى القرنين: الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، فقد راعى البوسنيون فيها عاملَ النور، فبنوا منازل بهيجة تستقبل أشعة الشمس، وتلتفّ حولها المساحات الخضراء والأشجار. فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعمل على إنشاء المنازل منغلقة فى صفوف دهليزية، حيث غالبًا ما يغيب عنها نور الشمس.

وأول تغيير معمارى تعرضت له مدينة سراييڤو كان فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى، حينما وصل الأمير أُوجَن سافويسكى على رأس جيش نمساوى، وأضرم النيران فى المدينة دون هوادة. ومن ثمَّ تَمَّ بناء جزء منها فى بطن الوادى بأسلوب البناء

الأوروبى، مغايرًا لنفحة سراييڤو العتيقة. وهكذا أخذ المعمار الشرقى الراقى يتعرّض بالتدريج إلى الاندثار فى فترات مختلفة، آخرها القرن العشرين الميلادى، فى سنِىّ السلم والحرب على حدٍّ سواء.

(٦)

تدمير ومحاولة إنقاذ:

إن اللهجة العنصرية التى تمَّت عام ١٩٩٢م لم تكن تهدف إلى تدمير البشر والحجر والشجر حسب، بل لتدمير المعالم التاريخية والممتلكات الثقافية فى البُوسْنَة والهرْسِك بأسرها. وكانت من الهجمات الشرسة التى لاينساها التاريخ؛ لأنها ترمِى إلى محو ذاكرة المسلمين وعقيدتهم من النفوس، وإلغاء مقومات هُويَّتهم الحضارية فى المنطقة. فضلاً عن قَتْل نحو مئتى ألف من البوسنيين، وعدد كبيرٍ من الجرحى، وآلاف من حالات الاغتصاب، وإحراق آلاف المنازل السكنية والمرافق العمومية.

لقد توجّهت المدافع - على وجه الخصوص - لتدمير أكثر من ألف مسجد وجامع، ومئات المدارس، بالإضافة إلى الأماكن الأثرية الدينية فى مدنٍ كثيرة، وقام مقاتلو الصِّرْب فى يوم من أيام شهر مايو (أيّار) عام ١٩٩٢[١] بالهجوم بالصواريخ الحارقة على معهد الدراسات الشرقية فى سراييڤو، ودمّروا كلَّ محتوياته من المخطوطات والوثائق والمنمنمات القيّمة والبحوث والكتب المطبوعة التى تعود إلى عهود فتح البوسنة. وكنَّا قد تحدثنا عن هذا المعهد الحضارى بشىء من التفصيل، وعن مقتنياته النفسية من الثقافة الإسلامية، وعددنا مكتبته من أهم مكتبات المخطوطات فى منطقة البلقان، إلى جانب مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية.

وأصابت مدافع الصِّرْب - أيَضًا - سقوف المكتبة الوطنية والجامعية العامَّة، وبعض جدرانها التى احترقت بداخلها مئات، بل آلاف، الكتب والمجلات المطبوعة. كما احترق فيها أكثر من ثلاث مئة مخطوطة إسلامية. وأنقذ من مخطوطاتها نحو ثلاث مئة بعد أن تعرّضت للتلف والتمزيق، ووصلت إلى حالة محزنة تستوجب الصيانة والترميم. أمّا الكروات فقد استولوا على مركز الوثائق وأرشيف البوسنة والهرْسِك فى مدينة موستار.

وبعد أن ركدت الهجمة ودُمِّر ما دُمِّر، سلمت - عمومًا - مخطوطات مكتبة الغازى خُسْرو بك الإسلامية ومطبوعاتها ووثائقها؛ لأنها نُقلت بليلٍ من مقرّها، أثناء الحرب، ثمانى مرّات، إلى أن عادت إلى مقرّها المعروف قبل نشوب العُدوان. غير أن هذه

(١) اليوم السابع عشر منه.

السلامة لمخطوطاتها لم تكن كاملة، فقد نال الحريق منها نحو ثلاث آلاف مخطوطة، وسَلِم ما يزيد على عشرة آلاف منها. ويبدو أن سلامة مخطوطات هذه المكتبة يرجع إلى أنها مكتبة غير حكومية، فاعتنت بها أيدٍ أمنية حريصة عليها كلّ الحرص.

ومن ثَمَّ بادرت مؤسسة الفُرقان للتراث الإسلامى، التى تتخذ لندن مقرًا لها، بتصوير مخطوطات هذه المكتبة، وأمدتها بالمعدّات وأجهزة التصوير، وترميم مقرّها، كما أعانت على إصدار فهارس مخطوطاتها.

ونذكر من أحدث أخبار مصاحف مكتبة الغازى خُسْرُو بك الإسلامية المخطوطة، والتى كنا نوّهنا بها عند الحديث عن محتويات المكتبة منها: مصحف فاضل باشا شريفوفيتش، المتوفى ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، الذى أوقفه على المكتبة سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م. وكان قد كتبه داغستانى مهاجر سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م. ويتميّز هذا المصحف بما على حواشيه من القراءات السبع، وبكتابته بأمدّة مختلفة الألوان: الأسود والأحمر والأخضر والأزرق، وزخرفته بزخارف بديعة. وقد صوّرته مؤسسة الفُرْقان للتراث الإسلامى فى مطبعة يلدز بإستانبول، فى طبعة فاخرة، على ورق مماثل تمامًا للورق الذى كتبت عليه نسخته الأصلية، وأتيح شراؤه لصالح المكتبة ودعمًا لها. والحق إن هذا المصحف ينبغى أن يتوفر عليه المتخصصون لدراسته دراسة فنية علمية.

وبهذا كله أسدت المؤسسة خدمة لا تقدّر فى سبيل حماية التراث الإسلامى فى البُوسْنَة. فقد كان التدميرُ عظيمًا، وبالتالى فإنَّ عبء الإصلاح والإنقاذ أعظم.

ونرجو أن تكون هذه الهجمة هى الأخيرة من الهجمات المتتابعة، التى رأينا آثارها المدمِّرة، خاصة بعد إعلان استقلال البُوسْنَة والهِرْسِك عام ١٩٩٢م، ورسوخ قدم الثقافة العربية الإسلامية فى تلك الدّيار، ولعلّ هذا ما حدا على عِزَّة بيجوفيتش، وهو أول رئيس للبوسْنَة والهِرْسِك، أن يقول: «لقد انتهى إلى الأبد ذلك الأوان الذى يتقرّر فيه مستقبل البُوسْنَة دون مسلميها»(١).

(١) الإسلام بين الشرق والغرب، على عِزَّة بيجوفيتش، ص ٨.

المصادر والمراجع

- الإسلام بين الشرق والغرب، على عِزَّه بيجوفيتش، ترجمة وعرض د. على عبد التواب الشيخ، الط. الأولى، دار الفلاح، الفيوم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- أصول الحكم فى نظام العالم، حسن كافى الأقْحِصارى، تحقيق: نوفان رجا الحمود، الجامعة الأرْدنية، عَمَّان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الأعلام، خير الدين الزِّرِكْلِى، دار العلم للملايين، بيروت، الط. العاشرة، ١٩٩٢م.
- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادى، مكتبة المثنَّى، بغداد/ بيروت، تصوير بالأوفست عن ط. إستانبول ١٩٥١م.
- بعثة اختيار وتصوير مخطوطات عربية من مكتبة غازى خُسْرُو بك الإسلامية فى مدينة سراييڤو، تقرير وضعه عصام محمد الشَّنْطِى، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٩م.
- الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بُوسْنَة، محمد بن محمد بن محمد البوسنوى الخانجى، تحقيق: د. عبداللفتاح محمد الحلو، دار هَجَر، القاهرة، الط. الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، إعداد وتحرير: خورشيد والشنتناوى ويونس، ط. الشعب، القاهرة، دون تاريخ. مادة البوسنة، والهرسك، م ٨/ ص ٣٤٨ - ٤٠٩.
- رحلة أوليا چلبى للبوسنة والهرسك، بالتركية، فى ستِّ مجلدات.
- رحلة الصيف إلى بلاد البوسنة والهرسك، (الأمير) محمد على باشا، المط. الأميرية بمصر، ١٩٠٦م.
- سلك الدُّرَر فى أعيان القرن الثانى عشر، الميلادى، مكتبة المثنَّى، بغداد، دون تاريخ . مصوَّرة بالأُوفست عن ط. بولاق، ١٣٠١هـ.
- الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، طاش كبرى زاده، على هامش وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خَلِّكان، ط. مصر ١٣١٠هـ.
- فى العِمارة الإسلامية فى منطقة البلقان والبوسنة والهرسك، كمال سوكيتش، منشورات إيسيسكو، الرباط ـ المغرب الأقصى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، حاجى خليفة، مكتبة المثنَّى، بغداد / بيروت ، تصوير بالأُوفست عن ط. إستانبول ١٩٥١م.
- المخطوطات الإسلامية فى العالم، ترجمة وتحقيق: د. عبدالستار الحلوجى، مؤسسة الفُرقان للتراث الإسلامى، لندن، ١٤٢١/ ٢٠٠٠م، الجزء الثانى، ص ١١٣ - ١٤٦: تقرير وافٍ عن مخطوطات البوسنة والهِرْسِك، وُضع سنة ١٩٩١م.
- المخطوطات العربية فى يوغسلافيا، د. حسن قلشى، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ١٢ الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٣ - ٢٠.

- المخطوطات العربية فى يوغسلافيا، عصام محمد الشنطى، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحَّالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الط. الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى، د. عدنان على رضا النحوى، الرياض، الط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- النشرة الإخبارية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، العدد ٢٩، صفر ١٤١٣هـ/ أغسطس «آب» ١٩٩٢م.
- النشرة الإخبارية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، العدد ٦٠، صفر ١٤٢٤هـ/ إبريل «نيسان» ٢٠٠٣م، ص ٣٣.
- النشرة الإعلامية الثالثة، مؤسسة الفُرقان للتراث الإسلامى، لندن، حزيران (يونيو) ١٩٩٨م./ صفر ١٤١٩هـ.
- النشرة الإعلامية السابعة، مؤسسة الفُرقان للتراث الإسلامى، لندن، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١١.
- النشرة الإعلامية الثامنة، مؤسسة الفُرقان للتراث الإسلامى، لندن، صيف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١١.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادى، مكتبة المثنّى، بغداد، بيروت، تصوير بالأوفست عن ط. إستانبول ١٩٥١م.

أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي

د . عابد سليمان المشوخي(*)

تمهيد :

تعرّض التراث الإسلامى المخطوط ـ عبر قرون مضت ـ ولم يزل، لعوامل بشرية عدة أدت إلى ضياع الكثير منه، وكان من أهم هذه العوامل:

- الغزو التترى والغزو الصليبى
- الحروب والفتن الداخلية.
- المنازعات المذهبية بين الفرق الإسلامية.
- السلوك الشخصى لبعض العلماء.

بالإضافة إلى السرقة والجهل والتعصب والإهمال وعدم أمانة بعض المشرفين على المكتبات وغير ذلك من العوامل البشرية الأخرى التى سوف يتناولها الباحث فى سياق هذه الدراسة.

ومن الدراسات التى تناولت بعض أطراف الموضوع ناصر الحزيمى فى كتابه «حرق الكتب فى التراث العربى»، وفيه جمع المؤلف بعض حوادث وأخبار إتلاف الكتب فى التراث العربى وقصره على نوعين فقط من الإتلاف؛ الأول: إتلاف السلطة للكتاب، والثانى: الإتلاف الشخصى للكتب. ولم يتناول الباحث فى كتابه الأسباب البشرية الأخرى.

والدراسة الثانية التى يمكن أن نشير إليها فى هذا المجال هى بعنوان: «خزائن الكتب القديمة فى العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة» لكوركيس عواد الذى أشار فى كتابه هذا إلى بعض العوامل البشرية التى أدت إلى ضياع الكثير من التراث منها: حرق الكتب، وإغراقها ودفنها وغسلها.

كما تطرق أستاذنا الدكتور يحيى محمود ساعاتى فى الفصل السادس من كتابه

(*) أستاذ مشارك، قسم علوم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

«الوقف وبنية المكتبة العربية» لمصائر الكتب والمكتبات الوقفية؛ حيث تحدث عن الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية وأثرها فى ضياع كتب التراث، وعن استغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قبل بعض العلماء، كما تحدث عن تفريط المشرفين على المكتبات وسوء إدارتهم.

وفى دراسة أخرى بعنوان: «الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى» تحدث شعبان خليفة عن مصائر الكتب الإسلامية وذكر الحروب والغزو الخارجى، والحروب والفتن الداخلية، واضطهاد المذاهب والمؤلفين، ودفن وغسل وحرق الكتب، وإتلاف كتب الغير لأسباب غير مفهومة، واستخدام المخطوطات فى تجليد مخطوطات جديدة، وسرقة المخطوطات ونهبها وتهريبها للخارج.

كما عرض لموضوع العوامل البشرية أستاذنا الدكتور محمد ماهر حمادة ـ رحمه الله ـ فى كتابه «المكتبات فى الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها» حيث تحدث عن مصير المكتبات الإسلامية.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات وغيرها من المقالات بالإضافة إلى المراجع التراثية ككتب التاريخ والسير وكتب التراجم التى تحدثت عن حياة العلماء وسيرهم، وأخبارهم، والتى لم تخل من قيام البعض منهم بحرق كتبه أو غسلها أو دفنها أو إتلافها بطريقةٍ أو بأخرى.

المبحث الأول

السلوك الشخصى

أولاً - سلوك العلماء:

ذكر لنا المصادر التاريخية، وكتب التراجم جملة من أخبار بعض العلماء الذين تخلصوا من كتبهم وأتلفوها بوسائل عدة، كحرقها عمدًا مع سبق الإصرار، أو غسلها بالماء، أو دفنها فى باطن الأرض، أو تطييرها فى الهواء، أو القيام بتمزيقها ورميها فى الهواء، أو تركها فى الصحراء، أو إلقائها فى الأنهار أو الآبار أو البحار، أو إعدامها والتخلص منها بطريقة أو بالأخرى.

ولعل مثل هذه الأفعال لها ما يسوِّغها فى نظر الكثير منهم؛ فمنهم من علَّل ذلك بعدم اهتمام الناس بمؤلفاتهم، ومنهم من أعدمها وأتلفها خوفًا من عقاب الله له، ومنهم من أعدم كتبه خوفًا من عقاب الحكام، إلى غير ذلك من الأسباب التى كانوا يتذرعون بها.

وقد يلجأ بعضهم إلى حرق كتبه بسبب الإحباط واليأس من جهة، أو نتيجة اختلاط عقله من جهة أخرى، ومنهم من قام بإحراق كتبه بسبب تنسكه إلى غير ذلك من الأسباب.

وحول هذاالسلوك الغريب من قبل بعض العلماء يقول شعبان خليفة: التبريرات فى ذلك شتى فمنهم من يلجأ إلى ذلك ضنًا بكتبه أن يستفيد منها غيره من بعده؛ ومنهم من يخشى أن تقع كتبه فى أيدى من يسيئون استخدامها والإساءة إلى العلم الموجود فيها ولا يقدرونه حق قدره، ومنهم من يدرك فى نهاية حياته أنه قد تلهى بالكتب عن ذكر الله، ومنهم من يمر بضائقه نفسية ويتوهم أن الكتب هى سبب البلبلة الفكرية التى هو عليها(١).

وقد تحدث أيضًا ناصر الحزيمى عن أسباب حرق الكتب فى التراث العربى وذكر منها ستة هى: أسباب شرعية، وعلمية، وسياسية، واجتماعية، وقبلية، ونفسية وتعصبية(٢).

---

(١) شعبان خليفة: الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٢٥٢.

(٢) ناصر الحزيمى، حرق الكتب فى التراث العربى. ألمانيا: دار الجمل، ٢٠٠٣م.

وفى دراسة بعنوان «علماء احترقت كتبهم أو دُفنت أو غرقت أو مُحيت» لخص الباحث أسباب إحراق العلماء كتبهم فى عشر نقاط هى:

١ - خشية أن تقع كتبهم فى يد من لا يفهمها.

٢ - خشية أن تقع كتبهم فى يد من لا يعرف قدرها.

٣ - خشية أن تقع كتبهم فى يد من يُغيِّر فيها بالزيادة أو النقص.

٤ - التصوف والزهد والتفرغ للعبادة.

٥ - لئلا يتكل عليها الطلاب فلا يحفظوا ما فيها من علم.

٦ - لئلا تُروى عنهم بالوجادة ممن لم يسمعها من المؤلف.

٧ - عدم حاجته إليها؛ لحفظه لها، ولنقل طلابه ما فيها.

٨ - التخلص من الكتب التى تحوى ضلالات كالزندقة والسحر والتنجيم.

٩ - الرجوع عن بعض المؤلفات التى يرى مؤلفها عدم الخوض فيها، وتوبته منها.

١٠ - صغر سن بعضهم وتجعله إتلاف كتبه وندمه بعد ذلك(١).

وأيًا كانت المسوّغات فمما لا شك فيه أن مثل هذا الصنيع، ومثل هذه العادات أضاعت علينا ثروة كثيرة من التراث الفكرى المخطوط فى مختلف فنون المعرفة.

وهذه بعض الأمثلة التوضيحية التى ذكرتها بعض المصادر التاريخية وكتب التراجم حول لجوء بعض العلماء لإتلاف كتبهم والتخلص منها.

١ - الحرق المتعمد للكتب:

إن ظاهرة حرق الكتب بصفة متعمدة بدأت فى العالم العربى والإسلامى منذ أواخر القرن الهجرى الأول، ومن الأمثلة على ذلك:

عروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٤هـ) الذى حرق كتبًا له فيها فقه سنة ٦٣ هجرية. ثم قال: لوددت أنى كنت فديتها بأهلى ومالى(٢).

والحسن البصرى (المتوفى سنة ١١٠ هـ)، إمام التابعين فى زمانه، روى ابن سعد فى طبقاته عن موسى بن إسماعيل قال: حدثنا سهل بن الحصين الباهلى قال: بعثت إلى عبدالله بن الحسن البصرى: ابعث إلىّ بكتب أبيك فبعث إلىّ أنه لما ثقل قال لى:

---

(١) أحمد بن عبد الله الباتلى: علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت. الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٧ .

(٢) الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٦٨هـ، ٤: ٣٢ .

أجمعها لى، فجمعتها له وما أدرى ما يصنع بها، فأتيت بها فقال للخادم: اسجرى التنور ثم أمر فأحرقت غير صحيفة واحدة، فبعث بها إلىَّ، وأخبرنى أنه كان يقول: ارو ما فى هذه الصحيفة، ثم لقيته بعد، فأخبرنى به(١).

أما أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازنى (المتوفى سنة ١٥٤هـ)، أحد القراء السبعة المشهورين، وإمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة، فقد قام بإحراق دفاتره التى ملأت بيته إلى السقف بسبب تنسكه(٢). وذكر ياقوت قول أبى سليمان الدارانى (المتوفى سنة ٢١٥هـ)، أنه «جمع كتبه فى تنور وسجرها بالنار، ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك»(٣).

وأوصى محمد بن عمر، أبو بكر الجعابى الحافظ (المتوفى سنة ٣٥٥هـ)، بأن تحرق كتبه بعد موته، فأحرقت(٤). قال الأزهرى: إن ابن الجعابى لما مات أوصى بأن تحرق كتبه فأحرقت وكان فيها كتب للناس. قال فحدثنى أبو الحسين بن البواب أنه كان له عنده مائة وخمسون جزءًا فذهبت فى جملة ما أحرق. وروى عن الدارقطنى قوله: أخبرت بعلة الجعابى فقمت إليه فرأيته يحرق كتبه فأقمت عنده حتى ما بقى منه شىء(٥).

ويعجب المرء عندما يقرأ وصية أحد العلماء لولده بحرق كتبه؛ فهذا أبو سعيد السيرافى، (المتوفى سنة ٣٨٥هـ)، والذى يعد من كبار العلماء، يوصى ولده محمد بقوله: «قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك، فاجعلها طعمة للنار»(٦).

وقد يقوم أحد العلماء بإحراق كتبه نتيجة الوسوسة، فقد ذكر ياقوت الحموى أن إسماعيل بن حماد الجوهرى (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ) أحد علماء اللغة وصاحب كتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) عرضت له فى آخر حياته وسوسة قهرية فحرق كتبه كلها، ثم صعد على سطح الجامع بنيسابور، فقال: أيها الناس، إنى قد عملت فى الدنيا شيئًا

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ٤:٥٨٤.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ٦ : ٤٠٨ .

(٣) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت ، ٢٢ : ١٥ .

(٤) الذهبى، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال؛ تحقيق على محمد البجاوى، بيروت: دار المعرفة، د. ت، ٥: ١١٧ .

(٥) الخطيب البغدادى، أحمد بن على، تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ٣: ٣١ .

(٦) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١٥: ٢١ ـ ٢٢ .

لم أسبق إليه (يقصد مجمعه الصحاح) وزعم أنه يطير ، ثم قفز من أعلى الجامع فمات[١].

وقد أحرق أبو حيان (المتوفى نحو سنة ٤٠٠ هـ) كتبه النفيسة، وكتب لصديق له، مفسرًا ذلك بقوله: إن العلم حاطك الله يراد للعمل كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم، كان العمل كلا[٢] على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا - علمك الله الخير - أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرًا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبًا، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طلبًا، على أنى جمعت أكثرها للناس ولطلب المنالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمدة الجاه عندهم، فحُرمت ذلك كله وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علىَّ لا لى[٣].

وهكذا فسر لنا أبوحيان التوحيدى سبب إقدامه على حرق كتبه النفيسة بالنار. وغسلها بالماء فى آخر عمره لقلة جدواها (من وجهة نظره) وضنًا بها على من لا يعرف مقدارها[٤]. وقد عاتبه على ذلك القاضى أبو سهل على بن محمد الذى عذله على صنيعه، وعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فأجابه التوحيدى بأنه ما انبرى لهذا الصنيع، ولا اجترأ عليه، وحتى استخار الله عز وجل فيه أيامًا وليالى، وحتى أوحى إليه فى المنام، بما بعث راقد العزم وأجدّ فاتر النية وأحيا ميت الرأى وحث على تنفيذ ما وقع فى الروع، وتريع فى الخاطر.. ثم قال: «وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب؟.. وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليها؟.. وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرها؟.. هيهات، الرحيل والله قريب، والثواء قليل، والمضجع مقضى، والمقام ممضى، والطريق مخوف، والمعين ضعيف، والاغترار غالب، والله من وراء هذا كله طالب[٥].

ومن العلماء المشهورين الذين أحرقوا كتبهم: أبو الفرج ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥١٠ هـ)، فقد كان يملك كتبًا كثيرة أحرقت بإشارة منه، وبعضها أخذها ولده وباعها بالمزاد[٦].

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ٦: ١٥٧ .
(٢) الكَلّ: الثقيل الذى لا خير فيه.
(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ١٥: ١٦ ـ ٢٦ .
(٤) السيوطى: عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٩م ، ٢ : ١٩٠ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ١٥: ١٦ ـ ١٧ .
(٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ٢١: ٣٧٧ .

ومنهم من قام بإجراق كتبه خوفًا من الاستيلاء عليها؛ فقد ذكر أن الحسين بن الحسين بن عبدالله بن الحسين، أبا الحكم الكلبى، ابن حسون (المتوفى سنة ٥٤٧ هـ)، قاض من جبابرة الأمراء بالأندلس أيام ملوك الطوائف، نشأ فى أسرة وجيهة بمقالة، وتولى قضاءها سنة ٥٣٨هـ، قام بالإمارة والقضاء، وكان فى جواره بعض المرابطين فواصلوا الغارات عليه. اتفق عليه أهل البلد مع أحد خدامه ويعرف باللوشى، فثاروا عليه، وقتلوا أخًا له كان قائد جيشه، وضاع رشده فقتل بعض بناته غيرة عليهن من السبى، وأطلق النار فى كتبه فأحرقها[١].

وممن أحرق كتبه تغرى برمش بن يوسف (المتوفى سنة ٨٢٠هـ[٢]. وكذلك أوصى جعفر البرساوى (المتوفى نحو ٩٥٠هـ)، بإحراق كتاب له ألفه فى الهزل سماه «دافع الغموم» حيث ندم على تأليفه، ولزم أن يشتريه ممن لقيه عنده ويحرقه بالنار[٣].

٢ - إغراق الكتب فى البحار والأنهار:

ذكرت لنا بعض المصادر التاريخية لجوء بعض العلماء إلى رمى مصنفاتهم وكتبهم فى البحر والأنهار وذلك للتخلص منها.

ومن أمثلة هؤلاء: داود بن نصير الطائى (المتوفى سنة ١٦٥ هجرية)، وكنا من خيار عباد الله زهدًا وفقهًا وعبادة، ويقال له تاج الأمة، كانت له مكتبة خاصة ضمت العديد من الكتب الفقهية واللغوية والأدبية، غير أنه عمد إلى تغريقها فى مياه نهر الفرات، وقال يناجيها: «نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول، عناء وذهول، وبلاء وخمول»[٤]. وقيل: إنه دفنها فى الأرض وفى ذلك ضياع لثروة فكرية كبيرة.

وذكر السلمى نقلاً عن محمد بن عبدالله الطبرى قوله: إنه سمع يوسف بن الحسين يقول: طلب أحمد بن أبى الحوارى (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) العلم ثلاثين سنة، ثم حمل كُتُبه كلَّها إلى البحر، فغرَّقها، وقال: يا علْم، لم أفْعَلْ بك هذا استخفافًا[٥].

وجاء فى ترجمة ابن فروخ الحافظ، مجاهد بن موسى الخوازمى (المتوفى سنة

(١) خير الدين الزركلى: الأعلام، ط ٥ . بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ٢ : ٢٣٥ .

(٢) ابن تغرى بردى، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى؛ تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ٤: ٥٧ .

(٣) الغزى: محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ط٢. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م، ٢: ١٣٣ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ١٥: ٢١ . والذهبى: سير أعلام النبلاء، ٧: ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ١٢: ٨٨ .

٢٤٤هـ)، قول ابن الخطيب عنه: «قرأت فى كتاب عبيد الله بن جعفر: حدثنا أبو يعلى الطوسى، حدثنا محمد بن القاسم الأزدى، قال: قال لنا مجاهد بن موسى. وكان إذا حدث بالشىء رمى بأصله فى فى دجلة أو غسله. فجاء يومًا ومعه طبق، فقال: هذا قد بقى، وما أراكم ترونى بعدها، فحدث به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك»(١).

وممن تخلص من مصنفاته فى النهر: أحمد بن محمد بن الخلال (المتوفى سنة ٣١١هـ)، فقد ذكر عنه أنه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى نهر دجلة(٢).

وقد يأمر الأمير بقذف كتاب العالم الرخبارى فى النهر إذا ما شك فى صحة الأخبار التى يضمها كتابه. كما حدث لكتاب «الفصوص» الذى ألفه صاعد البغدادى، فحين شك فى صحته المنوصر بن أبى عامر أمير الأندلس (المتوفى سنة ٣٩٢هـ)، وتأكد لديه ذلك بعد اختبار أجراه له، قال له: أبعد الله مثلك، فما رأيت أكذب منك، وأمر بإخراجه، وأن يقذف كتاب «الفصوص» فى النهر، فقال فيه بعض الشعراء:

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد:

عاد إلى معدنه إنما يوجد فى قعر البحار الفصوص(٣)

وجاء فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى، المعروف بالماوردى، (المتوفى سنة ٤٥٠هـ)، وكان من وجوه الفقهاء الشافعية وكبارهم، أنه جمع مصنفاته فى موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق فيه: الكتب التى فى المكان الفلانى كلها تصنيفى، وإنما لم أظهرها، لأنى لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر، فإن عاينت الموت ووقعت فى النزع فاجعل يدك فى يدى، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يُقبل منى شىء منها، فاعمد إلى كتب وألقها فى دجلة ليلاً، وإن بسطت يدى ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قُبلت وأنى قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة. قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدى فى يده فبسطها ولم يقبض على يدى، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده(٤).

وبالرغم من أن هذه الكتب لم تتلف إلا أن النية كانت مبيتة فى ذهن هذا الفقية بإغراقها فى نهر دجلة.

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١١: ٤٩٥ .
(٢) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ٥: ١٥٥ .
(٣) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٤: ٢٦٦ .
(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق إحس، ٣ : ٢٨٢-٢٨٣ .

وأغرب النكبات التى تثير الضحك ما فعلته زوجة الأمير ابن فاتك، (من أمراء القرن الخامس الهجرى)، فقد كان له مكتبة ضخمة يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها، فدخلت الغيرة زوجته من الكتب، فلما توفى نهضت هى وجواريها إلى خزائن كتبه، وفى قلبها لوعة منها؛ لأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندبه، وفى أثناء ذلك ترمى وجواريها الكتب فى بركة ماء كبيرة فى وسط الدار[(١)].

وجاء فى ترجمة ابن العريف الصنهجاى المقرئ، (المتوفى سنة ٥٣٩هـ)، صاحب المقامات والإشارات أنه «ممن ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد، وشرقت به جماعة الحسَّاد، حتى سعوا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتماله القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه، فغرَّب إلى مراكش، ... فاستوحش، فغرَّق فى البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه[(٢)].

وفى ترجمة صفى الدين أبى السرور القاضى أحمد بن عمر المزجد الزبيدى (المتوفى سنة ٩٣٠هـ)، وهو ممن اشتغل بالفقه وأصوله والحديث وعلومه والحساب والفرائض وبرع فى علوم كثيرة وتميز بفقه الإمام الشافعى. قال حفيده أبو الفتح بن حسين المزجد عنه: «كان جدى - رحمه الله تعالى - شرح جامع المختصرات للنسائى فى ستة مجلدات، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف وألقاه فى الماء فأعدمه والله المستعان»[(٣)].

وذكر المحبى أن عبدالله الكردى البغدادى ثم الدمشقى (المتوفى نحو ١٠٠٣هـ)، «اشتغل بالعلوم أولا وفاق أقرانه ثم غلب عليه الحال، ورمى كتبه فى الماء..»[(٤)].

وذكر أن محمد بن صالح الجيلانى (المتوفى سنة ١٠٨٨هـ)، ركب البحر يريد الحج، فانكسر المركب فنجا بنفسه وغرقت ثروته وكتبه[(٥)]. وجاء عن خزانة كتبه أنه عمد إلى تغريقها فى مياه نهر الفرات، وقيل: إنه دفنها فى الأرض.

٣ - تمزيق الكتب

ومن الطرق الأخرى التى لجأ إليها بعض العلماء للتخلص من مصنفاتهم وكتبهم القيام بتمزيقها وبعثرتها فى الهواء وممن قام بذلك سفيان الثورى (المتوفى سنة

(١) ابن أبى اصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. بيروت: دار الفكر، ١٩٥٦م ٢: ٩٩ .
(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢٠: ١١١، ١١٣ .
(٣) العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر. د. م، د. ن، ص ١٢٧ .
(٤) المحبى، محمد أمين، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر. بيروت: دار صادر، د. ت، ٢: ٨٥ .
(٥) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٦: ١٦٣ .

١٦١هـ)، حيث أقدم على تمزيق ألف جزء وتطييرها فى الريح وقال: ليت يدى قطعت من ها هنا بل من ها هنا ولم أكتب حرفًا[١].

وقال الخطيب البغدادى: حدثنا أبو محمد الأنبارى، حدثنى أبو على الغنزى قال: امتحن عمر بن شبه (المتوفى سنة ٢٦٢هـ)، بسُرَّ مَنْ رأى بحضرتى فقال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فقالوا له فتقول من وقف فهو كافر. فقال: لا أكفر أحدًا، فقالوا له أنت كافر ومزقوا كتبه، فلزم بيته وحلف أن لا يحدّث شهرًا[٢].

٤ - إتلاف الكتب وإعدامها:

أدى الجفاء بين بعض العلماء إلى إتلاف الكتب، فقد ذكر أن الإمام الحافظ مسعود ابن أحمد بن مسعود بن زيد العراقى المصرى الحنبلى (المتوفى سنة ٧١هـ)، عمد إلى إعدام مسودة كتاب «الإمام لابن دقيق العيد» بعد أن كان أكمله، فلم يبق منه إلا ما كان بيض فى حياة مصنفه[٣].

ومن العلماء الذين قاموا بإتلاف كتبهم: عماد الدين التبرياج (المتوُى سنة ٨٥٥هـ)، كان رائع الخط حسن المحاضرة والمفاكهة، نظم ديوان شعر، ثم قام بإتلافه وهو حى يرزق ضنًا بكرامته وإعلاء لشأن الأدب على زعمه. ولما سئل عما حمله على إتلاف الديوان قال: «كان الشاعر قديمًا إذا نظم قصيدة ومدح بها أحدًا أجيز على قصيدته بمنحة سخية، أما أنا فأنظم القصيدة، وأرسل معها الخدم والعسل وغير ذلك لكى تحوز القبول، وقد أغنانى الله سبحانه عن الاستجداء فأريد قبل وفاتى أن أتصرف فى ديوانى، حرصًا على كرامتى، ولئلا يقال بعدى: ما أكثر ما سأل بقصائده[٤].

وممن أتلف كتبه: أبو ذر الحافظ، أحمد بن إبراهيم (المتوفى سنة ٨٨٤هـ)، يقول السخاوى عنه: « ... تعانى فى ابتدائه فنون الأدب فبرع فيها وجمع فيها تصانيف نظمًا ونثرًا ثم أذهبها حسبما أخبرنى به عن آخرها، ومن ذلك: عروس الأفراح فيما يقال فى الراح، وعقد الدرر، والآل فيما يقال فى السلسال، وستر الحال فيما قبل فى الخال، والهلال المستنير فى العذار المستدير، والبدر إذا استتار فيما قيل فى العذار»[٥].

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١٥: ٢٢ .

(٢) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ١١ : ٢٠٩ .

(٣) ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، بيروت: دار الجيل، د.ت، ٤: ٣٤٧ .

(٤) محمد راغب بن محمود الطباخ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٥: ٢٥٤ .

(٥) السخاوى، محمد بن عبدالرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ١: ١٩٨ .

وسعيد بن أحمد العدنى (المتوفى سنة ٨٨٧هـ)، قدم إلى عدن واستوطنها واقتنى كتبًا نفيسة، وكان ضنيًا بها، واستولى على عدة خزائن فأعدمها[١].

وأبو عبدالله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر السخاوى (المتوفى سنة ٩٠٢هـ)، أمر بإحضار كتبه وإتلافها فأتلفت[٢].

٥ - غسل الكتب ومحوها:

ومن الأساليب الأخرى التى أدت إلى ضياع الكثير من كتب التراث العربى الإسلامى المخطوط قيام بعض العلماء بغسل مؤلفاتهم أو تآليف غيرهم، وقد يقوم بهذا العمل بعض النساخ وغيرهم من الوراقين وذلك بأن يضعوا الكتب أو أوراق المخطوطات فى الماء لمدة معينة من الزمن؛ مما يؤدى إلى تحلل الحبر، وطمس الكتابة وضياعها بهدف التخلص مما فيها من أقوال وآراء لايرغب صاحبها فى الإبقاء عليها أو الاحتفاظ بها متبرئًا ما كتب أوتائبًا إلى الله مما صنع، أو متلافيًا ما فرط منه، أو لدواع أخرى مختلفة.

وقد يلجأ البعض منهم إلى محو الكتابة باستخدام قطعة من القماش المبلولة لإزالة الكتابة، وكان (غسل الكتابة) يعبر عنه أحيانًا بلفظ (محو الكتابة).

ومن الأخبار الواردة فى غسل الكتب أو محوها، ما أورده الذهبى فى ترجمة الفقيه المرادى الكوفى (المتوفى سنة ٧٢هـ)، الذى طلب إحضار كتبه قبل وفاته فمحاها وقال: أخشى أن تضعوها على غير موضعها[٣].

ومن العلماء الذين أقدموا على غسل كتبهم: شعبة بن الحجاج (المتوفى سنة ١٦٠هـ)، قال سعد بن شعبة: أوصى أبى إذا مات أن أغسل كتبه فغسلتها، ويعلق الذهبى على مثل هذه الأفعال بقوله: وهذا قد فعله غير واحد بالغسل، وبالحرق، وبالدفن خوفًا من أن تقع فى يد إنسان وأن يزيد فيها أو يغيرها[٤].

وروى القاضى أبو على المحسن التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤هـ)، عن أبيه، فى معرض كلامه على المنجمين، وما قد يتأتى لهم من توقيعات وكشوف، قال: «هذا أبى، حول مولد نفس السنة التى مات فيها، فقال لنا: هى سنة قطع على مذهب المنجمين،

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٣: ٢٥٤ .
(٢) العيدروس: عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ١٦ .
(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ٤: ٤٠ ـ ٤٣ .
(٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ٧: ٢٠٢ .

وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبى الحسن بن البهلول القاضى صهره ينعى نفسه إليه ويوصيه، فلما اعتل أدنى علة وقبل أن تتحكم علته، أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً، وأنا حاضر، فبكى وأطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التى مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاءه أبوالقاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد عليه شكوكًا فقال: يا أبا القاسم، لست ممن يخفى هذا عليه فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفلنى، وجلس فوافقه على الموضع الذى خافه، ثم قال له أبى: دعنى من هذا، بيننا شك فى أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فإنه ساعة قطع عندهم؟ فأمسك أبو القاسم واستحيا منه أن يقول نعم، فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادمًا لأبى، وبكى أبى طويلاً، ثم قال: يا غلام، الطست! فجاءه به، فغسل التحويل وقطعه، وودع أبا القاسم توديع مفارق، فلما كان فى ذلك اليوم العصر بعينه مات كما قال[١]».

ومما ورد فى ترجمة على بن عيسى الربعى النحوى (المتوفى سنة ٤٢٠ هجرية)، وهو «أحد أئمة النحويين وحذاقهم الجيِّدى النظر، الدقيقى الفهم والقياس، أخذ عن أبى سعيد السيرافى وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبى على الفارسى ولازمه عشرين سنة، فقال أبو على: ما بقى شىء تحتاج إليه، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو، وصنف تصانيف منها: شرح سيبويه إلا أنه غسله، وذاك أن أحد بنى رضوان التاجر نازعه فى مسألة فقام مغضبًا وأخذ شرح سيبويه وجعله فى إجّانة[٢] وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان، ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة[٣]».

ومن العلماء الذين غسلوا كتبهم: على بن طلحة بن كردان النحوى، صنف كتابًا كبيرًا فى إعراب القرآن يقارب خمسة عشر مجلدًا، ثم بدا له فيه، فغسله قبل موته سنة ٤٢٤ هجرية[٤].

وذكر ابن الجوزى أن محمد بن على بن المطلب (المتوفى سنة ٤٧٨هـ)، «قال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كثير الهجو، ثم مال عن ذلك وأكثر الصوم والصلاة والصدقة، وروى

(١) التنوخى، المحسن بن على: نشوار المحاضرة . القاهرة : طبعة مرجليوت، ١٩٢١م، ١: ٢٦٩ .
(٢) الإجَّانة: إناء تغسل فيه الثياب.
(٣) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١٤: ٧٩ .
(٤) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٧: ١٢ .

الحديث عن ابن بشران وابن شاذان وغيرهما، وغسل مسودات شعره، وأحرق بعضها بالنار[١]».

وذكر أن الشاعر المشهور عاصم بن الحسن الكرخى (المتوفى سنة ٤٨٣هـ)، مرض فى أواخر عمره فغسل ديوان شعره[٢].

وجاء فى ترجمة شجاع بن فارس، الذهلى السهروردى (المتوفى سنة ٥٠٧هـ)، أنه: «.... ذيل على تاريخ الخطيب ثم غسله قبل موته»[٣].

وذكر اليافعى أن أبا بكر السمعانى التميمى المروزى (المتوفى سنة ٥١٠هـ)، قام بغسل تصانيفه وشعره قبل وفاته[٤].

ومن العلماء الذين قاموا بغسل كتبهم: المبارك بن المبارك أبى طالب الكرخى ابن أبى البركات الفقيه الشافعى (المتوفى سنة ٥٨٥هـ)، يقول ياقوت الحموى: إنه كان أوحد زمانه فى حسن الخط على طريقه على بن هلال بن البواب. سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله فى قلم الثلث، حتى رأيت من يغالى فيه، فيقول: إنه كتب خيرًا من ابن البواب. وكان ضنينًا بخطه جدًا، فلذلك قلَّ وجوده، وكان إذا اجتمع عنده شىء من تجويداته يستدعى طستًا ويغسله، فأما إذا استفتى فإنه كان يكسر قلمه ويجهد فى تغيير قلمه[٥]».

ومما ورد فى معجم الأدباء أيضيا أن ياقوتا سأل على بن الحسن المعروف بشميم الحلى النحوى اللغوى الشاعر، (المتوفى سنة ٦٠١هـ)، كيف أنه لم يصنف مقامات يدحض بها مقامات الحريرى، فقال له: «يابنى، اعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل. عملت مقامات مرتين، فلم ترضنى، فغسلتها، وما أعلم أن الله خلقنى إلا لأظهر فضل ابن الحريرى...[٦]».

ومما نقله ياقوت فى ترجمة ابن الدهان الضرير الواسطى المعروف بالوجيه، (المتوفى سنة ٦١٢هـ)، قوله: «وحدثنى محب الدين محمد بن النجار قال: حضر الوجيه

---

(١) ابن الجوزى، عبد الرحمن بن على بن محمد: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم؛ تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٩: ٢٤ .

(٢) اليافعى، عبد الله بن أسعد بن على: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ـ ط ٢ ـ بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ١٣٩٠هـ، ٣: ١٢٤ .

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٩: ٣٥٥ .

(٤) اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣: ٢٩ .

(٥) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٦: ٢٣٠ .

(٦) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٥: ١٣٢ .

النحوى بدار الكتب التى برباط المأمونية، وخازنها يومئذ أبو المعالى أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعرى، قدمه الخازن وقال: كان عندى فى الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأى شىء كان هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن، فقال له: أخطأت فى غسله. فعجب الجماعة منه، وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهى عن مثل هذا؟ قال نعم! لايخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيرًا منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيرًا منه، وحاش الله أن يكون ذلك، فلا يجب أن يفرط فى مثله، وإن كان دونه، وذلك ما لاشك فيه، فتركه معجزة للقرآن فلايجب التفريط فيه فاستحسن الجماعة قوله، ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت(١):

وذكر العسقلانى عن على بن الحسن بن عبدالله ابن الجابى، (المتوفى سنة ٧٠١هـ)،أنه «كان قد أغرى بالكيمياء، وحصل فيها كتبًا كثيرة جدًا، وكان يزعم أنها صحت معه. قال ابن الجزرى: كان صاحبى، وكان يعرف الكيمياء معرفة تامة، ولما مات، توجه الشيه تقى الدين ابن تيمية، فاشترى منها جملة وغسلها فى الحال، وقال: «هذه الكتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم، فافتديتهم بما بذلته فى ثمنها(٢)».

وفى إيراد مثل هذه النصوص، ما يميط اللثام عن أغلب الدواعى لغسل الكتب، وفيما نقلناه بعض تلك الدعاوى، وهناك غيرها من الأسباب. من ذلك ما كتبه كمال الدين الأدفوى فى ترجمة محمد بن معتوق الشيبانى النصيبى الشاعر، (المتوفى سنة ٧٠٧ هجرية)، قال: «وحضر مرة الشيخ بهاء الدين القفطى من إسنا، فتوجه النصيبى إليه، وعرفوا الشيخ عنه إنه فاضل، فصار يسأله عن لغة، فيذكر شيئا من عنده ويستشهد عليه بشعره، فيكتب الشيخ ما يقوله، إلى أن اجتمعت عنده كراريس، فلما قصد التوجه جاء إليه وقال: ياسيدنا، لاتعتمد على هذه الكراريس، فإنى ارتجلتها فشق على الشيخ وغسلها(٣).

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى أن صدر الدين بن الوكيل (المتوفى سنة ٧١٦هـ)، كان «إذا مرض غسل مانظمه من الشعر»(٤).

---

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٦: ٢٣٥ .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة ، ٣ : ٣٩ .

(٣) الأدفوى، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة، (القاهرة: ١٩١٤م)، ص ٣٥٤ .

(٤) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة ، ٤ : ١٢٠ .

وربما أقدم ابن الوكيل على غسل شعره، لإحساسه بأن شعره يتنافى مع الإسلام، ويبعده عن رضا الله - عز وجل - عنه.

وجاء فى ترجمة ابن أبى السعود، أحمد بن إسماعيل (المتوفى سنة ٨٧٠ هـ) قول السخاوى: «.... وأعرض بآخرة عن تعاطى الشعر بأن غسل جميع ما كان من نظم ونثر بحيث لم يتأخر منه إلا ما كان برز قبل، ويقال: إن ذلك لم يكن عن قصد وإنما اتفق أنه جمع أوراق نظمه ثم أفرد منها ما لا يرتضيه ليغسله ففاجأه بعض أصحابه فقام لتلقيه، وأمر بعض من كان عنده بغسل الأوراق التى عن يمين مجلسه فاشتبه الأمر عليه بحيث بحيث غسل ما كان يجب بقاؤه فلم عاد سقط فى يده وغسل الباقى....»(١).

وقد يقدم بعض العلماء على محو ما لديه من على صفحات الكتب المصنوعة من الرقوق والجلود بغية نسخ مؤلف جديد أوتدوين أمور أخرى، وذلك بسبب قلة إنتاج القراطيس وارتفاع كلفتها. خصوصًا فى القرن الهجرى الأول والنصف الأول من القرن الثانى الهجرى.

٦ - دفن الكتب:

من الظواهر الغريبة التى حدثت فى التاريخ العربى الإسلامى قيام بعض المؤلفين والعلماء بدفن كتبهم، أو الزج بها بإحدى المغارات، وهذا الفعل يعد من المصائب التى ابتلى بها التراث العربى الإسلامى المخطوط، نتيجة للتعصب ، أو قلة التدبير، فكم من المخطوطات فقدناها نتيجة لهذا التصرف الذى ندد به بعض كبار العلماء؛ حيث أنكروا دفن الكتب، ومن بين هؤاء العلماء: ابن الجوزى حيث قال(٢): «ولقد ذاكرت بعض مشايخنا، ما يروى عن جماعة من السادات، أنهم دفنوا كتبهم، فقلت له: ما وجه هذا؟ فقال: أحسن ما نقول أن نسكت! يشير إلى أن هذا جهل من فاعله، وتأولت أنا لهم فقلت: لعل ما دفنوا من كتبهم، فيها شىء من الرأى، فما رأوا أن يعمل الناس به، وقد روينا عن أحمد بن أبى الحوارى: أنه أخذ كتبه فرمى بها فى البحر وقال: نعم الدليل كنت، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول، وهذا إذا أحسنا به الظن. قلنا: كان فيها من كلامهم مالا يرتضيه، فأما إذا كانت علومًا صحيحة، كان هذا من أفحش الإضاعة. وأنا وإن تأولت لهم هذا، فهو تأويل صحيح فى حق العلماء منهم، لأنا قد

---

(١) السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١: ٢٣١ .

(٢) ابن الجوزى، صيد الخاطر؛ تحقيق ناجى الطنطاوى، ط ٥، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٥٨ .

روينا عن سفيان الثورى: أنه قد أوصى بدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم، وقال: حملنى شهوة الحديث. وهذا لأنه كان يكتب عن الضعفاء والمتروكين. فكأنه لما عسر عليه التمييز، أوصى بدفن الكل. وكذلك من كان له رأى من كلامه ثم رجع عنه، جاز أن يدفن الكتب التى فيها ذلك. فهذا وجه التأويل للعلماء».

ويواصل ابن الجوزى حديثه بالقول:

«فأما المتزهدون الذين رأوا صورة فعل العلماء ودفنوا كتبًا صالحة لئلا تشغلهم عن التعبد، فإنه جهل منهم، لأنهم شرعوا فى إطفاء مصباح يضىء لهم، من الإقدام على تضييع ما لا يحل. ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم، يوسف بن أسباط ثم لم يصبر عن التحديث، فخلط. فعُدَّ من الضعفاء. أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا محمد بن المظفر الشامى، قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقى، قال حدثنا يوسف بن خالد الخلال، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت ليوسف بن أسباط: كيف صنعت بكتبك؟ قال: جئت إلى الجزيرة، فلما نضب الماء دفنتها حتى جاء الماء عليها، فذهبت. قلت: ما حملك على ذلك؟ قال: أردت أن يكون الهم همًا واحدًا. قال العقيلى: وحدثنى آدم، قال: سمعت البخارى قال: قال صدقة: دفن يوسف بن أسباط كتبه، وكان بعد يغلب عليه، فلا يجىء كما ينبغى. وقال المؤلف: قلت: الظاهر أن هذه كتب علم ينفع، ولكن قلة العلم أوجبت هذا التفريط الذى قصد به الخير، وهو شر. فلو كانت كتبه من جنس كتب الثورى، فإن فيها عن ضعفاء ولم يصح له التمييز، قرب الحال إنما تعليله يجمع الهم، هو دليل على أنها ليست كذلك، فنظر إلى قلة العلم، ماذا تؤثر مع أهل الخير»(١).

ويضيف ابن الجوزى قائلا: «فى الناس من غلب عليه قصر الأمل وذكر الآخرة، حتى دفن كتب العلم، وهذا الفعل عندى من أعظم الخطأ، وإن كان منقولاً عن جماعة من الكبار، ولقد ذكرت هذا لبعض مشايخنا فقال: أخطأوا كلهم. وقد تأولت لبعضهم بأنه كان فيها أحاديث عن قوم ضعفاء ولم يميزوها، كما روى عن سفيان الثورى فى دفن كتبه، أو كان فيها شىء من الرأى فلم يحبوا أن يؤخذ عنهم، فكان من جنس تحريق عثمان - رضي الله عنه - للمصحاف، لئلا يؤخذ بشىء مما فيها من المجتمع على غيره. وهذا التأويل يصح فى حق علمائهم»(٢).

(١) ابن الجوزى، صيد الخاطر، ص ٥٩ .

(٢) ابن الجوزى، صيد الخاطر، ص ١٦٤ .

وهذا أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ)، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر، وورع معروف، دفن كتبه فى بطن، فلم يوجد لها أثر(١).

وقد ذكر يحيى بن معين عن عبدالله بن نمير قال: كان على بن سليمان (من علماء القرن الثانى الهجرى)، يجيئنى فيسألنى: كيف كذا، وكان قد دفن كتبه(٢).

وممن دفن خزانة كتبه: على بن مسهر القرشى (المتوفى سنة ١٨٩هـ)، كان ثقة، جمع الفقه والحديث، وولى قضاء الموصل، ثم قضاء أرمينية ولما قدم أرمينية اشتكى عينه، فقال قاض كان قبله للكحال أكحله بما يذهب عينيه ثم أعطيك مالا، فكحله فذهبت عينه، فرجع إلى الكوفة أعمى، وعرف فى عصره من المحدثين الثقاة. دفن خزانة كتبه وهو من متقنى أهل الكوفة(٣).

وهناك أيضًا خزانة عطاء بن مسلم الخفاف (المتوفى سنة ١٨٩ هـ وقيل ١٩٠هـ)، وكان من أهل الكوفة، وكان قد نزل حلب فى فترة من حياته، وورد عنه أنه دفن خزانة كتبه قبل وفاته(٤).

وكان لأبى كريب محمد بن علاد الهمدانى (المتوفى سنة ٢٤٨هـ)، خزانة كتب أوصى قبل وفاته أن تدفن معه فدفنت(٥).

وقد قام مؤمل أبو عبدالرحمن بن إسماعيل العدوى، المتوفى سنة ٣٠٦هـ بدفن كتبه(٦).

وأوصى ابن الحذاء القرطبى، محمد بن يحيى بن أحمد (المتوفى سنة ٤١٦هـ)، أن يدفن كتابه «الإنباه عن أسماء الله» على صدره(٧).

وجاء فى ترجمة الحافى، بشر بن الحارث بن عبدالرحمن، ابن عطاء أبو نصر

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١٥: ٢١ .

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٨: ٤٢٨ .

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٨: ٤٢٦ ـ ٤٢٨ .

(٤) الرازى ، عبدالرحمن بن محمد، الجرح والتعديل. حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧١.١٣٧٣هـ/١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م)، ٦ : ٣٣٦.

(٥) ابن طاهر القيسرانى، تذكرة الحفاظ؛ تحقيق حمدى السلفى الرياض: دار الصميعى، ١٤١٥هـ، ٢ : ٤٩٧.

(٦) ابن حجر العسقلانى، تهذيب التهذيب، حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ، ١٠: ٣٨٠ .

(٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ١٧: ٤٤٤ .

المرزوى (المتوفى سنة ٦٦٧هـ)، قول الخطيب عنه: «كان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها ودفن كتبه لأجل ذلك»[(١)].

وذكر ابن حجر أن ابن أبى حجلة، أحمد بن يحيى ابن أبى بكر التلمسانى (المتوفى سنة ٧٧٦هـ) أمر عند موته أن يوضع مصنفه الذى عارض فيه قصائد ابن الفارض فى نعشه، بل يدفن فى قبره [(٢)].

ومن العلماء من ترك كتبه فى البرية؛ فقد ذكر السخاوى أن أبا بكر بن محمد بن شادى الحصنى الشافعى (المتوفى سنة ٨٨١هـ)، عاد من طريق العراق، وأخذ جميع ما معه من كتب وغيرها فألقيت الكتب بالبرية لعدم التفاتهم إليها ولكنه لم يجد محمولها فتركها ونجا بنفسه[(٣)].

ثانيًا - جهل الورثة بعد وفاة العلماء:

من الأسباب التى أدت إلى تشتت المخطوطات وضياعها وفاة العلماء وأصحاب المكتبات الخاصة، حيث تئول ممتلكاتهم من الكتب عن طريق الوراثة إلى أبناء مالكيها أو غيرهم من الورثة، فيؤدى ذلك إلى بعثرتها من جهة وعدم العناية بها من جهة أخرى لاسيما حين لا يكون الأبناء من محبى العلوم والثقافة، فتتعرض للتلف وقد تباع بأبخس الأثمان لمن لايعرف قدرها، وفى أماكن متعددة، وقد يتم التخلص منها بطريقة أو بأخرى.

جاء فى ترجمة محمد بن يحيى الذهُلى (المتوفى سنة ٢٥٨هـ)، قول ابن الشرقى عن مصير كتبه: سمعت أبا عمرو المستملى، يقول: دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفى جزء[(٤)].

ومنهم من ضاعت كتبه بعد موته فقد ذكر أن أحمد بن عبدالملك بن الشهيد (المتوفى سنة ٤٢٦هـ)، كانت له مكتبة فى منزله تحتوى على عدد ضخم من الكتب؛ لأنه كان كاتبًا لكن هذه المكتبة أهملت بسبب أولاده من بعد وفاته[(٥)].

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٠: ٤٦٩ .
(٢) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة ، ١ : ٣٢٩ .
(٣) السخاوى، محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١١: ٧٦ .
(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٢: ٢٧٨ .
(٥) ابن بسام، على بن محمد، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة؛ تحقيق إحسان عباس بيروت: دار الثقافة، د.ت ، ١ : ١٩٧ .

ويقول ابن أبى أصيبعة: «حدثنى نسيب لموفق الدين بن المطران (المتوفى سنة ٥٨٧هـ)، أنه لما توفى كانت عنده مسودات عدة مصنفات طبية وغيرها وتعاليق متفرقة، فأخذ أخواته تلك المسودات وضاعت بينهن، وقال لى: إنه رأى عند إحداهن صندوقًا أرادت أن تبطنه وقد ألصقت فى باطنه مجلدة من هذه الأوراق التى بخطه»[١].

وكان خليل عبدالله خير الدين البابرتى العنتابى (من علماء القرن التاسع الهجرى)، يعاشر الأمراء كثيرًا،وخلف كتبًا كثيرة بعد موته[٢] ولكنها أهملت ولم يعن بها. وحدث لمحمد أمين العمرى (المتوفى سنة ١٢٠٣هـ)، الشىء نفسه فجميع متروكاته وأوراقه صارت بعد وفاته شذر مذر[٣].

وحول جهل الورثة بقيمة المخطوطات تقول عائشة عبدالرحمن: «أذكر فيما أعى من ذكريات طفولتى قاعة مظلمة مهجورة فى بيت جدى لأمى بدمياط، كدست فيها أكوام من المخطوطات معفرة بالتراب تعبث فيها العتة والأرضة، وبين حين وآخر كانت أوراق منها تؤخذ فينفض عنها التراب وتستخدم فى بعض الأغراض المنزلية الهينة دون تهيب أوتحرج. وربما تسلل صغار الأسرة - وأنا منهم - فحملوا منها وقودًا للحرائق الصغيرة التى جرت عادتنا على إشغالها فى الصبح الباكر من شم النسيم[٤].

ويقول زهير الشاويش: ومما سمعته منذ سنوات أن إحدى المكتبات العامة اشترت مكتبة أحد العلماء الأفاضل - بعد موته - وعندما جرى تحميل الكتب نادتهم زوجة المتوفى طالبة منهم حمل صندوق تركوه.. ولما قالوا لها: هذا الصندوق لاعلاقة له بالكتب المشتراة، أصرَّت عليهم لأخذه.. لأن الصندوق يضايق مدخل المنزل!!

وحملوا الصندوق... وإذا فيه مجموعة من إجازات ذلك العالم، وبعض نوادر المخطوطات التى تساوى ثلاثة أضعاف ما قدروا ثمنًا للمكتبة كلها[٥].

ثالثًا- غيرة النساء:

تسببت غيرة النساء من الكتب فى إضاعة بعضها، حيث نقلت لنا بعض المصادر قصصًا وحكايات من هذا القبيل.

---

(١) ابن أبى اصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ٢ : ١٨١ .

(٢) السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٣: ١٩٩ .

(٣) محمود شكرى الألوسى، المسك الأذفر فى نشر مزايا القرن الثانى عشر والثالث عشر؛ تحقيق عبد الله الجبورى، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ١٩٨٢/م، ص ٤٤٤ .

(٤) عائشة عبدالرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م)، ص ٣٩ .

(٥) زهير الشاويش، هوامش دفتر المخطوطات، بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ص ١٧ - ١٨ .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره السيوطى: أنه كان عند الليث بن المظفر نسخة من «كتاب العين»، وكان لايزال مكبًا عليه مقبلاً على حفظه، واتفق أنه «اشترى جارية نفيسة، فغارت ابنة عمه وقالت: والله لأغيظنه. وإن غظته فى المال لايبالى، ولكنى أراه مكبًا ليله ونهاره على هذا الكتاب. كتاب «العين» المنسوب للخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٠هـ)، . والله لأفجعنه به فأحرقته. فلما علم اشتد أسفه، ولم يكن عند غيره منه نسخة[١]».

وقد كاد أمر هذا الكتاب . بعد حرقه . يطوى من صحيفة الوجود، لولا أن الليث بن نصر بن سيار، تلميذ الخليل، قد أقبل على حفظ هذا الكتاب فى حياة مؤلفه، فحفظ منه النصف، فلما مات أستاذه «أملى النصف من حفظه، وجمع علماء عصره وأمره أن يكملوه على نمطه. وقال لهم: مثّلوا واجتهدوا. فعملوا هذا التصنيف الذى بأيدى الناس[٢].

وقد عبّرت زوجة الزهرى عن غيرة النساء من الكتاب . وإن لم تقم بإتلاف شىء منها . عندما رأت الكتب حوله يشتغل بها عن كل شىء من أمور الدنيا، فقالت له: «والله لهذه الكتب أشد علّى من ثلاث ضرائر»[٣].

رابعًا - الهدايا:

وهناك الكثير من المخطوطات الثمينة والغنية بزخارفها وموضوعاتها وجلودها أهديت إلى شخصيات غربية زارت بلادنا العربية.

وعملية إهداء المخطوطات التى تعود ملكيتها للدولة أو الناس جميعًا ليست بالأمر الحديث، فقد تعرضت مقتنيات المكتبة الملحقة بمسجد الكواكبى بمدينة حلب إلى الضياع والاختفاء نتيجة للإهمال تارة، والإهداءات غير المسئولة التى كان يقوم بها المشرفون على المكتبة لأولى الأمر وخاصتهم تارة أخرى[٤]. وذُكر بأن أكثر مجموعات الكتب ثراء فى مسجد الأمويين بدمشق مجموعة مكتبة «قبة المال» التى كانت ملحقة ببيت المال وتمثل موقعًا وسطًا بمسجد الأمويين، وكانت تحتوى على مخطوطات بلغات مختلفة تناولت الحضارات القديمة ومختلف فنون المعرفة إلى جانب المصاحف

(١) السيوطى، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ٢: ٢٤٥ .

(٢) السيوطى، بغية الوعاة ...، ٢: ٢٤٥ .

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١: ٤٥١ .

(٤) محمد أسعد طلس، "المخطوطات وخزائنها فى حلب"، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، (مايو ١٩٥٥م)، ع١، مج١، ص ص ١٦ . ١٩ .

والكثير من الوثائق الشرعية والإدارية التى تتعلق بعقود البيع والشراء والزواج والإرث والوصايا والهبات وغيرها. وأغلب هذه المخطوطات فقدت بسبب قيام السلطان العثمانى عبدالحميد الثانى بإهداء الكثير من المخطوطات القيمة منها والثمينة إلى الإمبراطور الألمانى وليام الثانى وتوزيع الباقى على أعيان مدينة استانبول ودمشق وكبرائها. وما تبقى وهو القليل حفظ فى الأرشيف الوطنى بدمشق.

وذكرت بعض المصادر قيام السلطان العثمانى عبدالحميد الثانى استجابة لاقتراح من الإمبراطور العام الألمانى وليام الثانى عام ١٣١٧هـ بفتح محتويات مكتبة «قبة المال» فى الجامع الأموى بدمشق وفحصها، وعندما انتهت المهمة، أصدر مرسومًا بأن يرسل معظم ما فيها من مخطوطات نادرة هدية شخصية للحاكم الثانى(١).

خامسًا - المجلدون:

ومن الأسباب التى أدت إلى ضياع كتب التراث العربى الإسلامى المخطوط قيام بعض المجلدين بتجليد المخطوطات باستخدام أوراق مخطوطات أخرى، وذلك بضمها مع بعضها البعض، وقد تحتوى هذه الزوراق على رسائل صغيرة أو وثائق ذات قيمة علمية مهمة قد لايدرك قيمتها المجلد.

يقول السخاوى عن كتب ناصر بن أحمد بن يوسف البسكرى (المتوفى سنة ٨٢٣هـ)،: إنه شرع فى جمع تاريخ للرواة لو قدر له أن يبيض لكان مائة مجلدة جمع منه فى مسوداته ما لا يعد ولا يدخل تحت حصر، ولم يقدر له أن يبيضه ومات فتفرقت مسوداته شذر مذر، ولعل أكثرها عمل بطائن لجلود الكتب(٢).

وعن تأثير بعض المجلدين وتسببهم فى ضياع بعض المخطوطات العربية الإسلامية يقول عبدالله الحبشى: كثير من الكتاب ضاعت بسبب قيام بعض المجلدين الجهلة بإلصاق الأوراق ببعضها البعض لتصبح ورقة واحدة غليظة تقوم مقام البطانة، ومن يتأمل الجلود لتلك الكتب القديمة يجد مصداق ما قلنا؛ بل إنى استطعت أن أستخلص من جلد واحد الأوراق الأولى لعدة كتب نادرة(٣).

---

(١) محمد كرد على، خطط الشام. دمشق: مطبعة الترقى، ١٩٢٦م، ٦: ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢) السخاوى، الضوء اللامع ...، ١٠: ١٩٥ .

(٣) عبدالله الحبشى، الكتاب فى الحضارة الإسلامية، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص ١٢٠ .

المبحث الثانى
الفتن والصراعات الداخلية

من الأسباب التى أدت إلى ضياع الكثير من تراثنا العربى الإسلامى المخطوط الفتن الداخلية التى حدثت فى عالمنا العربى والإسلامى، والتى انتشرت وترعرعت فى مناطق متعددة وأوقات مختلفة، ووجدت من يشجعها وينميها ومن بين هذه الفتن :

أولاً - الصراع المذهبى:

أدى الصراع المذهبى بين الفرق الإسلامية إلى ضياع الكثير من كتب التراث العربى الإسلامى . وبالنظر إلى المذاهب الأربعة فى الإسلام المذهب الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى نجد أنه لا يوجد بين هذه المذاهب أى اختلاف فى أصول الدين. ومع ذلك فقد ذكرت لنا بعض المصادر أن الأمور بين فقهاء دمشق فى العصر الأيوبى كانت لا تجرى على خير، فالتناحر كان على أشده بين الشافعية والحنابلة، وبين الحنابلة والحنفية، وكان هؤلاء الفقهاء يحسد بعضهم بعضاً، ويتعرضون لمذاهب بعضهم بالنقد والتجريح.

وفى القرن الرابع الهجرى، بدأ التفكك واضحاً بين الفرق الإسلامية وذلك أواخر الدولة العباسية وبدأ التعصب المذهبى يدفع الناس إلى مالا يرتضيه الدين نفسه. وكان أكثر المذاهب تنازعاً هما الحنابلة والشوافع فى بغداد وغيرها، وكان الحنابلة - إلى جانب خلافاتهم مع الشافعية - قد اشتدوا فى محاربة الشيعة، وكثرت الفتن بين الشيعة وأهل السنة فى الكرخ ببغداد وغيرها من المدن .

ووسط هذه المظاهر من التطرف والخلافات ظهرت الدعاوى الدينية المنحرفة وسط فئات من الناس المؤيدة لهذا أو ذاك، وبدأ القتل العلنى لمن يخالف فى آرائه رأى الخليفة والفقهاء والعامة، ونتيجة لهذه الدعاوى المنحرفة وتعصب العامة وجدت ظاهرة أخرى إلى جانب القتل العلنى، ألا وهى ظاهرة إحراق الكتب التى تحمل آراء المخالفين.

ومن أمثلة ذلك ما ذكر من أن الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)، دفع عشرة آلاف دينار لخازن مكتبة الخلفاء العباسيين فى بغداد ليحرقها، من أجل إتلاف النسخة الوحيدة المحفوظة فيها من كتاب " المختصر " لأبى الحسن الأشعرى، وهو تفسير ضخم فى خمس مئة مجلدة، لأنه ضد المعتزلة [١].

---

(١) يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١ه/١٩٩١م، ص ٣٠٤ .

ومما ورد فى كتاب إلى الخليفة العباسى القادر بالله (المتوفى سنة ٤٢٢ هـ)، من السلطان الغزنوى، محمود بن سبكتكين (المتوفى سنة ٤٢١ هـ)، أنه فى سنة ٤٢٠ هـ، حارب الباطنية والمعتزلة والروافض فصلب منهم جماعة، " وحول من الكتب خمسين حملاً، ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض، فإنها أحرقت تحت جذوع المصلبين، إذ كانت أصول البدع" (١).

ويقول ابن العديم فى كتاب " الإنصاف " إنه كان بحلب خزانة كتب فى الشرقية التى بجامع حلب، فى موضع خزانة الكتب اليوم. واتفقت فتنة فى بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة، ونهبت خزانة الكتب وكان ذلك فى زمن أبى العلاء المعرى (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ)، ولم يبق فى خزانة الكتب إلا القليل " (٢).

وفى عام ٤٦٠ هـ قام المستنصر الفاطمى بحرق خزانة الكتب فى حلب بعد أن قتل ثابت بن أسلم الحلبى الفقيه الشيعى بسبب كتاب ألفه فى كشف عُوار الإسماعيلية وبدء دعوتهم، وأنها على المخاريق، فأخذه داعى القوم، وحُمل إلى مصر، فصلبه المستنصر، وأحرقت لذلك خزانة الكتب بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلدة (٣).

ومع سقوط دولة الفاطميين الشيعية، وقيام دولة بنى أيوب السنية على أنقاضها فى مصر عام ٥٦٧هجرية أبيدت الكتب الشيعية الفاطمية الموجودة بدار الحكمة بالقاهرة، ثم عمد إلى بقية الكتب حيث تم تشتيتها هنا وهناك(٤).

وتعرضت مدينة القيروان بتونس أثناء فترة حكم الملك العالم المؤيد بن باديس فى القرن الخامس الهجرى إلى الدمار ,وذلك عندما عمد الخليفة إلى الفاطمى المنصور حاكم مصر، الذى كان حانقاً على المؤيد بن باديس لتمرده على سلطته الروحية، وتركه للمذهب الشيعى وإتباعه للمذهب السنى - إلى تحريض الآلاف من رجال القبائل العربية من بنى هلال وبنى سليم، وإرسالهم للقضاء على حكم أسرة الصنهاجى فى تونس .

ودخلت القبائل المصرية مدينة القيروان بعد انتصارها على ابن باديس حوالى عام ٤٤٩هجرية وانسحب ابن باديس تاركاً عاصمة ملكه عرضة للنهب والتخريب على يد القوات الغازية. وكان أن انسحب أولاً إلى سابرا، ومنها توجه إلى مدينة المهدية، حيث

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٢: ٣١٠ .
(٢) يوسف العش، دور الكتب العربية ....، ص ص ١٦١، ١٦٢ .
(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨ : ١٧٦ .
(٤) محمد جبر أبو سعده، " مكتبة القاهرة الفاطمية"، القاهرة: مجلة الأزهر، (محرم ١٣٩٠هـ/ مارس ١٩٧٠م)، ص ٧١ .

توفى فيها بعد بضع سنوات، وفى غمار حالة الفوضى وعدم الاستقرار التى أصابت البلاد فى تلك الفترة، تعرضت الغالبية العظمى من مجموعات الكتب بالقيروان إلى السلب والنهب والتخريب، بما فى ذلك تلك المجموعات الثمينة التى كانت موجودة فى المكتبة العتيقة، ولم يُستثنَ من ذلك إلا مجموعة صغيرة من المخطوطات النادرة، يقال: إنها كانت مخبأة فى مقصورة ابن باديس الخاصة بالمسجد، ولم يتنبه إليها الغزاة [(١)].

وبالرغم من الدمار الشامل الذى تعرضت له المكتبة، العتيقة إلا أنها استعادت تدريجياً بعض ما كانت عليه من رونق وبهاء .

وقد مر قرنان من الزمان قبل أن تعوض المكتبة العتيقة بمسجد القيروان ما فقدته من مقتنيات، وتسترد مكانتها المعهودة، إلا أن هذا الازدهار الوقتى لم يستمر طويلاً .فقد زار العالم المصرى محمد بيرم مدينة القيروان عام ١٣١٥هجرية، ووصف حالة المكتبة فى ذلك الوقت قائلاً : " كان يوجد داخل المقصورة خزانتان كبيرتان مملوءتان برزم من الأوراق .المربطة معاً بالحبال والخيوط، والتى تشتمل - فى مجملها - على أشتات متناثرة من صفحات الكتب المختلفة مع بعضها البعض بدون ترتيب أو نظام تعلوها الأتربة ونسيج العنكبوت، ويبدو أن هذا يمثل كل ما تبقى من كنوز مكتبة القيروان .التى عانى الكثير من الحكام والملوك فى جمعها وحفظها[(٢)].

وذكر الذهبى فى " سير أعلام النبلاء " أن السلطان يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ)، مال إلى الظاهر وأعرض عن المالكية وأحرق ما لايحصى من كتب الفروع، وقال عبد الواحد بن على: كنت بفاس فشهدت الأحمال يوتى بها فتُحرق " [(٣)].

وذكر السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ)، أن خانقاه قوصون بالقرافة بنيت فى سنة ست وسبعمائة، وأول من ولى مشيختها الشمسى محمود الأصفهانى، الإمام المشهور صاحب التصانيف المشهورة، وكانت من أعظم جهات البر، وأعظمها خيراً، إلى أن حصلت المحن سنة ست وثمانمائة، فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها [(٤)].

---

(١) محمد بيرم، " مدينة القيروان"، المقتطف، (ابريل ١٨٩٧م)، ٢١: ٢٤١ ـ ٢٤٦ .

(٢) محمد بيرم، " مدينة القيروان"، ٢١: ٢٤١ـ ٢٤٦ .

(٣) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ٢١ : ٣١٣ .

(٤) السيوطى ، عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م، ٢ : ٢٦٦ .

ويقول زهير الشاويش: ومن أواخر ما سمعنا، ما ذكرته فى مقدمة " الكلم الطيب " وخلاصته أن أحد الأمراء استوطن دمشق فى أواخر القرن الماضى، وكان ذا سلطان ومال، فقام بجمع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية - وأمثالها من مؤلفات علماء السلف - وحرقها، وإن تعذر عليه ذلك، ولم يستطع أن يلزم ملاكها بحرقها، كان يستوهبها أو يشتريها منهم. وربما التمس وسائل أخرى، وفى بعض منها: التدليس والتحايل والتهديد، مثل أن يقول له: أعطنا الكتاب لندرسه! فإذا طالب به صاحبه، قال له: درسناه ... ويقصد بالثانية: الإتلاف، بينما فهم منه المالك فى الأولى المدارسة والاطلاع !! وكان ذلك انتصاراً منه لمذهب الحلول والاتحاد وإتباعاً لابن عربى، محمد بن على (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ) (١).

ثانيًا - اضطهاد العلماء وإتلاف كتبهم بسبب مذاهبهم وآرائهم أو مواقفهم:

تعرض بعض العلماء للاضطهاد وإتلاف مصنفاتهم وممتلكاتهم من الكتب إما لمذهب مخالف اعتنقوه أو بسبب الزندقة والفلسفة والتحدث بالغيب أو نتيجة اختلاف فى الرأى إلى غير ذلك من الأسباب الأخرى.

١ - الاختلاف المذهبى:

ومن بين العلماء الذين تعرضوا للاضطهاد وحرق وإتلاف مصنفاتهم بسبب اعتناقهم لمذاهب تخالف مذاهب حكامهم: أبو جعفر الطوسى محمد بن الحسن بن على (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ)، شيخ الشيعة، أحرقت كتبه عدة نوب فى رحبة جامع القصر (٢).

وقام أمراء المرابطين بحرق كتب الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ)، خاصة كتاب "إحياء علوم الدين" حيث انقسم الناس فيه إلى فريقين: الأول: يرى أن الكتاب يشترى بوزنه ذهباً وهم الصوفية، والفريق الثانى يرى أنه يحرق بوزنه حطباً (٣).

ويعلق الذهبى على إحراق كتب الغزالى بالقول: إن كتاب " الإحياء " فيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لو لا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفى الصوفية. ولعل هذا السبب الذى أدى إلى إحراق كتبه(٤).

(١) زهير الشاويش، هوامش دفتر المخطوطات، ص ١١ .
(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨: ٣٣٥ .
(٣) أحمد بن عبدالله الباتلى، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت، ص ٢٧ .
(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٩: ٣٢٩ .

وزين بن خليل بن موسى بن يوسف الزين الأنصارى الخزرجى العاملى (المتوفى سنة ١٢١١هـ)، فاضل إمامى قتله أحمد الجزار الحاكم التركى فى قرية " تبنين" وأحرق جثته ومكتبته سنة ١٢١١هـ (١).

ومحمد بن حسن بن على العاملى (المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ)، وهو جّد " آل شكر " الشيعة فى بعلبك. قتله أحمد باشا الجزار وأحرق كتبه (٢).

والقورصاوى، عبد النصير بن إبراهيم (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فقيه سلفى العقيدة جاهر بنبذ التقليد، وعندما زار بخارى لقى فيها من أنصار التقليد أذى كبيراً، فأحرقوا بعض كتبه وأفتوا بقتله (٣).

وهكذا أدت الخلافات المذهبية إلى خسارة فادحة أضاعت الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط والأمثلة كثيرة فى بطون الكتب إلا أن الدارس اقتصر على بعض النماذج للتدليل على خطورة الخلافات المذهبية وأثرها فى إضاعة التراث.

٢ - الزندقة والفلسفة:

ومن الأسباب التى أدت إلى ضياع الكثير من كتب التراث مناوأة رجال الفلسفة واتهام بعض المصنفين من العلماء بالزندقة والاشتغال بالفلسفة والتنجيم.

ولقد لقيت كتب الفلسفة والتنجيم اهتماماً لدى بعض خاصة الناس فى بعض مناطق المملكة الإسلامية كالأندلس، إلا أنهم لم يكونوا يستطيعون التظاهر بها خوفاً من العامة.

وكان يطلق اسم " زنديق " على كل من قيل عنه (فلان يقرأ الفلسفة) أو يشتغل بالتنجيم ، فيرجم بالحجارة ويقتل من يشتبه به .

وبعض الملوك كانوا يأمرون فى كثير من الأحيان بحرق كتب هذا الشأن إن وجدت.

يقول صاحب " نفح الطيب... " فى سياق حديثه عن الثقافة فى بلاد الأندلس : "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ، ولا يتظاهر بها خوف العامة ، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فإن زل فى شبهة

---

(١) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٣: ٦٣ .

(٢) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٦: ٩٢ .

(٣) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٤: ١٧١ .

رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة ، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور ابن أبى عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك فى الباطن على ما ذكره الحجارى[١] " .

وذكر الجاحظ فى كتاب " الحيوان " أن الزنادقة قد عرفوا بزخرفة كتبهم فكانوا يختارون لها الحبر الأسود المزوق بالبراق والورق النقى البياض، وكانوا يبالغون فى استخدام الذهب والفضة فى تحليتها. وعندما أحرقت كتبهم سنة ٣١١ هـ سقط منها قدر كبير من الفضة والذهب [٢].

وعندما تولى المنصور ابن أبى عامر (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ)،الحكم فى الأندلس أمر بحرق كتب الفلسفة التى كانت موجودة بمكتبة قرطبة فى ميدان عام إرضاء للعامة والفقهاء فى عهده . فأحرقت بمشهد من العلماء ، وطمر كثير منها ، وكانت كثيرة جداً[٣] .

وقد عمل صاحب المغرب يعقوب بن السلطان يوسف مكتباً للأطفال الأيتام وقام بإحراق كتب الفلسفة وترك كتب الطب والهندسة[٤].

وجاء فى ترجمة ابن تاشفين السلطان، صاحب المغرب، أمير المسلمين أبوالحسن، على ابن صاحب المغرب يوسف بن تاشفين، البربرى، ملك المرابطين: أن الفلسفة أهينت فى عصره، ومُجَّ الكلام، ومقت، واستحكم فى ذهنه أن الكلام بدعة ما عرفه السلف، فأسرف فى ذلك، وكتب يتهدد، ويأمر بإحراق الكتب، وكتب يأمر بإحراق تواليف الشيخ أبى حامد، وتوعد بالقتل من كتمها [٥].

وذكر الذهبى قصة إحراق مكتبة عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر ابن أبى صالح بن جنكى دوست الجبلى المتوفى سنة ٦١١ هـ)، البغدادى المدعو بالركن (عاصر الخليفة العباسى الناصر لدين الله (المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية) والذى عرف عنه اهتمامه بجمع الكتب الخاصة بعلوم الأوائل، ومن بينها كتب الفلسفة والكتب العلمية. وهذا أدى إلى التشهير به وحكم بفسقه. وقد أدى ذلك إلى إحراق كتبه .

(١) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م، ٦: ١٠٧، ٢٠٥ .

(٢) الجاحظ، الحيوان، ط٢، القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى، د. ت، ١: ٥٨،٥٧ .

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٧: ١٥ .

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ٣١٧ .

(٥) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢٠ : ١٢٤ .

يقول القفطى : عندما برزت الأوامر الناصرية بإخراجها إلى موضع فى بغداد يعرف بالرحبة لحرقها بحضور الجمع الجم . ففعل ذلك وكلف بتنفيذ هذه المهمة عبيدالله التيمى البكرى، المعروف بابن المارستانية، وجعل له منبر صعد عليه وخطب خطبة لعن فيها الفلاسفة ومن يقول بقولهم ، وذكر الركن عبد السلام صاحب المكتبة بشر وكان يخرج الكتب التى له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه ويبالغ فى ذمه وذم مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه فى النار[١] .

وذكر أن أبا فضل الله بن أبى الخير بن غالى الهمذانى له تفسير على القرآن فسره على طريقة الفلاسفة، فنسب إلى الإلحاد، وقد أحرقت تواليفه بعد قتله[٢] . كما قام يعقوب ابن السلطان يوسف بإحراق كتب الفلسفة سوى الطب والهندسة[٣] .

وكان ابن مسرة من الزهاد الذين تتبعت مصنفاته بالحرق وهجرت، وحجرت على الناس. وقد وصفها الفتح بن خاقان بأنها مقالات ردئة بعدت به عن سبيل الرشد[٤].

ولسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ)، صاحب كتاب "الإحاطة فى أخبار غرناطة". وجهت إليه تهمة الزندقة و سلوك مذهب الفلاسفة وأفتى بعض الفقهاء بقتله. نسبوا إليه أقوالاً ومقالات مما جاء فى بعض كتبه ورسائله أولوها وفق مقاصدهم، وزعموا أن فيها ما يتضمن طعناً فى النبى. صلى الله عليه وسلم. وتولى صوغ الاتهام عدو ابن الخطيب الألد القاضى أبو الحسن النباهى، وأفتى بحرق كتبه التى تتناول العقائد والأخلاق، ويقول أبو الحسن : إن هذه الكتب قد تم إحراقها بالفعل فى حضرة غرناطة فى منتصف عام ٧٧٣هجرية[٥].

وفى سنة ٩٠٢ هـ قام الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب القرشى (المتوفى سنة ٩٢٣ هـ)، بمعاقبة رئيس الإسماعيلية فى مدينة تعز باليمن بسبب تحدثه بالمغيبات، فقبض عليه وألقاه فى دار الأدب، وأمر بإحضار كتبه وإتلافها فأتلفت[٦].

(١) ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ؛ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى. بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د.ت ، ٥ : ٩٨ .

(٢) ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٣: ٤٦٤ .

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢١: ٣١٧ .

(٤) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ٥: ٩٧ .

(٥) لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ تحقيق محمد عبدالله عنان. القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٧٣ - ١٩٧٧م ، ١ : ٥٠ .

(٦) العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٢١ .

٣ - الاختلاف فى الرأى:

ذكرت بعض المصادر قيام البعض من العلماء أو غيرهم بإتلاف كتب غيرهم ممن يختلفون معهم فى الرأى.

ومن أمثلة هؤلاء: نعيم بن حماد (المتوفى سنة ٢٠٧هـ)، قال: أنفقت على كتب إبراهيم ابن أبى يحيى خمسة دنانير، ثم اخرج إلينا كتاباً فيه القدر وكتاباً فى رأى جهم، فقرأته فعرفت، فقلت: هذا رأيك: قال: نعم فحرقت بعض كتبه وطرحتها. وهذا يدل على أن سبب حرق كتبه اختلاف الرأى علماً بأن إبراهيم لم يكن من الثقات.[١]

وقيام خازن مكتبة رباط المأمونية فى بغداد بإتلاف كتاب " نقض القرآن" لأبى العلاء المعرى لمجرد أنه لا يتفق معه فى الرأى[٢].

وقيام الأديب النحوى على بن عيسى الربعى (المتوفى سنة ٤٢٠هـ) بوضع كتاب سيبويه فى إناء وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان ويقول لا أجعل أولاد البقالين نحاة بسبب منازعة أحد التجار له فى مسألة[٣].

وقيام تقى الدين السبكى(المتوفى سنة ٧٥٦هـ)، بتقطيع كتاب " الطرائف" وغسله بسبب ذكر صاحبه بعض المسائل التى لم تعجب السبكى [٤].

٤ - الحقد والحسد:

وممن احرقت كتبه بسبب الحقد والحسد: ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد الأندلسى القرطبى (المتوفى سنة ٤٥٦هـ)، حيث أمر المعتضد بن عباد (المتوفى سنة ٤٦٤هـ)، صاحب إشبيليا بحرق كتبه.

جاء فى ترجمة ابن حزم أنه كان من محبى الكتب، وجمع منها أعداداً جمة، كما ألف العديد من الكتب، وأضحت مكتبته من بين أضخم المكتبات الخاصة فى بلاد الأندلس. نظر إليه البعض بعين الحقد والحسد وأثاروا حوله الجدل، مما حدا بابن عباد صاحب إشبيليا أن يأمر بحرق كتبه علناً.

ويذكر الذهبى سبب إحراق كتب ابن حزم بقوله: " بسط (ابن حزم) لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الأئمة فى الخطاب بل فجج العبارة وسبّ وجدّع فكان جزاؤه من جنس

(١) الذهبى، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ١: ٦١ .

(٢) شعبان خليفة، الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، ص ٢٥٦ .

(٣) ياقوت الحموى، معجم الدباء، ١٤: ٧٩ .

(٤) شعبان خليفة، الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، ص ٢٥٦ .

فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها، وأحرقت[١].

وقد يكون الكذب أحد أسباب حرق الكتب. قال على بن حيان: ذهبنا مع عمر بن هارون بن يزيد بن جابر بن سلمه (المتوفى سنة ٧٤٥هـ)، وقد اتهم بالكذب. ولما تبين لنا أمره بعد ذلك فحرقت حديثه كله ما عندى عنه كلمة إلا أحاديث على ظهر دفتر[٢].

٥ - نقمة الحكام:

تعرضت بعض كتب التراث للحرق بسبب نقمة بعض الحكام.

ومن أمثلة ذلك: ما قام به الحكم بن هشام (المتوفى سنة ٢٠٦هـ)، من ملوك بنى أمية بالأندلس حيث نمى إليه أن أهل الريض. وهى محلة متصلة بقصره. يدبرون مكيدة للإيقاع به فقام بإحراق جميع الكتب الموجودة لدى أهل الريض.[٣]

وقد يقوم الخليفة بحرق كتب عالم انتقاماً منه لجرم ارتكبه ومثال ذلك ما قام به أحد خلفاء الدولة العباسية، يوسف بن محمد العباسى (المتوفى سنة ٥٦٦هـ)، فقد ثبت له أن قاضيًا يعرف بابن المرخم أخذ أموالاً كثيرة من الناس بالباطل فقام بحبسه ومصادرة أمواله وحرق كتبه[٤].

ومن الأمثلة الأخرى على انتقام الحكام من بعض العلماء ما حدث لمحمد بن عبدالله، ابن الأبّار (المتوفى سنة ٦٥٨هـ)، كان من أعيان المؤرخين، استقر بتونس فقرّبه صاحبها السلطان أبو زكريا، وولاه كتابة " علامته" فى صدور الرسائل مدة ثم صرفه عنها، وأعاده. ولما مات أبو زكريا خلفه ابنه المستنصر، فرفع هذا مكانته. ثم علم المستنصر أن ابن الأبّار كان يزرى عليه فى مجالسه، وعزيت إليه أبيات فى هجائه أولها:

طغى بتونس خلْفُ سموه ظلماً خليفة

فاستشاط السلطان لها، وأمر بامتحانه ثم بقتله، فقتل قعصاً بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨هـ، ثم أُحرق وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأُحرقت معه[٥].

---

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٨ : ١٨٤ . ٢٠١ .

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٩: ٢٧٢ .

(٣) ابن عميرة الضبى، بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس، ١٤: ٣٤ .

(٤) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٨: ٢٤٧ .

(٥) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢: ٣٤٥، وخير الدين الزركلى، الأعلام، ٦: ٢٣٣ .

ثالثاً ـ الفوضى السياسية والإدارية والحالة الاقتصادية:

أدت الفتن والثورات الداخلية المتعددة التى كانت تحدث فى بعض الديار العربية والإسلامية بسبب الاختلاف العقائدى أو السياسى، بالإضافة إلى تأخر دفع المرتبات، وكذلك تردى الأوضاع إلى ضياع الكثير من تراثنا العربى الإسلامى المخطوط. ففى مثل هذه الأجواء يقوم البعض من عامة الناس باستغلال تلك الأوضاع، ومن ثم القيام بالسطو على الكتب الموجودة فى مكتبات المساجد والمكتبات العامة، وينهبون منها ما يقدرون على حمله، وقد روت لنا كتب التاريخ الكثير من تلك الحوادث المؤسفة.

ففى سنة ٤٥١ هجرية قام السلاجقة الذين استولوا على مدينة بغداد بإحراق مكتبة سابور الشهيرة التى أنشأها نصر بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى سنة ٣٨٣ هجرية، وكانت هذه المكتبة قبلة العلماء والأدباء يقصدونها فى كل وقت للقراءة والدرس وكانت غنية بمحتوياتها التى بلغت آلاف المخطوطات فى مختلف فنون المعرفة ونهب ما سلم من الحريق، حيث استغل العامة الفوضى التى كانت سائدة، وقاموا بنهب بعض كتب الخزانة أثناء دخول طغرلبك بجيشه إلى بغداد. ومن المؤسف إن الوزير عميد الملك الكندرى سمع بما حدث فحضر بنفسه إلى الدار مع قوة من الجند وأزال العامة ونهب منها لنفسه أجودها وأحسنها [(١)].

وفى البصرة تعرضت المكتبة التى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان للحرق فقد " كان فى هذه الدار نفائس الكتب وأعيانها، وأحرقها الأعراب عام ٤٨٣هـ، عندما استولوا على البصرة، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً " [(٢)].

وحدث الأمر نفسه أو ما يشابهه للكثير من مكتبات بغداد الأخرى وكذلك بالنسبة إلى مكتبات غزنة التى أحرقتها قوات الأمير الغورى حسين عندما خربت المدينة سنة ٥٥٠ هجرية [(٣)] .

أما فى مصر، فقد أدت الفتن والثورات التى حدثت بها خصوصاً فى القرن الخامس الهجرى إلى ضياع الكثير من تراثنا العربى الإسلامى المخطوط .

ففى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ) تعرضت مصر إلى فوضى سياسية وإدارية، بالإضافة إلى انتشار المجاعة فيها، مما عصف باقتصاد

(١) ابن الأثير الجزرى، الكامل فى التاريخ، ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٣م، ٩: ٢٤٦ .
(٢) ابن الأثير الجزرى، الكامل فى التاريخ، ١٠: ١٢٢ .
(٣) ابن الأثير الجزرى، الكامل فى التاريخ، ٩: ٢٩٧ .

مصر، وامتدت الأيدى إلى الكتب، وأخرجت المخطوطات من خزائنها قسراً، فنهبت منها مقادير كبيرة، وهربت إلى أماكن مختلفة.

وعندما دخل البربر قرطبة عنوة فى القرن الخامس الهجرى قاموا بنهب ما تبقى من كتب فيها [١]. وبهذا أسدل الستار على أكثر المكتبات الإسلامية انتقاء للكتب الثمينة والنادرة.

كما قام الكثير من المماليك والأتراك بإشعال النار بمكتبة الخلفاء الفاطميين، وألقى البعض الآخر فى النيل، كما اتخذ الغوغاء من جلودها نعالاً لهم[٢]. وما بقى بعد ذلك فقد ترك مهملاً فى الخلاء فتراكمت عليه الأتربة حتى كونت تلالاً، عرفت وقتئذ بتلال الكتب[٣].

وفى عهد الخليفة المستنصر أيضاً وقعت ثورة عنيفة قام بها الجنود السودان المجندون لخدمته ضد الجنود الأتراك الذين كان يقودهم فى هذه الحرب الأهلية القائد ناصر الدولة بن حمدان، والذى تمكن بعد جهود مضنية من هزيمتهم فى سنة ٤٦١هـ، وطلب من الخليفة مكافآت كبيرة له ولأصحابه، وكان أحد الموالين له الوزير أبوالفرج محمد بن جعفر المغربى الذى كوفئ بكميات كبيرة من الكتب حملت على خمسة وعشرين جملاً ,وقد فاقت قيمتها المبلغ الذى كان مستحقاً له وهو خمسة آلاف دينار، حيث بلغت قيمة الكتب التى أختارها الوزير أكثر من مائة ألف دينار[٤].

وفى مطلع القرن الخامس الهجرى حاصر البربر قرطبة، فتعرضت مكتبة الحكم المستنصر لهزات عنيفة بعد موته، وتبددت كنوزها، ثم تم توزيعها بين ملوك الطوائف.

ويقال إن كتب ابن الحسبانى، أحمد بن إسماعيل، المتوفى فى سنة ٨١٥ هجرية ضاعت وأتلفت كلها فى فتنة تيمور لما استولى على الشام[٥]. وأن محمد بن يحيى بن أحمد، ابن زهرة المتوفى فى سنة ٨٤٨ هجرية. صنف عدة تصانيف منها: " شرح التنبيه" فى أربع مجلدات احترق فى الفتنة وهو صاحب كتاب "فتح المنان فى تفسير القرآن[٦]".

---

(١) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١: ٨٠ .

(٢) حسنين محمد ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، ص ص ١٨٢- ١٨٣ .

(٣) المقريزى، أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. الخطط المقريزية، القاهرة: مطبعة النيل، ١٣٦٤هـ، ٢: ٢٥٣ .

(٤) المقريزى، الخطط المقريزية، ١: ٤٠٨- ٤٠٩ .

(٥) السخاوى، الضوء اللامع .... ١: ٢٣٧ .

(٦) السخاوى، التبر المسبوك فى ذيل السلوك. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، ص ١١٣ .

المبحث الثالث

سرقة المخطوطات

تعرض تراثنا العربى الإسلامى المخطوط - عبر قرون مضت - لكثير من السرقات، وما زالت السرقة تعد من أهم وأكبر العوامل التى سببت وتسبب فى ضياع ثروات هائلة من الكنوز التى تحفل بها المكتبات العربية والإسلامية العريقة.

وهناك الكثير من الفئات التى ساهمت فى سرقة تراثنا العربى الإسلامى المخطوط وسوف نتناول فى هذا المبحث أثر هذه الفئات التى شاركت فى إضاعة الكثير من التراث عن طريق السرقة المباشرة بطريقة أو بأخرى.

أولاً - خيانة بعض أمناء المكتبات وروادها والعاملين فيها:

ذكرت لنا بعض المصادر التاريخية مشاركة بعض أمناء المكتبات بطريقة أو بأخرى فى نهب وسلب تراثنا المخطوط. وفى هذا السياق يقول الساعاتى : كان لبعض المشرفين على المكتبات دور مباشر فى خلخلة بنيتها والإساءة إلى هدفها السامى ، وذلك عن طريق التهاون فى أداء الرسالة الموكلة إليهم ، أو المشاركة فى استغلال محتوياتها عن طريق تسهيل سطوها ونهبها، أو إعارتها دون ضمان لبعض المتنفذين رغبة فى الوصول إلى أغراض دنيوية عن طريقهم[١] .

ويقول الصديق بن العربى محافظ خزانة ابن يوسف بمراكش : لقد منيت خزانة ابن يوسف بضياع الكثير من مخطوطاتها بسبب توالى الدول وكثرة الفتن ، وانتقالات مركزها مرات متوالية . وضاعت مخطوطات نفيسة بسبب قلة أمانة بعض المستعيرين، وما أصاب البعض الآخر من تلف نتيجة للإهمال[٢].

وفى ترجمة ابن قاسم العلوى يقول الصفدى: كان خازناً على مكتبة غرس النعمة الصابى أبى الحسن محمد بن هلال الصابى المتوفى فى بغداد سنة ٤٨٠ هجرية يقوم بسرقة مقتنيات المكتبة، فلم يكن أميناً عليها ، فأساء استعمالها ، فسرق وباع كثيراً من مقتنياتها[٣] .

---

(١) يحيى محمود ساعاتى، الوقف وبنية المكتبة العربية. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٧٩ .

(٢) الصديق بن العربى، فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش. بيروت: دار الغرب الإسلامى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٢٢ .

(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات؛ تحقيق: هلموت ريتر ... [وآخ]. فيسبادن: فرانز شتايز، ١٩٦٢- ١٩٨٠م) ، ١١٢:٢ .

وكان فى خزانة أبى زكريا الحفصى بتونس ثلاثون ألف مجلد، فنقصت إلى أن صارت ستة آلاف مجلد وقد حكى ذلك إلى الحسن بن معمر الهوارى قاضى باجة، وكان من خواص السلطان المذكور، ومن علماء دولته، وسئل عن السبب، فقال: المطر وأيدى البشر وهكذا تنقص الكتب (١).

وذكر السخاوى فى ترجمة عثمان فخر الدين البكرى التلاوى ثم القاهرى، خازن الكتب بالمدرسة المحمودية (المتوفى سنة ٨٢٩ هـ)، أنه: استقر فيها - أى فى مكتبة المدرسة المحمودية - بعد عزل السراج عمر أمام واقفها بتفريطه، ثم عزل هو أيضاً عنها بتفريطه، بعد أن عزر بالضرب بين يدى السلطان، وذكر السخاوى أن الكتب التى بالمدرسة المحمودية من أنفس الكتب الموجودة بالقاهرة، وهى من جمع البرهان ابن جماعة فى طول عمره فاشتراها محمود الأستادار من تركة والده، ووقفها وشرط أن لايخرج منها شىء من مدرسته، واستحفظ لها إمامه سراج الدين ثم انتقل ذلك لصاحب الترجمة بعد أن رفع على السراج أنه ضيع كثيراً منها، واختبرت فنقصت نحو مائة وثلاثين مجلدة، واستمر الفخر يباشرها بقوة وصرامة وجلادة وعدم التفات إلى رسالة لكبير أو صغير حتى أن أكابر الدولة وأركان المملكة كان الواحد منهم يحاوله على عارية واحدة، وربما بذلوا المال الجزيل فيصمم على الامتناع بحيث اشتهر ذلك، إلى أن رفع فيه شخص أنه يرتشى فى السر فاختبرت الكتب وفهرست فنقصت العشر سواء لأنها كانت أربعة آلاف مجلدة فنقصت أربع مائة فألزم بقيمتها فقومت بأربعمائة دينار فباع فيها موجوده وداره، وتألم أكثر الناس له. قال شيخنا ولم يكن عتبه سوى كثرة الجنف على فقراء الطلبة وإكرام ذوى الجاه، وقال عنه حين أرخ وفاته فى الإنباء إنه كان شديد الضبط لها. ثم حصل له من تسلط عليه بالخديعة إلى أن وقع فى التفريط فذهب أكثر نفائس الكتب (٢).

وذكر السخاوى أيضاً فى سياق ترجمته لمحمد بن غازى المتوفى سنة ٨٤٥هـ أنه عمل خازناً فى إحدى المكتبات المدرسية إلا أنه كان " خفيف ذات اليد (٣)" .

وكانت المخطوطات المذهبة والمزخرفة والمزينة بالأشكال الهندسية والنباتية وماء الذهب والمجلدة بجلود فاخرة أكثر عرضة للنهب والسلب فضاع بسببها عدد كبير من المخطوطات النفيسة.

(١) محمد بن عبد الله، " ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامى"، ص ٢٧٤ .
(٢) السخاوى، الضوء اللامع ....، ٥: ١٤٣- ١٤٤ .
(٣) السخاوى، التبر المسبوك فى ذيل السلوك، ص ٢٣ .

وقد كتب محمد كرد على أن بعضاً من أمناء مكتبات المساجد والمدارس فى الشام تجردوا من الأمانة، وخانوا الثقة، وقاموا ببيع كتب مكتباتهم كما لو كانت من ممتلكاتهم الخاصة.

جاء فى كتابه "خطط الشام": "ومن المصائب التى أصيبت بها كتب الشام، أن بعض دول أوروبا ومنها: فرنسا وحكومات جرمانيا وبريطانيا العظمى وهولندة وروسيا أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين. وكان قومنا ولا سيما بعض من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع، بلغ بهم الجهل والزهد فى الفضائل أن يفضلوا درهماً على أنفس كتاب. فخانوا الأمانة واستحلوا بيع ما تحت أيديهم أو سرقة ما عند غيرهم والتصرف به كأنه ملكهم ".

ويواصل محمد كرد حديثه بالقول: " وحدثنى الثقة أن أحد سماسرة الكتب فى القرن الماضى كان يغشى منازل بعض أرباب العمائم فى دمشق، ويختلف إلى متولى خزائن الكتب فى المدارس والجوامع، فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة بأثمان زهيدة وكان يبيعها على الأغلب، وأكثرها فى غير علوم الفقه والحديث، من قنصل بروسيا إذ ذاك بما يساوى ثمن ورق أبيض، وبقى هذا سنين يبتاع الأسفار المخطوطة من أطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها إلى بلاده فأخذتها حكومته منه وكافأته عليها، والغالب أن معظم الكتب العربية المحفوظة فى خزانة الأمة فى برلين هى من بلاد الشام(١) .

وتعلق عائشة عبد الرحمن على ضياع الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط على يد بعض المسئولين عن خزائن الكتب المودعة فى المساجد والزوايا بالقول: " كانت هذه الذخائر التى بقيت لنا، مودعة فى المساجد والزوايا، بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقاً عند خدام المساجد الموكول إليهم أمرها. ورحم الله أجدادنا: وقفوا ما جمعوا من كنوز تراثنا الروحى والعلمى لخدمة العلم والدين، وأودعوها بيوت الله، وهم يحسبون أنها فى دور العبادة بمأمن من الضياع. ولم يدروا أنه سوف يأتى علينا وعليها حين من الدهر، يؤتمن فيه خدام المساجد والزوايا على هذه الكنوز دون رقيب، فيبيعونها بالكوم لباعة الترمس والفول كى يغلفوا فيها بضائعهم قبل أن تكثر الصحف والمجلات وتؤدى هذه المهمة.

---

(١) محمد كرد على، خطط الشام، ٦: ١٩٩ .

وتواصل عائشة عبد الرحمن حديثها بالقول: وقد حدّث شاهد عيان من أساتذتنا أنه رأى بعينيه خادم مسجد المؤيد يملأ السلال بنفائس المخطوطات، ويبيعها لمن يطلبها بأبخس الأثمان، وربما قبل بعض القوت عوضاً عن الثمن [١] .

ويذكر فى هذا الصدد، الأمناء الذين أوكل إليهم أمر كتب خزائن الجامع الأزهر بعد انفراط عقد مكتبته المركزية الأولى عام ١١٦٧هـ، حيث يقال بأن هؤلاء الأشخاص ـ الذين لقبوا بالمغيرين ـ قاموا ببيع الكثير من المخطوطات النفيسة لصالح جيوبهم الخاصة [٢].

وقد أشار أحد الكتّاب إلى ذلك قائلاً: "كان فى الأزهر خزائن كتب وضعت فى بعض الأروقة والحارات وبعضها فى المساجد القريبة كجامع الفاكهانى وجامع العينى ونيط حفظها جميعها بأشخاص يقال لهم المغيرون فتصرفوا فيها تصرفاً سيئاً للغاية صح معه إطلاق اسم المغيرين عليهم، لأنهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها، ومزقوا جلودها وأوراقها وتركوا ما لا عناية لهم به منها فى التراب يأكله العث ويبليه التراب، وهذا غير ماتصرفوا فيه الملاك وصار بأيدى باعة الكتب يباع على نفاسته بالثمن البخس، ولم يبال المتصرف الأول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التى تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء، وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ولا لينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع [٣] .

وفى حوالى منتصف القرن التاسع عشر عين شخص اسمه ابن السليمانى أميناً لثلاث مكتبات كبرى بالقاهرة، وكان له راتب شهرى من ديوان الوقف يبلغ خمسة وعشرين قرشاً نظير ذلك، وقد دأب هذا الرجل -لتنمية دخله- على بيع قصب السكر، وكان يقف فى زاوية تحت درج مدرسة السلطان حسن ، وبالإضافة إلى محصول قصب السكر الذى كان يبيعه كانت هناك أكوام من المخطوطات التى سرقها من المكتبات الثلاث يبيعها بقرش أو قرشين[٤] .

وقد تعرضت مكتبة مسجد بيزن بمدينة بلنسية للتخريب والسلب، على يد ابن سكران[٥] - الذى استولى على بعض المخطوطات النادرة التى كانت محفوظة فى

(١) عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، ص ٣٩ .

(٢) محمد مكى السباعى، مكتبات المساجد: دراسة تاريخية، ص ١٤٣ .

(٣) أبو الوفا المراغى، " كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية "، مجلة الأزهر، (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤م)، مج ١٤: ٢٧٤ ـ ٢٧٧، و مج ١٥: ٤١ ـ ٤٣ .

(٣) عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، ص ٣٩ .

(٤) هو أحد الخطاطين المهرة العاملين بالمسجد.

مكتبة هذا المسجد، وعند اكتشاف السرقة ومعرفة فاعلها أعفى ابن سكران من وظيفته فى المكتبة، وتم إبعاده [١] .

أما عن خيانة بعض رواد المكتبات وإساءة المستعيرين منهم؛ فقد أشارت بعض المصادر إلى أن المجموعة الضخمة للمكتبة الحيدرية بالجامع الكبير فى النجف، والتى قدرت بحوالى أربعمائة ألف مجلد فى وقت من الأوقات، قد تضاءلت بسرعة لتصل إلى حوالى مائة ألف كتاب فقط. وأشار الدجيلى إلى أن ضياع الكثير من مخطوطاتها النفيسة كان بسبب السرقات التى ارتكبها بعض المستعيرين من ذوى النفوس الضعيفة أو فقدان الإشراف الدقيق والأمين من قبل بعض القائمين عليها [٢].

وذكر ناجى معروف أن كثيراً من مجموعات مكتبة مدرسة قايتباى بالحرم المكى قد فقدت بسبب الإهمال وعدم أمانة بعض المستعيرين [٣].

كما أن كثيراً من المخطوطات النفيسة فى مكتبة الأحمدية فى جامع الزيتونة بتونس أعيرت ولم تعد نهائياً [٤].

ويقول زهير الشاويش: حدثنى أحد علماء دمشق قال: جاء إلينا طالب علم، ونزل فى مدرستنا ... وبعد مضى أشهر على إقامته فوجئنا فجر يوم أنه غير موجود، وأنه غادر ليلاً آخذاً معه أعز مخطوطات المكتبة، بعد أن أحضر إلى قرب المدرسة بضعة رجال مع أربعة جمال، ونقلوا أكياس الكتب وغادروا إلى بلد آخر.

ويواصل الشاويش حديثه بالقول: وقد شاهدت بعضاً من هذه الكتب فى البلد الذى أشار إليه... وأغرب من ذلك أننى شاهدت بعض الكتب الموقوفة على هذه المدرسة بين كتب الشيخ المتحدث فى بلده [٥].

---

(١) خوليان ريبيرا، " المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية "؛ ترجمة جمال محمد محرز، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، (مايو ١٩٥٨م)، ع ١، ٤: ٧٧ ـ ٩٦، و (مايو ١٩٥٩م)، ع ١، ٥: ٦٩ ـ ١٠١ .

(٢) كاظم الدجيلى، " مكتبات النجف"، لغة العرب، (مايو ١٩١٤م)، مج ٣، ع ١١، ص ص ٥٩٣ ـ ٦٠٠ .

(٣) ناجى معروف، أصالة الحضارة العربية. بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٦٩م ، ص٤٦٧ .

(٤) " بعثة معهد المخطوطات إلى تونس "، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، نوفمبر ١٩٥٦م، ع ٢، ص ٣٩٢ .

(٥) زهير الشاويش، هوامش دفتر المخطوطات، ص ١٦ .

ثانيًا - سرقة الأفراد للمخطوطات:

تعرضت بعض المكتبات للنهب والسلب من قبل الكثير من الأفراد ، ومما يؤسف له أن بعض رجال العلم قد ساهموا فى السطو على المكتبات وسلب ممتلكاتها من الكتب النفيسة للاستئثار بها لأنفسهم ، وحجبها عن عامة القراء .

ومن هؤلاء : عمر بن على بن أحمد السراج الأنصارى الأندلسى التكرورى المشهور بابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤هـ فقد كان عنده من الكتب " ما لا يدخل تحت الحصر ، منها ما هو ملكه ، ومنها ما هو من أوقاف المدارس [(١)] " .

وذكر أن صالح بن عمر الكنانى العسقلانى المتوفى سنة ٨٤٨هـ قام بنهب كتب الأوقاف بالرغم من مكانته العلمية ، ووصفه بالفضل وعلو المكانة، حيث عثر فى مكتبته على جملة من الكتب مأخوذة من أوقاف المدارس ونحوها ، وتقدر بما يزيد على ألف مجلد [(٢)] .

وهناك من استغل منصبه فى نهب وسلب التراث العربى الإسلامى المخطوط ، ومن هؤلاء: القاضى محب الدين أبو الفضل محمد بن محمد الشهاب ابن الشحنة الحنفى المتوفى سنة ٨٩٠هـ حيث وصفه السخاوى بأنه كان مستغلاً لمنصبه فى القضاء، وذكر بأنه استنزل الشهاب ابن العينى من تصوف كان باسمه فى الأشرفية الجديدة، والبدرى بن عبيد الله من الإعادة بالصرغتمشية لولده الصغير وزوج ابنه الصغير لابنه العضدى شيخ الظاهرية ليتوصل بالتزويج والتصوف والنزول إلى أخذ المشيخة بكل من الأماكن الثلاثة المعينة، وأكثر من تسليط ابن عبيد الله على خازن المحمودية حافظ الدين بن الجلالى لينزل له عنها فما سمح فصار يناكده ويتمقته بما ضعف الخازن عن حمله ولاسيما وهو نائبه فى القضاء، ولم يسعفه إلا أن عزل نفسه عن النيابة ، هذا مع أنه حمل له من كتبها ما ينيف على مائة مجلد. وكان عنده من نفائس كل فن ما قل أن يجتمع لغيره، وربما اغتصبها ممن هى عنده. ونسب إليه أخذ تفسير الفخر الرازى وهو فى مجلد من أوقاف المؤيدية [(٣)] .

وقد حذا قاضى القضاة بالديار المصرية أحمد بن بدر الدين بن شعبان سلوك ابن الشحنة فى نهب التراث المخطوط وسلبه حيث وجد لديه من الكتب النفيسة ما ينوف

---

(١) السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦: ١٠٥ .

(٢) السخاوى، الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة؛ تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، ص ١٨١ .

(٣) السخاوى، الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة، ص ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤ .

على أربعين ألف مجلد أكثرها مسلوبة من كتب الأوقاف[١] .

ومن جملة العلماء الذين قاموا بالسطو على الكتب والمكتبات القاضى علاء الدين بن مغلى فعندما احتاج إلى كتاب الخلاف لأبى يعلى، قيل له: إنه لا يوجد إلا فى مكتبة المدرسة الضيائية، فأرسل فى طلبه فقام خازن المكتبة ناصر الدين بن زريق بجمع مجلدات الكتاب فى قفتين وأرسله له ، ومن ثم انفرط أمر المكتبة وطمع الناس فيها حيث أخذ ابن حجر منها عدة أحمال ، ثم جاء الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين فأخذ منها ثم جاء قطب الدين الخيضرى فأخذ ثم قام القاضى ناصر الدين بن زريق الثانى فاستولى على أحاسن ما فيها[٢].

ولم يتوقف الأمر على هؤلاء بل شارك بعض الفقهاء وغيرهم فى نهب الكثير من الكتب التى كانت محفوظة فى المكتبات عن طريق استعارتها وعدم إعادتها.

وهناك الكثير من العلماء الذين تعرضت كتبهم للسرقة، ومن بين هؤلاء : أبو الفتح محمد ابن عمر بن أبى بكر بن محمد بن على بن الشرابيشى الشافعى، كان يعلق الفوائد التى يسمعها فى مجالس المشايخ والأئمة حتى حصل من ذلك جملة كبيرة، ثم تسلط عليه بعض أهله يسرقون المجلدات مفرقات من عدة كتب قد أتقنها وحررها، فيبيعونها تفاريق، والتى لم تجلد يبيعونها كراريس[٣].

وهذا الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمر بن مهير الشيبانى (المتوفى سنة ٢٦١هـ) ، نهبت داره وذهبت بعض كتبه[٤]. ويوسف بن خليل وقف كتبه لكنها تفرقت ونهبت فى حلب سنة ٥٥٨هـ [٥] . وأحمد بن عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الخزرجى، أبوالعباس (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ)، اقتنى من الكتب جملة وافرة وى ما نسخ بخطه، وامتحن فيها مرات بضروب من الجوائح كالغرق والنهب بغرناطة فقد كان استصحب إليها من مراكش خمسة أحمال، ولما فصل عنها تركها مع ما صار له منها مدة مقامه بها فأتى عليه النهب فى الكائنة على أهل غرناطة عند قيامهم على لمتونة... وقد تغلب أهل القصبة على أهل البلد وتمكنوا من البلد تمكن عنوة واستباحوه استباحة قهر. وفر

---

(١) التميمى الدارى ، تقى الدين بن عبدالقادر الغزى، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية؛ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو الرياض: دار الرفاعى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١ : ٣١٩ .

(٢) ابن طولون الصالحى، القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية؛ تحقيق محمد دهمان، ط٢، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ١ : ١٣٨ .

(٣) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٧: ٢٣٢ .

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ١٣: ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٥) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ٢٣: ١٥٣ .

معظم الناس من منازلهم فكان ممن فر عن منزله عيال أبى العباس، فنهب ما كان بداره من كتب وغيرها [١]. وإبراهيم بن عمر بن موسى صارم الدين النابتى صاحب الحديدة كان مباركاً فاضلاً . اقتنى من سائر الكتب شيئاً كثيراً، ووقفها بعد موته على أهل الحزم فلم يتم ذلك لاستيلاء زوج ابنته المقبول بن أبى بكر الزيلعى صاحب الحال عليها، وحملها معه إلى قريته اللحية ثم وضعها فى خزانة فلم ينتفع بها أحد. وكانت وفاته فى جمادى الأولى ٨٧٦هجرية[٢] .

وذكر أن نصير الطوسى ,محمد بن محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ)، كانت له خزانة كتب ملأها من المخطوطات التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة , واجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد[٣] .

وممن تعرضت داره للسرقة : عبد الغنى بن محمد الشهير بابن جميل حيث " نهبت داره بما فيها، وأحرقت بظاهرها وخافيها، وأتلف من الكتب نحو سبعة آلاف كتاب ,فلما يوجد مثلها عند أمثاله[٤] " .

وذكر أن على بن إبراهيم بن على الواسطى البغدادى الدمشقى كان يدعى أنه سرق له من الكتب بقدر ألفى مجلدة، وأن جماعة من التجار باعوها بدمشق فلم يجد من يشهد له ولا من ينصره وتمكن اختلاطه، ممن أراد أن يعطيه مالاً ليساعد حاله كان يقول له : أنت ممن سرق كتبى فتريد تبرطلنى . توفى عام ٧٥٠هجرية[٥].

وذكر أنه سرق من خزانة الكتب أشياء، فلما شاع ذلك ظنوا أن الذى أخذها هو إبراهيم بن عباس بن على الشافعى الدمشقى فأخرجوه من المدرسة ظلماً ولم يكن له علم بذلك وشاعت فى دمشق هذه الحكاية والذى أخذها ظهر بعد ذلك[٦].

وربما أدت الظروف الاقتصادية الصعبة إلى قيام بعض الطلبة بسرقة الكتاب

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى، الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة؛ تحقيق محمد بن شريفة، بيروت: دار الثقافة، د. ت، ١: ٢٢٣ . ٢٢٥ .

(٢) السخاوى، الضوء اللامع ....، ١: ١١٥ .

(٣) خير الدين الزركلى، الأعلام، ٧: ٣٠ .

(٤) الألوسى ، المسك الأذفر فى نشر مزايا القرن الثانى عشر والثالث عشر ؛ تحقيق عبد الله الجبورى، الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م .

(٥) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٣ : ٧٦-٧٧ .

(٦) أبو الفضل محمد المرادى ، سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر. بيروت : دار البشائر الإسلامية ، د.ت ، ١ : ٨-٩ .

وبيعها، كما حدث فى مصر فى فترة من الفترات . ففى عام ٦٩٤هجرية لجأ بعض الطلاب إلى سرقة الكتب وبيعها مقابل الحصول على الخبز[١].

وهناك العديد من الوسائل والحيل الأخرى التى تتبع لسرقة المخطوطات ومن ذلك:

(١) الاتفاق مع بعض أمناء المكتبات وشراء ذممهم وضمائرهم بالمال ، وتسريب المخطوطات القيمة، ومن ثم بيعها للتجار الذين يقومون بدورهم ببيعها فى بلاد الغرب أو غيرها . وأشد ما بليت به المكتبات من سرقة هى مكتبات الوقف والمساجد ,والمدارس ، والرباطات . فهذه المكتبات كانت تعمها الفوضى وعدم الرقابة الجادة.

(٢) قيام بعض الأشخاص بشراء مخطوطات ليست بذات قيمة علمية ورخيصة الثمن، وإدخالها إلى المكتبات التى تحتوى على مخطوطات ثم يطلب المخطوطات القيمة التى يريد سرقتها ويتظاهر بقراءتها والمطالعة فيها حتى إذا غفلت عين الموظف المراقب فى المكتبة خلع عن الكتاب المسروق غلافه ودس بدلاً عنه المخطوط الذى أحضره وسلمه إلى الموظف وكأنه لم يصنع شيئاً ثم انسل من المكتبة وقد حمل معه ثروة من ثروات بلاده.

(٣) قيام البعض بطلب العديد من المخطوطات فى آن واحد من الموظف المختص بالمكتبة وتكديسها أمامه، ثم مغافلة الموظف ويدسٍ إحداها فى عبه أو بعيداً عن القاعة التى يجلس فيها، ثم إعادة المخطوطات إلى مكانها أو إلى الموظف مستغلاً وفرتها فى التلبيس عليه ومسترجعاً إيصالاتها ثم ينسل من المكتبة وقد حصل على ما يريد .

ثالثاً - الإهمال وسوء الاستعمال:

أدى إهمال بعض المشرفين على خزائن الكتب والعاملين فيها إلى فقدان الكثير من مقتنياتها وتدهور مجموعاتها .

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع من خازنى المكتبة المحمودية السراج عمر ، والفخر عثمان إذ أساء الأول، وعندما اكتشف أمره عزل، وعقبه جاء الثانى وكان منضبطاً ، ولكنه كان مجاملاً فيما يبدو، ففقد من المكتبة أثناء إشرافه عليها ما يقرب من

(١) المقريزى ، الخطط المقريزية ، ٢ : ٣٦٦ .

أربعمائة مجلد، وهى عشر ما كان موجوداً فى هذه المكتبة، وكانت من أنفس الكتب الموجودة فى القاهرة، جمعها القاضى برهان الدين بن جماعة طول عمره[١]. فعزل أيضاً وغرم قيمة المفقود من الكتب[٢] .

وتعرضت مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة إلى النهب والسلب نتيجة إدارات متعاقبة مهملة ومتهاونة مما أدى إلى ضياع جملة من المخطوطات النفيسة والنادرة .

وفى هذا السياق يقول السباعى: وفى بعض الحالات كان الإهمال واللامبالاة يدب بالمكتبات فور إنشائها، وكانت النتيجة تحول المخطوطات النادرة والنفيسة إلى غذاء للديدان والحشرات، أو أن تتلف تدريجياً من فعل التراب والغبار [٣].

وعن الإهمال والجهل بقيمة المخطوطات وما يسببه ذلك من ضياع الكثير من المخطوطات العربية والإسلامية يقول أحد أمناء المكتبات : إن كثيراً من المخطوطات قد تلف أو فقد بسبب جهل حافظى الكتب بقيمتها ، وعدم مبالاتهم بحفظها ، وإن بعضاً منها قد تسرب إلى الخارج بطريق البيع أو غيره ، والدليل على ذلك أنه يوجد فى مكتبة فيينا مخطوط نسخ فى مدرسة الغازى خسرو بك سنة ١٠٤٣هـ. كما توجد فى مكتبة جامعة براتسلافا بتشيكوسلوفاكيا مكتبة شرقية قيمة نقلت بأسرها من بلادنا وهى مكتبة المستشرق الأديب الشاعر البوسنوى الدكتور صفوت بك باشا غيج (المتوفى سنة١٩٣٤م فى سراييفو) وهى زاخرة بالمخطوطات، ومن بينها ما ألفه علماء بوسنة وهرسك، وتكون اليوم أعظم واهم مجموعة للكتب الشرقية فى تلك البلاد [٤] .

وتدل أختام الوقف والتملك الموجودة فى المخطوطات العربية الإسلامية - التى تعرض للبيع بواسطة التجار هنا وهناك - على التسيب والإهمال وعدم الأمانة من قبل المشرفين على المكتبات التى تسربت منها هذه المخطوطات.

وقد يساهم الإنسان أحياناً فى التلف الذى يقع على المخطوطات، إما لعدم وعيه وإدراكه لأهمية المخطوطات، أو لتهاونه واستهتاره أثناء استعمال وتداول المخطوط من قِبَل بعض المفهرسين أو الباحثين أو ملاك المخطوطات.

---

(١) السخاوى، الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر؛ تحقيق حامد عبد المجيد وطه الزينى. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢: ٦٠٩-٦١٠ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ... ، ٥ : ١٤٣-١٤٤ .

(٣) محمد مكى السباعى، مكتبات المساجد . دراسة تاريخية، ص١٥٨ .

(٤) انظر فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية لمكتبة جامعة براتسلافيا من سنة ١٩٦١م .

فالأفراد الذين تتداول أيديهم المخطوطات الأصلية كل يوم لهم أثر كبير فى الحفاظ عليها. ولعلنا نحن البشر من أكثر عوامل التدهور للمخطوطات، بل ونكون فى حالات كثيرة أشد تسبباً فى الخراب والإتلاف، إذ هناك الكثير من المخطوطات ظلت دون أن تمسها يد، فبقيت سليمة طيلة قرون عدة ليتم القضاء عليها بعد ذلك وخلال عقد واحد فقط من السنين بسبب طريقة التعامل الخاطئة التى يتبعها البعض منا ممن يتعاملون بشكل يومى مع التراث المخطوط.

وهذه بعض الأمثلة التى توضح التلف الناتج عن سوء استعمال المخطوطات:

(١) البلل : حيث تتعرض بعض المخطوطات للبلل نتيجة عرق الإنسان مما يؤدى إلى إتلاف وضياع نصوصها . فقد ذكرت بعض المصادر " أن الخطيب التبريزى (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) سافر ليلقى أبا العلاء المعرى ، ويقرأ عليه نسخة من كتاب (التهذيب فى اللغة) للأزهرى ، فنفذ العرق من ظهره عليها ، فأثر فيها البلل فى أثناء سفره . وهذه النسخة فى بعض المكتبات الموقوفة ببغداد إذا رآها من لايعرف خبرها ظن أنها غريقة، وليس بها سوى عرق الخطيب[١] " الذى جعلها على هذه الحال.

(٢) إضافة علامات أثناء القراءة والاطلاع ، وذلك باستعمال أقلام جافة يصعب إزالتها ويؤدى هذا إلى تشويه النص .

(٣) ثنى حواف بعض أوراق المخطوطات للدلالة على موضع انتهاء القراءة مما يساعد على كسر هذه الحواف وفقدانها من المخطوط.

(٤) الضغط على كعوب المخطوطات أثناء تصويرها للحصول على صور واضحة وكاملة للصفحات وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى تفكك الملازم وتلف كعوب المخطوطات .

(٥) تدخين العاملين فى مجال الفهرسة ، أو الباحثين أو القراء يؤدى إلى زيادة نسبة الحموضة فى أوراق المخطوطات وبالتالى التسبب فى هشاشة الأوراق ، وتكسرها بسهولة .

(٦) جهل أمناء المخازن والمستودعات بطرق حفظ المخطوطات ووضعها على الأرفف المناسبة لها بطرق سليمة. فالمخطوطات ذات الجلود اللينة إذا تم وضعها على الأرفف بطريقة رأسية فإن هذا يؤدى إلى تقوسها وتلفها . كما أن إهمال أمناء

---

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٢٠: ٢٦-٢٧ .

مستودعات المخطوطات وخزائنها لضبط درجات التكييف المناسبة ودرجات الرطوبة ، والإضاءة يؤدى إلى زيادة نسبة الإصابة .

إن التعامل مع المخطوطات يتطلب الحذر الشديد وأخذ الحيطة فقد يسىء البعض ممن يتعامل مع المخطوطات من مفهرسين وباحثين ومحققين ومصورين ومجلدين إلى هذا التراث إساءة بالغة.

ومن صور الإساءة للمخطوطات: القيام بتصفح أوراق المخطوطات وكأنها كتب مطبوعة حتى إذا رأى بعض صفحات المخطوطة ملتصقة ببعضها البعض - نتيجة الرطوبة والحرارة - قام بفكها عنوة وبالقوة مما يترتب عليه - فى الغالب - تمزق الأوراق، وإزالة أجزاء من النص.

وفى بعض الأحيان يقوم بعض المتصفحين لأوراق المخطوطات من مفهرسين ومحققين ومسجلين بغمس أصابعهم فى وعاء يحتوى على قطعة أسفنجية مشبعة بالماء من أجل تسهيل مهمة تقليب الصفحات وفك الملتصق منها بعضه مع بعض، مما يترتب عليه زوال بعض الكلمات، أو العبارات، أو الزخرفة والتذهيب بسبب بلل الأصابع، إذ إن هناك بعض الأحبار تتحلل بمجرد لمسها بماء أو نحو ذلك، وبعض الأحبار ثابتة لا تتأثر بذلك .

وعلى جميع الأحوال، فإن التعامل مع المخطوطات الأصلية بشكل دائم ومباشر وإتاحتها لكل باحث، والقيام بإرسالها إلى قسم التصوير بين حين وآخر، كل ذلك يؤدى إلى إتلاف أوراقها، والقضاء عليها فى نهاية الأمر .

لذلك ينبغى حفظ المخطوطات بعد معالجتها فى خزائن خاصة تناسبها ، وفى جو من الرطوبة والحرارة المناسبة ، مع تصويرها على ميكروفيلم أو ميكروفيش، أو قرص إلكترونى من أجل خدمة الباحثين و الدارسين من خلال تمكينهم من الاطلاع على المخطوطات المصورة، وتزويدهم بنسخ مصورة، وعدم تمكينهم من الاطلاع على الأصول إلا فى حالات نادرة تستدعى ذلك .

ومن الأمور الأخرى التى تسىء إلى المخطوطات القيام بوضعها على الرفوف ملصوقة بعضها مع بعض، لأن هذا يؤدى إلى نمو الفطريات أكثر لعدم وجود فراغ للتهوية، لذلك يجب وضع المخطوطات على الرفوف بطريقة تضمن سلامتها ، بحيث لاتزدحم الرفوف بالمخطوطات لتجنب وقوع أى ضرر أو أذى بمخطوط ما، ومن ناحية أخرى يجب ألا تكون المخطوطات قليلة على الرف؛ لأن بعضها سيستند على البعض

الآخر؛ مما يؤدى إلى الإضرار بأغلفة الكتب، ويفضل وضع المخطوطات على الرفوف وفقاً لأحجامها.

رابعًا- المستشرقون وسرقة التراث:

بالرغم من أن بعض المستشرقين حافظوا على التراث العربى الإسلامى المخطوط الذى نهب فى ظل ظروف قاسية مرت بها البلاد العربية الإسلامية من غزو واحتلال وفتن داخلية وحروب ونزاعات همجية وإهمال وتسيب وغير ذلك من الأسباب الأخرى. بالرغم من كل ذلك فإن هذا لا يعنى أن المسلمين كانوا وما زالوا عاجزين عن حفظ تراثهم المخطوط الذى نهب وسلب عنوة. بل شهد لهم التاريخ من قبل ـ العدو قبل الصديق ـ بمقدرتهم على حفظ تراث الحضارات والمحافظة عليه فى الوقت الذى شهدت فيه أوروبا محاكم التفتيش وإعدام العلماء وحرق الكتب العلمية.

إن المسلمين الذين تمكنوا فى الماضى من المحافظة على الموروث الحضارى للأمم السابقة ـ والذى ضاعت أصوله من أصحابه الأقدمين ـ القادرون اليوم على حفظ تراثهم والمحافظة عليه وإتاحته لجميع الباحثين وطلاب العلم الذين حرموا فى كثير من الأحيان من الاطلاع عليه.

وعليه فينبغى علينا حكاماً ومحكومين أن نطالب بإعادة هذا التراث إلى موطنه الأصلى هذا التراث الذى نهب وسلب ظلماً وعدواناً بغير وجه حق.

لقد كان للمستشرقين أثر بارز فى نهب الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط ومما ساعدهم فى تحقيق ذلك:

(١) التيسيرات التى وفرها المستعمرون الأوروبيون لهؤلاء المستشرقين .

(٢) الجهل- الذى كانت تعيشه أمتنا - بقيمة تراثها المخطوط ناهيك عن الحاجة المادية والفقر.

وقد أدى هذا وغيره من الأسباب الأخرى إلى تمكن المستشرقين من نهب آلاف المخطوطات من شتى ربوع العالم الإسلامى، ومن ثم تهريبها إلى أوروبا وأمريكا .

بالإضافة إلى الحملات التبشيرية الاستعمارية التى تسترت تحت غطاء التبشير والعلم، وحملت فى طيات دعوتها ما حملت من أطماع ونهب لتراثنا .

لقد باع بعض المسلمين المخطوطات بثمن بخس لهواة جمع المخطوطات الأجانب دون أن يكون هذا البعض على دراية ووعى بأهمية هذه المخطوطات. بل إن بعض أبناء

العالم العربى والإسلامى يبيعون لوكلاء المكتبات الأوروبية المخطوطات.

ولقد تسلطت أيدى الأوروبيين على مخطوطاتنا العربية بالسلب والنهب والسرقة والاحتيال حتى اكتظت بها مكتبات لندن وباريس وبرلين وغيرها من المدن الأوروبية الأخرى على حين أقفرت منها مكتبات العرب أنفسهم.

واستطاع الغرب فى فترة من فترات الضعف التى أصابت المسلمين أن يستولى على الكثير من التراث، وينقله إلى بلاده بغية الاستفادة منه، وعكف عليه رجال منهم فكانت نتيجة ذلك التطور العظيم الذى نلمسه فى كثير من ميادين الحياة عندهم. وبمقدار تقدم الغرب لاقتباسه من تلك المعارف واستفادته من تلك الكنوز تخلف المسلمون لإهمالهم هذه الثروة التى كانت بين أيديهم. يقول د. محمد عيسى صالحية: لقد أحصينا عدد المستشرقين الذين اشتغلوا بالتراث العربى فى القرن الأخير، فكانوا أكثر من ٤٨٣ مستشرقًا، وبعيداً عما كتبه إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق" والذى ناقش فيه الأفكار المسبقة التى حاول كل مستشرق إسقاطها على الفكر العربى. ونحن مع تقديرنا لجهود الفئة التى ما كان قصدها إلا الاغتراف من التراث العربى وتطعيم الفكر الغربى بمآثر ومنجزات الفكر العربى الإسلامى فى مجال العلوم والفنون، غير أن غالبية المستشرقين استغلوا فرصة تواجدهم فى الوطن العربى لترحيل الآثار العربية والتراث العربى بالشراء تارة والإغراء تارة أخرى، وبالدبلوماسية... لقد اشتغل العديد من ضباط وجنود الأسطول البريطانى بترحيل الآثار والتراث العربى، وكثيراً ما خاضوا معارك ضد الأهالى فى محاولة من البريطانيين لانتزاع الآثار الموجودة فى مناطق أهل البلاد المستعمرة.

ولقد لعبت الدبلوماسية وما تزال تقوم بدور نشط فى مجال تغريب التراث العربى الإسلامى. ففى سنة ١٨٤٠م وزعت رسالة من بعض المستشرقين جاء بعنوانها "فهرس الكتب التى نرغب أن نبتاعها والمسائل التى توضح جنس الكتب التى نرغب فى الحصول عليها ، إنما نجهل أسماءهما والمسائل التى فى علم الحرب" والقصد من ذلك رغبة المستشرقين فى معرفة كل ما يتعلق بالحروب والجيوش وأدوات الحرب وصناعة السفن والمراكب الحربية ومراسيم الخلافة ومظاهر الحضارة الإسلامية. وتقع الرسالة فى ١٦٠ صفحة وما زالت محفوظة فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٤٠٣٩ ج والمكتبة البريطانية.

وقد اشتدت عملية تغريب التراث العربى ونفيه من موطنه بعد عام ١٨٤٠م، وزاد نشاط معظم المستشرقين بالإضافة إلى نشاط البعثات الأوروبية التى رافقت الحملات الصليبية فى المشرق والمغرب وأخذت تجوب البلاد العربية والإسلامية بحثاً عن المخطوطات، وقد ساعدهم فى ذلك جهل الناس فى ذلك الوقت بأهميتها فباعوها بأبخس الأثمان، أو استبدلوا بها أدوات منزلية. وكانت جولاتهم تتم على المنازل ومكتبات الأديرة، ونقل معظم هذه المخطوطات إلى أوروبا .

ومن نماذج تسرب المخطوطات العربية إلى البلاد الأوروبية ما ذكره السيد محب الدين الخطيب عن الشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدنى المتوفى فى بومبى بالهند عام ١٣١٦هجرية فقد كان عالماً مهتماً بالمخطوطات وله صلات قوية بالعلماء فى مصر والهند وأوروبا، وقد رحل إلى أوروبا لبيع الكتب، ووصل إلى أمستردام عام ١٣٠١هـ بمجموعة من المخطوطات العربية فاشترت مكتبة جامعة لايدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية قسماً منها وذهب القسم الآخر إلى مكتبة جامعة برنستون بأمريكا[١].

إن جهود المستشرقين الذين لم نراقبهم قد فعلت فعلها بتغريب هذا التراث، فعلى سبيل المثال طاف المستشرق الأيرلندى الفريد شيستر بتى - أحد هواة جمع المخطوطات فى القرن العشرين - واستطاع أن يجمع آلاف المخطوطات العربية والإسلامية من خلال زياراته الكثيرة للأقطار العربية خاصة فى مصر حيث استقر به المقام زمناً معيناً تمكن خلالها من جمع أكثر من أربعة آلاف مخطوطة عربية ونقلها إلى بلده فأكرمته حكومته وسمت مكتبة مدينة دبلن باسمه.

كذلك قام المستشرق السويدى الكونت كارلو لاندبيرج الذى كان سفيراً فى مصر وأسمى نفسه (عمر السويدى)، قام بجمع أكثر من ٦٦٤ مخطوطة أغلبها من اليمن وهى الآن فى ليدن [٢].

ولقد بدأت محاولات السيطرة الأوروبية الحديثة على التراث العربى الإسلامى، وفق تخطيط هادف ,منذ نهايات القرن الثامن عشر الميلادى ,عندما انتشرت

---

(١) محب الدين الخطيب، " أمين بن حسن الحلوانى المدنى "، المنهل، عدد ١٠، (ذو الحجة ١٣٧٢هـ/ أغسطس ١٩٥٣م)، ص ص ٥٤٦ - ٥٤٨ .

(٢) عبد الكريم حبيب، " المخطوط العربى "، دمشق: مجلة جامعة البعث، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، العدد السادس، ص ٢٥٨ .

مجموعات من الباحثين والمتخصصين المستشرقين الأوروبيين فى ربوع العالم العربى الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ينقبون عن المخطوطات.

وفى الفترة التى قضاها الفرنسيون فى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) تمكن القائد الفرنسى "نابليون بونابرت" من جمع مئات المخطوطات العربية التى تم ضمها إلى رصيد المكتبة الوطنية فى باريس، وقام بالاستيلاء على الكثير من المخطوطات من الهند والجمهوريات الإسلامية فى جنوب الاتحاد السوفياتى (سابقاً) وإيران، والعراق، ودمشق، القدس، وعسقلان، واليمن، والقيروان، وقسنطينة، وفاس وغيرها من المدن. وكان يهدف من وراء ذلك إلى إثراء النشاط الفكرى والعلمى والأدبى فى أوروبا، وفى الوقت نفسه السيطرة على اتجاهات الفكر الإسلامى الحديث بما يخدم مصالحهم وأطماعهم.

وضمت مكتبات فرنسا آلاف المخطوطات العربية الإسلامية التى تم نهبها وسلبها من البلاد العربية والإسلامية عن طريق وكلاء كانوا يجوبون المدن العربية والإسلامية مثل : إستانبول، والقاهرة، ودمشق، وغيرها. فقد أرسل كولبير Colbert وزير فرنسا الأول وكلاء إلى الشرق وتمكنوا من جلب مئات المخطوطات العربية .

وتمكن قنصل فرنسا Jean-Lauis Asslin de chervile (1772-1822) من الحصول على مجموعة ضخمة من المخطوطات النادرة تقدر ب ١٥١٥ مخطوطة يعود بعضها إلى القرن الهجرى الأول.

ثم توالت عمليات النهب والسلب عن طريق البعثات الفرنسية فى مصر بين سنتى ١٨٨٧ و١٨٩٠م بالإضافة إلى مجموعة المستشرق شارل شيفر Charles Shefer) (1898 -1820 التى تقدر بـ ١١٦٠ عنواناً والتى جمعها من مصر وسوريا وإيران والهند.

وهناك الكثير من المخطوطات العربية الإسلامية فى المكتبة الوطنية الفرنسية التى ترقى إلى عهد الملك الفرنسى فرانسوا الأول، الذى أمر بنقل الخزانة الملكية من مدينة بلوا (Blois)إلى فانتنبلو بضواحى باريس خلال النصف الأول من القرن السادس عشر١٥٤٤م. وحسب أول قائمة لهذه المكتبة كان عدد المخطوطات الشرقية أربعين مخطوطاً لا يتجاوز عدد العربية منها الستة. وفى عهد الملك لويس الرابع عشر ازداد عدد المخطوطات الشرقية بسبب انفتاح هذا الملك على الدول الشرقية وربط العلاقات الطيبة معها . ومعظم هذه المخطوطات كان من شراء البعثات التى كان

يرسلها إلى الشرق أو من هدايا العلماء والسفراء والقناصلة والرحالة سواء للملك أو لوزرائه وعلى الأخص منهم ريشليو Richaliea ومازران Mazarin وكولبير Colbert.

وبعد الثورة الفرنسية ازداد رصيد الخزانة من المخطوطات التى صودرت من مكتبات الأديرة والكنائس والمعاهد الدينية.

وكذلك نقل الإيطاليون بعض المخطوطات العربية وأرسلوا البعثات لاقتناء ما يناسبهم وقد جمع رجال الكنيسة كثيراً من المؤلفات العربية فى مكتبة الفاتيكان فى روما[١].

وتمكن الألمان من جمع آلاف المخطوطات العربية وأودعوها فى مكتبة برلين، حيث قام ألورد Ahlwardt بإصدار فهرس لها يقع فى عشرة مجلدات.

أما فى بريطانيا، فنجد آلاف المخطوطات العربية الإسلامية التى تم جمعها ما بين عام ١٧٥٣ ـ ١٨٠١م موجودة فى مكتبة البودليانا بأكسفورد، ومكتبة جامعة كمبردج، علاوة على المخطوطات العربية الموجودة بمكتبة المتحف البريطانى بلندن .

لقد تمكن هؤلاء الصيادون القادمون من الدول الأوروبية وأمريكا من اقتناص المخطوطات النادرة فى مختلف فنون المعرفة؛ ومن ثم نقلها وإيداعها فى مكتباتهم خصوصاً المكتبة الوطنية فى باريس، والمتحف البريطانى، ومكتبة برلين، وغيرها من المكتبات الأخرى. وذكر أن أحد خريجى جامعة برنستون بأمريكا أهدى مكتبة الجامعة ستة آلاف مخطوطة عربية ، كانت بحوزة مستشرق إنجليزى[٢].

وبالإضافة إلى النشاط المحموم الذى قام به بعض المستشرقين والرحالة والسفراء والقناصل والبعثات الأوروبية من نهب للتراث العربى الإسلامى المخطوط بطريقة أو بأخرى ، ومن ثم نقله إلى البلاد الأوروبية، نجد أن أبناء بنى جلدتنا يقومون بهذه المهمة على خير وجه ومن بين هؤلاء بعض تجار المخطوطات العرب الذين لا همَّ لهم إلا الحصول على الأموال بشتى الطرق . فمنذ مطلع القرن الحادى عشر الهجرى ومع تدفق العلماء الأوروبيين على البلاد العربية الإسلامية بحثاً عن المخطوطات أخذ

---

(١) خليل محمود، " المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة ". الرياض: مجلة الفيصل، عدد ٢١١، ص ٦٢ .

(٢) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره، القاهرة : منشورات سمير أبو داوود ، ١٩٨٣م ، ص١٨٧ .

هؤلاء التجار على عاتقهم مساعدة هؤلاء الأوروبيين وتسهيل مهمتهم فى تحقيق رغباتهم وأطماعهم.

وحول دور التجار وأثرهم فى ضياع التراث العربى الإسلامى المخطوط يقول شعبان خليفة: لعب التجار المحليون دوراً مشيناً فى ضياع الكثير من المخطوطات حيث قاموا ببذل كافة جهودهم لتلبية رغبات التجار الأجانب وغيرهم من المستشرقين الذين سعوا للحصول على المخطوطات العربية والإسلامية خاصة المتعلقة بالعلوم البحتية والتطبيقية فخرج عن طريق الشراء جانب كبير من المخطوطات المهمة بثمن بخس(١).

ويقول أحد الكتّاب: " وإننا منذ زمن الصبا حتى الآن نرى تجار الكتب المخطوطة يترددون إلى حلب ويملأون من مكتباتها الصناديق الكثيرة، عدا ما نراه من سواح الغرب وسماسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفيسة من أيدى طائفة من البسطاء لايفرقون بين الطين والعجين، يشترونها منهم بأبخس الأثمان (٢).

لقد تعرض تراثنا العربى المخطوط لأخطر موجات التهجير على أيدى أبناء الدين الإسلامى والحضارة العربية الإسلامية ، الذين أخذوا يرحلون نفائس المخطوطات خارج حدود بلادنا العربية وتحت مسميات عديدة منها: التداول العلمى، وأن الإسلام لايحرم التجارة وغير ذلك من الذرائع التى يتذرعون بها .

ومما يؤسف له أنه فى الوقت الذى أصدرت فيه معظم دول العالم قوانين تنظم انتقال كنوزها وآثارها نجد بلادنا العربية مازالت إلى يومنا هذا بلا قرار يمنع انتقال المخطوطات أو يحد من ذلك.

لقد كان لبعض التجار العرب دورهم فى تسهيل مهمة إنجاح تغريب التراث العربى الإسلامى المخطوط وترحيله إلى بلاد الغرب مقابل دريهمات معدودة(٣). وليس الأمر بسر، فإن غالبية المكتبات تفرد صفحات فى مقدمات فهارسها، يمكن للباحث أن يطلع عليها بيسر، وتؤرخ لكيفية اقتنائها لنفائس المخطوطات وتبرز أسماء وعناوين واضحة حول ذلك فى مصر واليمن والشام والمغرب وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا والحجاز وغيرها من بلاد الإسلام، حيث عمل البعض تاجراً أو موظفاً لدى أحد المستشرقين أو

(١) شعبان خليفة، الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، ص ٢٥٧ .

(٢) عبد الرحمن الكيلانى، " المخطوطات الطبية بحلب: دراسة موجزة للمكتبات الموجودة فى حلب وما فيها من المخطوطات الطبية، دمشق: مجلة المجمع العلمى العربى، (أكتوبر ١٩٧١م)، ع ٤، مج ٤٦، ص ٦٧٣ .

(٣) محمد عيسى صالحية ، تغريب التراث العربى بين الدبلوماسية والتجارة. عمان، دار الحداثة ، ١٩٨٥م، ط٢ ، ص ٩ وما بعدها .

عند إحدى السفارات ليقتصر عمله على البحث عن التراث، ومن ثم الحصول عليه ونفيه من بلده، حتى الفقرات المتميزة من كتاب أو الصور النادرة منه إن كان فى محفوظات مكتبة لا يمكن الوصول إليها، احتيل فى نزعها من المخطوط وهربت من البلد، فإن كل مخطوط أو أثر هرب إلى العالم الأجنبى يحمل فى داخله سراً ينوء به كاهله، تعبر عن نبرات الحسرة المكتبية التى تتفجر من الباحث العربى حين يرى آثار ومخطوطات بلده أو قريته حبيسة الخزائن والأرشيف الأجنبية [١].

ومما يؤسف عليه لجوء بعض أبناء العالم العربى والإسلامى إلى بيع المخطوطات لوكلاء المكتبات الأوروبية[٢] حتى أصبحت مكتبات أوروبا وأمريكا الآن تضم نحو مائة ألف مخطوط عربى على أقل تقدير سوى ما فى مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات وما فى أيدى الناس ممن لهم عناية واهتمام بجمع المخطوطات العربية والإسلامية ، بالإضافة إلى الآثار الشرقية.

(١) محمد عيسى صالحية ، تغريب التراث العربى بين الدبلوماسية والتجارة ، ص ص١٠ ـ ١١ .

(٢) محمد عبد الرحمن الربيع، " التعاون والتنسيق بين الجامعات السعودية فى ميدان المخطوطات " الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – اللقاء الأول للمكتبتين، ١٤٠٠هـ ، ص١٥ .

المبحث الرابع

الغزو التترى والاستعمار الأوروبى

لم يكد القرن السادس والسابع الهجريان أن ينتهيا حتى تعرضت الأمة العربية الإسلامية لحملتى غزو ظالمتين يقودهما من الشرق الغزو التترى الغادر ومن الغرب الصليبية الحاقدة وهذه الغزوات لم ترع للإنسان حرمة ولم تعرف للبشر كرامة ، فقد استباحت المحارم ,وقتلت الفكر، وأحرقت جهود العلماء المتمثلة فى الثروات الفكرية الهائلة المدونة فى مئات الألوف من المخطوطات .

وسوف نتناول فى هذا المبحث أهم هذه الغزوات وهى:

أولاً - الغزو التترى :

لقد أجمعت المصادر التاريخية القديمة منها والحديثة على قيام التتار بقيادة جنكيزخان، وهولاكو، وتيمورلنك بغزو الشرق الإسلامى حيث امتدت سلطة التتار من حدود الهند شرقاً إلى حدود سوريا غرباً، وتمكنوا من اكتساح المملكة الإسلامية، وكانوا إذا فتحوا بلداً قتلوا أهله، ونهبوا ما فيه، وأحرقوا ما لا يستطيعون حمله، وهدموا المنازل، وأحرقوا المكتبات مستخدمين المخطوطات وقوداً لهم.

ومن أمثلة ما جرى أن المغول دخلوا بخارى الزاهرة التى كان يزيد عدد سكانها على أربعمائة ألف فتركوها أنقاضاً لا حياة فيها، ولما دخلوا بغداد قتلوا من أهلها ثمانمائة ألف نفس وخربوها الخراب العظيم. يقول ابن خلدون: " إنه ألقيت وقت فتح بغداد كتب العلم التى كانت فى خزائنها بدجله " (١).

وفى موضع آخر ذكر ابن خلدون فى تاريخه: أن المغول " استولوا من قصور الخلافة وذخائرها على مالا يبلغه الوصف، ولا يحصره الضبط والعدّ. وألقيت كتب العلم التى كانت بخزائنهم جميعاً فى دجلة، وكانت شيئاً لا يعبر عنه ,مقابله - فى زعمهم- بما فعله المسلمون لأول الفتح فى كتب الفرس وعلومهم (٢).

وداهم التتار أيضاً مدينة ساوة التى تقع بين الرى وهمذان وقاموا بتخريب وقتل كل

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون. بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ٥: ٥٤٣ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢: ١١٠٦ .

من فيها، ولم يتركوا أحداً البتة، وكان بها دار كتب لم يكن فى الدنيا أعظم منها قاموا بإحراقها(١).

يقول محمد كرد على: " وقد طغى المغول على ديار الإسلام تحت راية جنكيز، أعظم فاتح عرفه التاريخ، وأعظم مخرّب قام فى الأرض، خرب أقطاراً وأمصاراً، وما عرف له من غرض فى ذلك إلا حب التخريب، ولذلك قالوا ما دهى الإسلام بمثله.

وقد امتدت مملكة جنكيز من بحر الصين إلى البحر الأسود واستولى على ما وراء النهر وخوارزم وخراسان وهراة وقندهار وملتان وأفنى أهلها، وقتل كل من كان فيها من كبير وصغير، ثم خربها حتى ألحقها بالأرض، وتركها بلقعاً ينعق الغراب فى ربوعها، وأتى على ما بناه العرب فى ستة قرون فى غزنة ونيسابور وشيراز وبخارى وسمرقند وغيرها من البلدان، وكانت من أعظم عواصم العلم وحواضر الإسلام، وبمن قام فيها من العلماء والفضلاء تمت آيات باهرة من الحضارة ممزوجة بالحضارة الفارسية، فقضى المغول على كل ذلك حتى إن بعض المدن الكبرى هلك سكانها كلهم وخربت برمتها، وكم من خزائن كتب أحرقت، ومن مدارس علم قوضت، ومن مراصد فلكيه دمرت، وكان أهم سبب فى فقدان أكثر ما ألفه علماء المسلمين وحكماؤهم من التصانيف ما أتاه جنكيز وأولاده وأحفاده (٢).

ومن أشهر حوادث إتلاف الكتب والقضاء عليها مع سبق الإصرار على فعل ذلك ما قام به التتار عند سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ، فقد ذكر بعض المؤرخين أن المغول " رموا كتب مدارس بغداد فى بحر الفرات ,فكانت ـ لكثرتها ـ جسراً ، يمرون عليها ركاباً ومشاة . وتغير لون الماء بمداد الكتابة إلى السواد (٣) ".

وذكر أن هولاكو أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة. هذا عدا ما نهب من الأصقاع التى احتلها، فملأ فى مراغة خزانة عظيمة من الأسفار نهبها من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد "(٤).

---

(١) ياقوت الحموى، معجم البلدان؛ تحقيق محمد أمين الخانجى، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، ٥: ٢١ .

(٢) محمد كرد على، الإسلام والحضارة العربية، ط ٣. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م، ١: ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٣) قطب الدين النهروالى، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. طبعة وستنفلد ليبسك، ١٨٥٢م، ص ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٤) محمد كرد على، الإسلام والحضارة العربية، ١: ٢٢٣ .

ويعتقد أن مثل هذه الأخبار فيها مبالغة؛ إذ يصعب على الإنسان أن يتصور عدم قدرة النهر من جرف الكتب مهما بلغت أعدادها لأنها تذوب فى الماء ولا تصمد لكى تصبح جسراً للمرور عليها.

وبالرغم من ذلك فقد أجمعت المصادر على قيام الجيش المغولى بقيادة " هولاكو " بتدمير ما لا يحصى من الكتب فى بخارى ونيسابور والرى وأصفهان، وبغداد عاصمة الدولة الإسلامية.

يقول القلقشندى: " ويقال إن أعظم خزائن الكتب فى الإسلام ثلاث خزائن: إحداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولايقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة كتبهم فيما ذهب، وذهبت معالمها وأعفيت آثارها " (١).

ويقول فيليب دى طرازى: " تمادى هولاكو حفيد جنكيز خان التترى فى العسف والتخريب والتدمير أثناء زحفه إلى بغداد وتدويخها، فلم يبق فيها أثراً للمخطوطات القديمة، والذخائر الثمينة التى كانت مكنوزة منذ قرون فى قصور الخلفاء، وبيوتات الأمراء.

واقترف مثل تلك الفظائع فى " دار الحكمة " وفى غيرها من خزائن الكتب العامة والخاصة فألقى بعضها فى نهر دجلة، فسد مجراه، وجاز الناس على الكتب من جانب كأنها جسر معقود، وبعضها الآخر استنفد عزم النار الآكلة مدة غير قصيرة من الزمن حتى قضت قضاءها فيه " (٢).

وهكذا دمر أكبر مركز ثقافى فى العالم العربى الإسلامى بعد أن أعطى الكثير، وكان قبلة العلماء وطلاب العلم لعشرات السنين.

وكذلك فعل التتار على يد هولاكو الذى تمكن من تدمير معالم الحضارة والنتاج الفكرى المكتوب والموجود فى خزائن الكتب ومعاهد التعليم وقصور الخلفاء والأمراء حيث محى كل أثر لها من الوجود .

---

(١) القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ١: ٤٦٦ .

(٢) فيليب دى طرازى، خزائن الكتب العربية فى الخافقين. بيروت: وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٤٧م، ٣: ١٠٢٩ .

وذكر ياقوت الحموى أن المغول لم يتركوا مكتبة فى طريقهم -أثناء الغزو- إلا أحرقوها وقد ذكر فى كتابه عشر مكتبات دمرت كما حدث فى مرو وساوه وغيرهما .

وعندما اجتاح تيمور لنك المتوفى سنة ٨٠٨هـ بلاد المسلمين عبث بكل ما وجده من آثار حضارية فطالت يده أكثر المكتبات التى وجدها ، وقام بإحراق ونهب آلاف الكتب المخطوطة فى بلاد العراق والشام .

وهكذا نجد أن الغزو التترى لبغداد كان من أشد المآسى التى ألمت بأمتنا العربية والإسلامية . حيث ارتكبوا الكثير من الفظائع والأعمال الهمجية ضد الإنسانية منها : تخريب المكتبات وعلى رأسها مكتبة بيت الحكمة التى احتوت من الكتب ما لا يحصى كثرة - كما ذكر القلقشندى - ولا يقوم عليه نفاسة .

وفى عام ٦٩٩هـجرية اجتاح التتار مدينة دمشق وخربوا أماكن ومعالم عديدة ، من بينها دار الحديث الأشرفية التى كانت تحتوى على كتب نفيسة أوقفها كثير من العلماء كالسبكى والنووى، ونهبوا كتباً كثيرة من الرباط الناصرى والضيائية وخزانة ابن البزورى ، وصار الجند يبيعونها بأبخس الأثمان وهى مكتوب عليها الوقفية [١].

وقد اشتهرت سوريا بمساجدها الكثيرة فى إبان التمدن الإسلامى وكانت هذه المساجد تضم خزائن كتب موقوفة للدرس والمطالعة. ومن أشهر هذه المساجد الجامع الأموى الذى احتوى على مكتبة ضمت نحو خمسة آلاف مجلد. هذه الخزائن تعرضت أثناء الغزو التترى للنهب والسلب .

وكانت دمشق حافلة بخزائن الكتب القديمة ، ومن أهم هذه الخزائن : دار الكتب الظاهرية التى ألحقت بالمدرسة التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية بدمشق . وقد احتوت المكتبة على مخطوطات كثيرة نادرة وقيمة بلغ عدد مجلداتها ١١٤٢٥ مجلداً تضم ما بين خمسين إلى ستين ألف كتاب .

وقد أصيبت هذه المكتبة بنكبة الطاغية تيمور لنك سنة ٨٠٣ هجرية عندما اجتاح مدينة دمشق حيث عبث بكل ما وجده، وأحرق المكتبات والدور والمساجد، بل ترك دمشق تحترق ثلاثة أيام بلياليها، حتى صارت أطلالاً بعد ازدهار وجمال، وقد أقام هذا الطاغية بجيشه فى دمشق ثمانين يوماً عاث فيها فساداً، ولم يبق فيها حجر على حجر وكانت وفاته سنة ٨١٥هـ [٢].

---

(١) تقى الدين الهاشمى المكى، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دمشق: ١٣٤٧هـ، ص ٢٤٤ .

(٢) تقى الدين الهاشمى المكى، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ص ٢٤٤ .

وقد ضاعت مكتبة الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إسماعيل أحد الأئمة الأعلام حيث جمع من الكتب والأصول ما لم يكن عند أحد من علماء عصره(١).

ومن العلماء الذين أحرقت كتبهم أثناء غزو التتار لمدينة دمشق أحمد بن حجى المتوفى سنة ٨١٦ هجرية(٢) .

وفى مدينة حلب قام تيمورلنك أثناء غزوه للمدينة بتدمير ونهب الكثير من المكتبات ومنها المكتبة الصوفية فى الجامع الكبير(٣) وغيرها من المكتبات الأخرى .

وقد لجأ بعض العلماء إلى إخفاء مكتبته أثناء غزو تيمور لنك لمدينة حلب . فقد ذكرت بعض المصادر أن إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسى كان بمدينة حلب عندما هاجمها تيمور لنك فطلع بكتبه إلى القلعة فلما رحل تيمور عن البلد . ويقول إبراهيم الطرابلسى : صعدت حينئذ إلى القلعة فوجدت أكثر كتبى فأخذتها ورجعت(٤) .

وفى دراسة أجريت حول " مكتبات بغداد وموقف المغول منها " خلص الباحث إلى القول: بأن الغزو التترى كان أحد الأسباب القوية فى إضاعة الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط إلا أنه علينا أن ندرك فى الوقت نفسه أنه فى زمن الحروب والغزوات تستغل أوقاتها وتصبح فرصة سانحة للسوقة من الغزاة بالإضافة إلى ضعاف النفوس واللصوص من نهب وسلب كل ما يقع تحت أيديهم من كتب وغيرها.

وبالرغم مما ذكر فى المصادر القديمة والحديثة من نصوص تؤكد قيام المغول بتدمير مكتبات بغداد إلا أن وجود بعض المكتبات التى كانت قبل الغزو التترى وتجاوزها العهد المغولى ينقض ذلك. ومن أمثال هذه المكتبات: مكتبة مشهد أبى حنيفة، ومكتبة المسجد الزيدى، ومكتبة المشهد الكاظمى، ومكتبة رضى الدين طاووس، ومكتبة غياث الدين طاووس، ومكتبة ابن العلقمى، ومكتبة المستنصرية، وغيرها من المكتبات.

ويعلل الدارس ذلك بالقول: أما المكتبات التى دمرت لعلها كانت قريبة من ميدان القتال (٥) .

(١) تقى الدين الهاشمى المكى، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ص ٢٤٤ .

(٢) السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١: ٢٦٩ .

(٣) سامى الكيالى، " مخطوطات حلب "، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية، (نوفمبر ١٩٦٧م)، عدد ١٢، ص٢١٦ .

(٤) الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. بيروت : دار المعرفة ، د.ت ، ١ : ٢٨ - ٢٩.

(٥) محمد صالح محى الدين، " مكتبات بغداد وموقف المغول منها "، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، عدد ٥، ص ص ٨١ـ ١١٢ .

ثانيًا- الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبى:

لعب الاستعمار الأوروبى دوراً مشيناً أثناء غزوه للبلاد العربية الإسلامية التى تعرضت لكثير من الغزوات، حيث قام المستعمرون ـ بعد أن تمكنوا من الهيمنة على معظم البلاد العربية والإسلامية والسيطرة عليها لسنوات طويلة ـ بسرقة ونهب ذخائر التراث العربى الإسلامى، ومن ثم القيام بإلحاقه بمتاحفهم ومكتباتهم .

وليت الأمر توقف على السلب والنهب بل أدى الغزو الصليبى والاحتلال الاستعمارى إلى تدمير المكتبات ومحتوياتها من الكتب.

ومعظم الدول الأوروبية التى استعمرت البلاد العربية الإسلامية قامت بنهب التراث العربى الإسلامى المخطوط أثناء الغزو والاحتلال، ولا تخلو دولة من الدول الأوروبية اليوم من وجود مخطوطات عربية إسلامية فى مكتباتها العامة والخاصة، الحكومية منها وشبه الحكومية. ومن هذه المكتبات والمتاحف: متحف اللوفر، والمتحف البريطانى، ومكتبة برلين، ومكتبة غوته، والمكتبة الوطنية فى باريس، وغيرها.

ولم يقتصر دور الغزو الصليبى والاستعمارى للبلاد العربية والإسلامية على نهب التراث المخطوط وتشتيت شمله، بل قاموا بتدمير المكتبات وإحراق الكتب .

وعندما غزا الصليبيون القدس عام ٤٩٢ هجرى وطردوا الفاطميين منها وجدوا الكنيسة تحولت إلى دار علم فقاموا بهدمها بعد عامين من دخولهم القدس [(١)].

وفى مدينة طرابلس (من بلاد الشام) تعرضت مكتبة المدينة للحريق. وأوّل من دون خبر إحراق مكتبة مدينة طرابلس ـ من قبل الغزو الصليبى ـ ابن القلانسى (المتوفى سنة ٥٥٥ هـ)، وكان دخول الصليبيين لمدينة طرابلس سنة ٥٠٣ هـ.

قال ابن القلانسى فى تاريخ سنة ٥٠٢هـ: «شدَّ الفرنج القتال على طرابلس وهجموها من الأبراج فملكوها بالسيف فى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل فى أيديهم من أمتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان منها فى خزائن أربابها ما لا يحد عدده ولا يحصر فيذكر» [(٢)].

(١) يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ص ١٥١ .

(٢) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق. بيروت. المطبعة الكاثوليكية، د. ت، ص ١٦٥ .

أما ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ)، فقد وصف حريق الصليبيين لمكتبة طرابلس بالقول: " كان لطرابلس دار علم لا نظير لها فى العالم. تحتوى على ثلاثة آلاف ألف كتاب فى العقائد وتفسير القرآن الشريف والحديث والآداب. وكان عدد المصاحف فيها يبلغ خمسين ألفاً والتفاسير عشرين ألفاً وكان قضاة بنى عمار يهتمون بنجاح هذه دار العلوم ويصرفون الرواتب السنوية على مئة من النساخ وكان بينهم ٣٠ ناسخاً لايبرحون الدار نهاراً ولا ليلاً. وكان لهم عملاء فى كل البلدان ليبتاعوا لهم أفضل ما يجدون من الكتب. وكانت طرابلس فى عهد بنى عمار أصبحت مدينة زاهرة حافلة بالعلوم يتقاطر إليها العلماء من كل البلدان. فلما وقعت المدينة سنة ٥٠٣ فى أيدى الفرنج يقودهم ريمون صنجيل دخل أحد كهنتهم دار العلم فتعجب من وفرة كتبها. وكان أول خزانة رآها خزانة المصاحف فأخذ الواحد منها فعرف أنه القرآن وهكذا استقرى بقية الكتب وإذا هى كلها مصاحف فأعلن الأمر لرفقته فاضرموا فيها النار وحولوا المكتبة رماداً ولم يبق منها إلا عدد قليل من التآليف تشتت شملها فى البلدان [1].

ولعل الرقم الذى ذكره ابن الفرات عن محتويات المكتبة مبالغ فيه. إلا أن معظم المصادر التاريخية أجمعت على أن هذه المكتبة كانت غنية بمحتوياتها من الكتب فى مختلف فنون المعرفة. وكانت نهايتها مفجعة على يد الصليبيين الذين قاموا بإحراقها ونهب ما تبقى منها.

وفى موضع آخر من تاريخه قال ابن الفرات [2]: «قال الشيخ يحيى بن أبى حميد النجار الحلبى ، كان يوجد فى طرابلس دار علم ليس فى العالم ما يضارع كتبها كثرة ونفاسة وجمالاً . قال يحيى إن والده أخبره نقلاً عن شيخ من طرابلس قوله : لقد كنت مع فخر الملك ابن عمار حاكم طرابلس فى شيزر[3] وعندما علم بسقوط طرابلس بيد الصليبيين سقط مغشياً عليه وعندما استعاد وعيه قال - والدموع تنهمر من عينيه - : والله لم أحزن على شىء أعظم من حزنى على دمار دار العلم» .

ومن بين الدول الصليبية الاستعمارية التى قامت بنهب الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط وتدمير البعض الآخر منه:

---

(١) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات؛ تحقيق حسن محمد الشماع. البصرة: جامعة البصرة، ١٣٨٦ . ١٣٨٩هـ ، أحداث عام ٥٠٣ هـ.

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، أحداث عام ٥٠٣هـ.

(٣) بلدة حصينة بالقرب من مدينة حماة، لجأ إليها فخر الملك عندما هاجم الصليبيون مدينة طرابلس، انظر: ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٤ .

(أ) أسبانيا :

فقد أدت الحروب التى دارت رحاها بين المسيحيين الأسبان والمسلمين فى بلاد الأندلس إلى ضياع الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط.

تقول عائشة عبد الرحمن عن نكبة الكتب العربية الإسلامية وخزائنها فى بلاد الأندلس: إن الأسبان أحرقوا " خزائن الكتب العربية على عادة العصر، فلم يسلم مما جمعه أمراؤها وألفه علماؤها من ألوف الذخائر غير ما حمل إلى أوروبا، وبقية ضئيلة ظلت مختفية حتى هدأت العاصفة وارتوى التعصب الجامح، فكانت هذه البقية نواة لمكتبة الاسكوريال بمدريد، أشهر مكتبة بأسبانيا فى العصر الحديث" (١).

وعندما اجتاحت قوات الملك فردناند الثانى الأندلس فى عام ٦٣٤هجرية، قامت بتدمير المسجد الكبير بقرطبة، وكان من أكبر الجوامع وأعظمها، أنشأه الخليفة الأموى عبد الرحمن الداخل عام ١٧٠هـ، وكان يحتوى على مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف.

وقد كتب المقريزى حول هذه الواقعة قائلاً بأن من بين المصاحف التى أحرقت على يد القوات الأسبانية المصحف الذى كتبه ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضى الله عنه(٢).

وفى عام ٨٩٧هـ، سقطت مدينة غرناطة آخر معقل للمسلمين فى بلاد الأندلس، وفى أثناء ذلك قام المتطرفون الصليبيون الأسبان من جماعات التفتيش بإلقاء المخطوطات العربية الإسلامية فى النهر الذى تقع عليه المدينة، حتى ازرقّ لون مائه من كثرة أحبار هذه المخطوطات، ويتساءل المستشرقون الأسبان اليوم عما تكون عليه الدراسات الثقافية فى أسبانيا وغرب أوروبا، لو لم يقدم رجال محاكم التفتيش على هذه الجريمة الشنعاء (٣).

وفى سنة ٩٠٤هـ، أمر الكردينال فيمنيس (أوكيمنيس) بجمع جميع الكتب والآثار الإسلامية من جميع سكان غرناطة وأرباضها، ووضعها فى ميدان بباب الرملة - ويعد هذا الميدان من أعظم ساحات المدينة - واحتفل بإحراقها مدعياً كذباً وبهتاناً أن ذلك

---

(١) عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، ص ٣٨ .

(٢) المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ١: ٢٩٨ .

(٣) سيد أحمد على الناصرى ، " الوراقون والنساخون ودورهم فى الحضارة العربية الإسلامية "، الرياض : مجلة الدارة ، (رجب - رمضان ١٤٠٩هـ/فبراير - إبريل ١٩٨٩م)، عدد ٤، ص ١٨٤ .

من أعمال الإيمان. وقُدِّر عدد ما أحرق يومذاك بما لا يقل عن مائة ألف مخطوط عربى، وقد أقدم على ذلك عندما رأى اهتمام مواطنيه بالدراسات الإسلامية، ولأنها تحتوى على كتب تخالف الأناجيل (١) .

وعندما استولى الأسبان على المدينة أحرقوا فى يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب، فيها ما يزيد على مليون وخمسين ألف مجلد (٢).

وفى سنة ٩٠٧هـ، أصدر الملكان الكاثوليكيان فيلب وإيزابلا قراراً بأن على مسلمى غرناطة تسليم كل كتبهم الدينية المكتوبة بالعربية وبخاصة نسخ القرآن الكريم، حيث تم إحراقها (٣) .

وفى عام ٩١٧هـ، أصدرت الملكة خوانا قراراً بأن يقدم الموريسكيون إلى القضاة كل ما قد يكون فى حوزتهم من كتب عربية لفحصها على أن ترد كتب الفلسفة والطب والتاريخ وتحرق البقية (٤).

وفى عام ٩٣٢هـ، أصيبت تونس بنكبة الاستعمار الأسبانى الصليبى الحاقد، ففى عهد آخر ملوك الحفصيين محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٩٣٢هـ)، أهين جامع الزيتونة الذى احتوى على المكتبة العبدلية ونهبت خزائن الكتب التى كانت به، وداستها الكفرة بالأرجل، وألقيت تصانيف الدين بالأزقة تدوسها حوافر الخيل والرجال، حتى قيل إن أروقة الطيبين كانت كلها مجلدات ملقاة تحت الأرجل، وضربت النواقيس وربطوا الخيل بالجامع الأعظم.

ويروى ابن أبى دينار أن الشوارع المحيطة بالمسجد كانت مفروشة بالكتب حتى إن المارة لم تستطع تجنب وطئها (٥).

وهكذا تم هلاك وتدمير معظم التراث العربى الإسلامى المخطوط على يد الأسبان سواء فى بلاد الأندلس أو المدن العربية الأخرى التى خضعت لهم.

---

(١) جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م، ٣ : ١٨ .

(٢) جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ٣ : ١١٩

(٣) عبد اللطيف جاسم كانو، "الأرقام فى المشرق عربية النجار وفى الغرب الأوربى سنسكريتية هندية الدثار ونظرة نقدية فاحصة فى كتاب " الأرقام العربية نبع الحضارة الإنسانية "؛ نقد قاسم السامرائى ، الرياض : عالم الكتب (الربيعان - الجمادات ١٤١٩هـ / يوليو ، أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ١٩٩٨م)، ع٥، ٦، ص ص ٣٨٨ ـ ٤٣٢ .

(٤) خوليان ريبيرا، " المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا " ، مج ٥، ١ : ٧٥ .

(٥) ابن أبى دينار ، محمد بن أبى القاسم، المؤنس فى أخبار افريقية وتونس، ط٣. بيروت: دار المسيرة، ١٩٩٣م، ص١٩٧ .

(ب) فرنسا:

اهتم الفرنجة بالمخطوطات العربية الإسلامية منذ القرن العاشر الميلادى، وتمكنوا من الاستيلاء على الكثير من المخطوطات فى الطب والرياضيات والأدب واللغة وغيرها وخلال الحروب الصليبية بهرتهم المكتبات المنتشرة فى أكثر البلاد التى اجتاحوها فأحبوا أن ينقلوا هذا الفن لبلادهم، فاستولوا على الكثير من المجلدات التى سلمت من شرهم ونقلوها إلى بلادهم.

حتى لويس التاسع ملك فرنسا ٦٢٣-٦٦٩هـ (١٢٢٦-١٢٧٠م) لما عاد من الحرب نقل معه من دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قصره، واحتذى حذوه كثيرون من الأمراء الفرنسيين وأغنيائهم الذين رافقوا الملك فى زيارته للأماكن المقدسة [(١)].

وعن نهب فرنسا للتراث العربى الإسلامى المخطوط يقول محمود المقداد: (.... اتجه الفرنسيون إلى جمع أعداد من المخطوطات تتفاوت فى قيمتها وموضوعاتها، وأخذت تزداد مع مرور الزمان، وكان جمعها لا يقتصر على بلد من بلدان العرب والمسلمين، وإنما امتد ليشمل كل ما استطاعوا إليه سبيلاً، وكان الجامعون يرسلونها إلى بلادهم بشكل دفعات، وقد جندوا لهذا الغرض دبلوماسيين فى القناصل والسفارات المنتشرة فى العالم العربى والإسلامى، ورحالة وسواحاً، وتجاراً وجواسيس، ورهباناً ومبشرين ومستعربين، وكان منهم من يكلّف بمهمات تتعلق بهذا الموضوع من قبل أعلى المستويات فى الدولة.

وكانت أساليب الفرنسيين فى جمع المخطوطات واقتنائها والوصول إليها تتم بطريقة مشروعة أحياناً وغير مشروعة فى أحياناً أخرى ,وذلك بالشراء، والمقايضة بالسلع، والهدايا، والنهب، والسرقة، والنسخ، وغيرها من الطرق الممكنة فى ذلك الحين وكل حين[(٢)].

ومن المدن والمناطق العربية والإسلامية التى تعرضت مخطوطاتها للضياع والدمار أو النهب والسلب على أيد الفرنسيين:

---

(١) فيليب دى طرازى ، خزائن الكتب العربية فى الخافقين، ص٦٢ .

(٢) ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه ، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها - وجهة نظر الاستعراب الفرنسى ؛ ترجمة محمود المقداد. بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٤٠٩ه / ١٩٨٨م، المقدمة : ص ص١٠ - ١١ .

مدينة دمشق :

ففى عام ١٩٢٥م أقدم الفرنسيون على ضرب مدينة دمشق بالمدافع، مما تسبب فى حرق المدرسة الجوزية ومكتبتها العامرة ، فانهارت وصارت ركاماً(١).

وفى القاهرة :

يروى الجبرتى - أحد المؤرخين المعاصرين للحملة الفرنسية على مصر - تفاصيل القصف الفرنسى وانتهاك حرمة الجامع الأزهر بقوله : " وكان الوقت ليلاً ، ودخل الفرنجة المدينة على الأقدام وعلى ظهور الخيل وانتشروا فى الشوارع مدمرين كل ما يقابلهم من متاريس حتى وصلوا إلى الجامع الأزهر فدخلوه بخيولهم ، وانتشروا فى صحن المسجد وداخل المقصورات ونهبوا الأروقة وحطموا الشموع والمصابيح، واقتحموا غرف الدارسين ونهبوا ممتلكاتهم ،ومزقوا المصاحف والكتب وألقوها على الأرض ووطأوها بأقدامهم(٢) " .

وفى الجزائر:

تعرضت المخطوطات الجزائرية إلى التدمير أثناء الحملة الاستعمارية الفرنسية فى العديد من المدن من بينها مدينة قسطنطينية.

يقول مؤلف كتاب: " تاريخ العرب العام ":

"نحن الفرنسيين بعد احتلال مدينة قسنطينة أحرقنا مثل البرابرة الحقيقيين المخطوطات العربية الموجودة فى " المدينة " ويقول الفرد بتلر: عندما احتل الفرنسيون شمال إفريقيا عام ١٨٤٠م اتبعوا سياسة الأرض المحروقة فى طريقهم فأقدموا على حرق مكتبة قسنطينة المشهورة بكتبها ومكانتها العلمية عن بكرة أبيها (٣) .

إن صورة التدمير للمخطوطات لم تقتصر على مدينة بعينها بل شملت العديد من المدن سواء فى مدينة الجزائر، أو غيرها من المدن الجزائرية الأخرى. ففى الجزائر العاصمة قامت منظمة التحرير الفرنسية السرية بعد مدة من الزمن بحرق مكتبة

---

(١) أكرم حسن العلبى، خطط دمشق. دمشق : دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، ص ص٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) أحمد أبو كف، " أنقذوا هذه الكنوز الإسلامية " . القاهرة: مجلة الأزهر، (جمادى الأولى ١٣٩٩هـ/إبريل ١٩٧٩م)، عدد ٤، ص ص ١٠٣٤-١٠٤٣ .

(٣) ألفرد بتلر ، فتح العرب لمصر؛ ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، ص٢٧٠ .

جامعة الجزائر المحتوية أكثر من نصف مليون كتاب [١]. وإلى جانب أشكال التدمير المختلفة التى تعرضت لها المخطوطات الجزائرية فإن بعض المجموعات صودرت من قبل السلطات العسكرية الفرنسية مثلما حدث لمكتبة الأمير عبد القادر التى تقدر بـ ٥٠٠٠ مخطوط. وتعرضت كتب شيخ الحداد للمصير نفسه عندما أعلن الحرب المقدسة ضد الاستعمار الفرنسى [٢].

كما تعرضت مكتبات المساجد وخزانات الزوايا والتكايا أكثر من غيرها للنهب والسرقة. وقد اتخذ هذا السطو أحياناً صبغة رسمية كما وقع لكتاب "العبر..." لابن خلدون الذى نقل إلى المكتبة الوطنية الأهلية فى باريس بأمر من الإمبراطور نابليون الثالث [٣].

ويقول أحد الباحثين: إن آخر حلقة من مسلسل النهب الذى تعرضت له المخطوطات الجزائرية يعود تاريخها إلى بداية الستينيات مباشرة بعد استقلال الجزائر، فقد ذكرت بعض المصادر أن مخطوطات مكتبة جامعة الجزائر لم تحرق أثناء تفجير المكتبة يوم ٧حزيران/يونيو ١٩٦٢م بل نقلت إلى فرنسا فى ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١م إلا أن مكان وجودها لا يزال مجهولاً [٤].

(ج) إيطاليا:

وعن ضياع التراث العربى الإسلامى على يد المستعمر الإيطالى لليبيا يقول المستشرق الإيطالى "أو جينو جرافينى" الذى كان مرافقاً لقوات الاحتلال الإيطالية فى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) : إنه كان يشاهد الجنود الإيطاليين يحملون الوثائق والمخطوطات العربية والسجلات فوق عربات ويلقونها فى البحر بأمر من السلطات العسكرية الإيطالية، وكانت هذه المخطوطات والوثائق من كثرتها تشبه الجبال فى تكدسها وعلوها وارتفاعها. ويروى أنه نجح بعد محاولات فى إقناع سلطات الاحتلال فى ضرورة التوقف عن هذا العمل وإعطائه الفرصة فى جمع الباقى والمحافظة عليه.[٥].

---

(١) محمد ماهر حمادة، المكتبات فى الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٠٧ .

(٢) أعراب عبد الحميد ، " التراث الجزائرى المخطوط و الاستشراق الفرنسى " . الرياض : أحوال المعرفة ، (شوال ١٤٢٥ه/نوفمبر ٢٠٠٤م) ، العدد ٣٦ ، ص ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣) محمد عبد القادر أحمد، دراسات فى التراث العربى، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٩م، ١٥٧ .

(٤) عبد الكريم الدجيلى ، " ملاحظات حول الخزائن المخطوطة فى تونس والجزائر والمغرب " . بغداد : المورد ، (١٩٧٤م) ، العدد الرابع ، ٣ : ٢٩٩ .

(٥) محمد عبد القادر أحمد، دراسات فى التراث العربى، ص ص ١٧٨ . ١٧٩ .

ولم يقتصر نهب التراث العربى الإسلامى المخطوط على أسبانيا وفرنسا، وإيطاليا، بل إن هناك الكثير من الدول الأوروبية قامت بالدور المشين نفسه فى تدمير التراث ونهبه كالإنجليز وغيرهم.

وقد لخص لنا محمد عيسى صالحيه فى كتابه: "تغريب التراث العربى بين الدبلوماسية والتجارة "[(١)] أساليب الدول الاستعمارية فى نهب التراث وسلبه خاصة فى اليمن وعدد الوسائل والطرق التى اتبعها الاستعمار لنهب التراث فى النقاط الآتية:

(١) جمع المعلومات عن المناطق التى توجد فيها الآثار، والمناطق التى يكثر فيها من يقتنون الكتب المخطوطة، فقد كان أحمد على مرزوق مثلاً يجمع المعلومات الآثارية من منطقة بيحان.

(٢) العمل على تجنيد بعض أبناء البلدان المرشحة لنهب أثارها فقد استطاع لندبرج[(٢)].أن يجند عناصر من مأرب وبيحان وحضرموت وعدن ولحج والشيخ عثمان وغيرها من المناطق، لاعتقاده أن أبناء البلد أقدر على العمل فى المنطقة من سواهم، وهو اعتقاد صحيح فى جملته، هذا بالإضافة إلى ترديده دوماً بأن الذى يعمل فى منطقة البدو لابد أن يعرف حيلهم.

(٣) إقامة صداقات مع شيوخ وسلاطين البلدان التى تحوى كنوزاً تراثية مما سهل عليهم سلوك الطرق الآمنة والحراسة مقابل تقديم مساعدات لهم. فالسلطان صالح بن عبد الله العولقى أرسل كتاب أمان له ووصف له طريق شقرة - وثينة ليسلكه وسيّر حراساً، ليرافقوا لندبرج إلى حدود سلطنته يتولون حمايته فى المنطقة، وكان الكونت يزود عملاءه بالسلاح اللازم لحماية وكلائه عند خروجهم لنهب التراث.

(٤) الاستفادة من الدلالين الذين يبيعون الكتب، خصوصاً فى مناطق ذمار وصنعاء وإب وجبلة، لاسيما فى مواسم القحط والجفاف، إذ إن الجفاف وانعدام الطعام يخلقان حالة من الاستعداد لدى مقتنى الكتب المخطوطة لبيعها، وتشير الوثائق رقم ٨، ٥٢، ٥٨ إلى نجاح عملاء الكونت فى الحصول على المخطوطات، بسبب القحط الذى أصاب البلاد، فى حين فشلوا فى شراء مخطوط واحد ونقل أية قطعة أثرية

(١) محمد عيسى صالحية تغريب التراث العربى بين الدبلوماسية والتجارة، ص ٢٩ .

(٢) كارل لندبرج : ولد بمدينة جوتمبرغ سنة ١٨٤٨م وكان والده تاجراً ، درس المرحلة الثانوية فى مدارس أستكهولم والتحق بجامعة أبسلا سنة ١٨٧٠م ثم انتقل إلى جامعة باريس وعين سكرتيراً مساعداً لمجلس الآثار فى استكهولم سنة ١٨٧٤م وعمل كمرشد سياحى للأمراء فى الشرق ١٨٧٧ - ١٨٨٤م وحصل على الدكتوراه سنة ١٨٨٣م. حصل على أكثر من ألفى مخطوط من البلاد العربية وخاصة اليمن بالإضافة إلى الكثير من الآثار .

من بلاد العوالق حين أخصبت البلاد فى بيجان فى حزيران سنة ١٨٩٩م.

(٥) الاستفادة من العلاقات المتردية بين القبائل فى سبيل الحصول على الآثار والمخطوطات فالشيخ عاتق يطلب المساعدة من لندبرج، لأن حملة حربية ستشن عليه فى بيحان، ويعد لندبرج بهدية ثمينة من آثار يشبم إن ساعده الكونت بالسلاح(١). ويتمنى على لندبرج أن يسارع بإرسال مسدس له.

(٦) أحياناً كان عملاء لندبرج يستغلون البسطاء فيقايضونهم كتباً مطبوعة أرسلها لهم الكونت لندبرج مقابل مخطوطات، وإعطاء مقتنى المخطوطات بعض النقود زيادة على الكتب المطبوعة.

(٧) اعتمد الكونت على بعض الهدايا والتحف تقدم لشيوخ وسلاطين المناطق التى يعمل بها العملاء، فقد أرسل بندقية ورصاصها لمحمد صالح جعفر نائب الوالى فى عدن، وناظوراً ومسدساً للسلطان صالح بن عبد الله العولقى، وهدايا أخرى لأحمد ابن عبد الله الفضلى (٢) .

ولم تقتصر المصائب التى حلت بالتراث العربى الإسلامى المخطوط على يد الاستعمار الأوروبى فى البلاد العربية والإسلامية فقط، بل إن التراث العربى الإسلامى المخطوط تعرض بعضه للحرق والإبادة فى البلاد الأوروبية نفسها؛ فقد ذكر أن الدوق يوجين دى سافوا استولى على سراييفو سنة ١٦٩٧م، إذ كانت تسمى بوسنه سراى، وقام بنهب قسم من مخطوطات المكتبة الوطنية، وأقدم على حرق الباقى، وما زال قسم من مخطوطاتها فى مكتبة فيينا. وعادت الكره ثانية فى الهجوم الصربى الشرس الأخير على البوسنة والهرسك، فأقدم الصرب على تدمير معهد الدراسات الشرقية فى سراييفو، وتسبب هذا الدمار فى ضياع تراث ضخم من المخطوطات والوثائق النادرة والكتب الثمينة. وتعد مكتبة المعهد أهم مكتبة للمخطوطات فى أوروبا الشرقية(٣).

ولحق الدمار ٦٥٠ مسجداً، يحتوى أكثرها على العديد من المكتبات بالإضافة إلى بناية تابعة لممتلكات الأوقاف، وعدداً كبيراً من المكتبات الإسلامية والقومية منها مكتبة الغازى خسروبك، ومدرسته الشهيرة فى العاصمة وكانت قد أنشئت عام ١٥٣٧م (٤) .

---

(١) وثيقة ٥٢ من الوثائق المحفوظة فى ملف رقم ٧٩ المحفوظ فى مكتبة جامعة أبسالا بالسويد .

(٢) محمد عيسى صالحية، تغريب التراث العربى بين الدبلوماسية والتجارة ، ص٢٩ وما بعدها.

(٣) " تدمير أهم مكتبة للمخطوطات فى أوربا الشرقية"، الرياض: مجلة الفيصل، (شعبان ١٤١٣هـ)، عدد ١٩٤، ص ١٤٤ .

(٤) خليل محمود العمادى، " المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة " ، ص ص ٦١ - ٦٢ .

وعن أثر الغزو فى أوروبا على التراث العربى الإسلامى المخطوط يقول قاسم دوبراجا[١] : "ولا يفوتنا أن نذكر ههنا أن المكتبات كثيراً ما كانت عرضة للهلاك والنهب بسبب الحروب أو الحرائق، فقد عرفنا مثلاً أن كثيراً من المخطوطات قد تلف، وبعضها قد نهب زمن حرب فيينا (من سنة ١٦٨٣ إلى سنة ١٦٩٩م)، وذلك حين أغار القائد النمساوى البرنس أوجن الساوويى على بوسنة، وأحرق مدنها سنة ١٦٩٧م [٢].

وهكذا أدت الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبى البغيض للبلاد العربية والإسلامية إلى ضياع الكثير الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط.

(١) أمين مكتبة الغازى خسرو بك .

(٢) الغازى خسرو بك، مقدمة فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية ، (سراييفو: ١٩٦٣م)، ١ : ١٠.

النتائج والتوصيات

(أ) النتائج:

تظهر هذه الدراسة الأسباب البشرية التى أدت إلى ضياع الكثير من تراثنا العربى الإسلامى المخطوط والتى من أبرزها :

١) مساهمة بعض العلماء فى ضياع الكثير من المخطوطات عن طريق حرقها أو تمزيقها أو دفنها أو غسلها إلى غير ذلك من الوسائل الأخرى.

٢) الخلافات المذهبية أدت إلى ضياع الكثير من التراث العربى الإسلامى خصوصاً فى بلاد الشام والعراق ومصر .

٣) كثرة الصراعات السياسية على الحكم داخل الدولة الإسلامية أدى إلى فوضى إدارية وحالة اقتصادية متردية فى بعض الأحيان نتج عنها إحراق الكثير من المكتبات .

٤) الإهمال والتقصير من جانب العاملين فى المكتبات ساهم فى سرقة المخطوطات، بالإضافة إلى خيانة بعض أمناء المكتبات.

٥) غزو التتار لعاصمة الخلافة العباسية بغداد وبلاد الشام أدى إلى ضياع الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط .

٦) ضياع و دمار الكثير من التراث العربى الإسلامى المخطوط، ونهب وسلب الكتب والمكتبات على يد الدول الأوروبية الاستعمارية التى هيمنت على معظم البلاد العربية.

(ب) التوصيات:

١- القيام بتصوير جميع المخطوطات على وسائط حديثة تتناسب مع أجهزة التقنية الحديثة.

٢ - إعداد أكثر من نسخة مصورة من المخطوط الأصلى واحدة لخدمة الباحثين، وأخرى لاستعمالها أثناء التصوير، والثالثة يتم وضعها فى مكان آمن .

٣ - ضرورة سن القوانين لمنع خروج المخطوطات من أماكنها والاتجار بها ونقلها من بلد إلى آخر.

٤ - إرشاد العاملين فى مجال الفهرسة والتحقيق والترميم والتجليد إلى كيفية التعامل مع المخطوطات وسبل المحافظة عليها.

٥ - ضرورة سعى الحكومات العربية والإسلامية إلى استرداد ما تم سلبه ونهبه من مخطوطات من قبل الدول الاستعمارية.

٦ - السعى لقيام تعاون بين الدول العربية وتركيا فى مجال التراث لتمكين الباحثين من الاطلاع على الكنوز المخزنة فى المكتبات التركية، وتيسير الإجراءات التى تمكن الباحثين من الحصول على صور للمخطوطات التى يرغبون فى تحقيقها ونشرها.

ظاهرة كتب الحواشي في التراث العربي : دراسة ببليوجرافية

د . هانم عبد الرحيم إبراهيم(*)

مقدمة :

يتنوع الإنتاج الفكرى العربى القديم، المتمثل فى تراثنا المخطوط بين العديد من أشكال التأليف، أو الصياغة للمحتوى الفكرى له. ولم يكن التأليف فى خلال القرن الأول الهجرى ظاهرة، ولكنه كان محاولات فى التأليف مبعثرة ومشتتة، وكانت هذه المحاولات أقرب إلى المذكرات، وكانت عبارة عن رسائل صغيرة، ثم ازدهرت الحركة الثقافية بعد ذلك فى القرن الثانى الهجرى، وخلال العصر العباسى فى ظل فترة الوحدة والتماسك السياسى فى الدولة العباسية التى استمرت فترة ازدهارها من عام ١٣٢- ٦٥٦ هـ.

ولقد استطاع العرب والمسلمون فى خلال تلك الفترة أن يقوموا بتطوير الحركة العلمية، وأن يتوسعوا فى بحوثهم وتآليفهم العلمية، وأن يحافظوا على التراث العلمى الذى وجدوه فى حضارات الأمم السابقة، وأن يضيفوا إليه الكثير خاصة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، واستمرت الحركة العلمية نشيطة حتى القرن السابع الهجرى تقريبًا - عصر دولة المماليك - الذى امتد من القرن السابع حتى القرن العاشر الهجرى، حيث بلغت العلوم العربية ذروتها خلال القرنين السابع والثامن، ووصلت هذه العلوم إلى درجة من النضوج العلمى، ووضعت لها القوانين والنظريات، أما العلوم النقلية فقد تكونت ونضجت فى القرون الأولى، ولم يكن هذا العصر مجرد عصر إحياء ما ذوى، ولم شتات ما اندثر من آثارنا الفكرية، وتسجيل ما هو مهدد بالزوال من أدبنا، وإنما كان عصر عطاء وابتكار وبناء، وخير مثال على ازدهار الحياة العلمية فى عصر المماليك هو عظيم الثروة العلمية التى وصلتنا من ذلك العصر بالذات، ولا تزال العديد من مكتبات العالم تحتفظ بكميات لا بأس بها من مؤلفات العصر المملوكى، وكثير من كتب الشروح والحواشى عليها [1] .

أما بالنسبة لترتيب المجالات التى ألف فيها المسلمون فكان من الطبيعى أن تظفر علوم الدين الإسلامى بالنصيب الأكبر، تليها مجالات اللغة العربية وعلومها التى وضعت

(*) الأستاذ المساعد بقسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

(١) عمر التومي الشيباني ، وآخ : تاريخ العلوم الأساسية في الحضارة العربية والإسلامية .- طرابلس (ليبيا). الهيئة القومية للبحث العلمي ، ١٩٩٦ ص ٢١- ٢٢ .

أساسياتها خلال تلك الفترة بالإضافة إلى العلوم الطبيعية، والعلوم العقلية، وقد كان الاتجاه فى هذه الفترة الأولى من فترات ازدهار التأليف يميل إلى التأليف المتخصص وليس الموسوعى، كما غلب على مؤلفات هذه الفترة التأليف الخالصة التى تقل فيها الشروح، والاختصارات، والاختيارات، والتجريدات، والحواشى، وعندما كانت تظهر كلمة مختصر فى عنوان كتاب ما فإنها لا تعنى اختصارا لكتاب ما؛ إنما تعنى أن المؤلف قد وضع كتابا مختصرا فى الفن الذى يكتب فيه حيث يعالجه معالجة مختصرة بعيدة عن التبحر[١].

كما نشأت خلال تلك الفترة أربعة مذاهب أساسية لأهل السنة والجماعة (المالكى، والشافعى، والحنبلى، والحنفى)، كما ظهرت المذاهب الأخرى غير السنية كالمذاهب الشيعية، ومنها الزيدية، وظهرت الكتب التى تشرح هذه المذاهب، وتشرح الكتب التى ألفها أئمة هذه المذاهب، أو من كتب عنهم، ومنها :(كتاب الأم) للشافعى، و(الموطأ) للإمام مالك، و(المسند) لابن حنبل، وكتب المذهب الحنفى الكثيرة، ومنها كتاب الفقه الأكبر لأبى حنيفة[٢].

وبعد ذلك وفى خلال عصور الدويلات الإسلامية بعد تفكك الدولة العباسية سياسيا، انتشر التأليف وكثرت المصنفات بكافة مستوياتها، وفى شتى مجالات المعرفة، وليست التى تتعلق بالدين الإسلامى فقط. وقد ظهرت خلال تلك الفترة العديد من المؤلفات العربية العظيمة التى تم تناولها فيما بعد بالشرح والتحشية والتلخيص، ومنها كتاب ألفية ابن مالك الطائى الأندلسى التى طغت شهرتها الآفاق، وغيرها من الكتب خاصة ما يتعلق منها بتفسير القرآن الكريم، والتى تناولها العلماء فيما بعد بالشرح والتفسير، كما سنرى فيما يلى من خلال هذه الدراسة التى تتناول ظاهرة إعداد كتب الحواشى فى التراث العربى المخطوط.

ولقد اهتم علماء المسلمين بالمحتوى العلمى للكتب التى يضعونها، واختلفت مستويات المسئوليات الفكرية التى تم من خلالها تقديم هذه الكتب، فقد تم تحديد المسئولية الفكرية للكتاب الإسلامى فى خلال الفترة التى يغطيها فهرست ابن النديم، على نحو ثلاثين مسئولية كان أبرزها التأليف، والتصنيف، والرواية، والاختيار،

(١) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب و المكتبات في العصور الوسطى : الشرق المسلم – الشرق الأقصى .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧ ص ٢٣٢

(٢) سوفاجيه ، جان و كلود كاين : مصادر دراسة التاريخ الإسلامي / ترجمة عبد الستار الحلوجي ، عبدالوهاب علوب . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ، ص ٧٤ – ٧٨ .

والاختصار، والشرح، والتعاطى، والجمع، والتجريد، والأمالى، والترجمة، والانتزاعات، والتبصرات، والنقض، والرد، والاستدراك، والمكاتبات، والحكاية، والإصلاح، والنقل، والتفسير، والسماع، والقراءة، والحفظ، والعمل، والصنعة، والنحلة والانتحال، والإلحاق أو التتمة، والمناظرات، والمحاسبات، والمجالس[١] . ولم نجد من بين هذه المسئوليات التحشية أو الحواشى التى تدون على النص، وقد يرجع ذلك لأن الكتب العربية فى القرون الأولى لم تكن قد تم ضبطها بالشكل المادى للنسخ المدونة فى العصور التالية؛ حيث لم تكن هناك الهوامش أو الأماكن الخالية بجوار النص التى تسمح للقارئ أن يدون ملاحظاته ثم يجمعها فيما بعد. وقد تكون كتب الشروح والتفسير هى البدائل للحواشى فى ذلك الوقت. هذا وقد يكون الشرح أو التفسير لاحقين على النص مباشرة أو يبعدان عنه بفترة طويلة قد تمتد قرونا.

وهذه المسئوليات برغم الفروق القائمة بين فئاتها المختلفة إلا أنها تندرج تحت واحد من أقسام التأليف السبعة التى أشار إليها حاجى خليفة، وهى أن يأتى المؤلف بشىء جديد لم يسبق إليه، ويكون هو مخترعه، أو أن يكون هناك شىء ناقص فيتمه، أو أن يبدو هناك عمل مغلق الفهم فيشرحه، أو أن يصبح العمل طويلا فيختصره دون الإخلال بمعانيه، أو أن يظهر العمل متفرقًا فيجمعه، أو يكون شيئًا مختلطا فيرتبه، أو أن يُخطأ فى عمل ما فيتم إصلاحه[٢].

ونتعرف على تلك النوعيات من مسئوليات التأليف المختلفة من خلال نماذج لما كتبه بعض المؤلفين فى مقدمات الكتب التى أعدت لشرح أو تفسير أو اختصار أحد المتون؛ فمن خلال كتاب "القاموس المحيط " للفيروزأبادى، نجد أن لهذا الكتاب عدد من المؤلفات التى تشرح وتلخص وتعلق عليه كما بيَّن لنا حاجى خليفة فى كشف الظنون[٣] ؛ حيث ذكر عن هذا الكتاب ما يلى:" وقال السيوطى فى مزهر اللغة: مع كثرة ما فى القاموس من الجمع للنوادر والشوارد فقد فاته أشياء ظفرت بها فى أثناء مطالعتى لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها فى جزء مذيلا عليه انتهى. وجمع عبد الرحمن بن سيدى على الإماسى ما كتبه أستاذه المولى سعد الله بن عيسى المفتى

---

(١) شعبان خليفة ، وليد محمد العوزة : الفهرست لابن النديم : دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببلومترية وتحقيق و نشر .- القاهرة : العربي للنشر و التوزيع ، ١٩٩١ .- مج ١ ، ص ص ٥٦ - ٧٣ .

(٢) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب و المكتبات في العصور الوسطى الشرق ... مصدر سابق.- ص ص٦٣ - ٦٦ .

(٣) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢ .- مج٢ ص١٣٠٨

المعروف بسعدى جلبى فى هوامش القاموس ودونه فصار حاشية ... وعلق عيسى بن عبد الرحيم على ديباجته شرحًا، وكتب القاضى أويس بن محمد المعروف بويسى أجوبة عن اعتراضاته على الجوهرى وسماه مرج البحرين ..وكتب المولى محمد بن مصطفى الشهير بداود زادة .. وألَّف مختصرًا سماه الدر اللقيط فى أغلاط القاموس المحيد ...، وللشيخ أحمد بن مركز ترجمة بالتركى وسماه البابوس، وصنف الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى ..حاشية على القاموس وسماه القول المأنوس، ومن الحواشى عليه حاشية نور الدين على بن غانم المقدسى...، دونه ولده من طرة قاموسه ....، وشرحه محمد بن عبد الرءوف المناوى...وله حاشية أخرى بالقول أولها ... وحاشية أخرى مختصرة..."

ومن خلال ذلك العرض نرى اختلاف المسئوليات الفكرية التى جاءت حول كتاب واحد هو(القاموس المحيط) واختلاف المسميات التى تطلق على كل وظيفة تؤدى إلى عمل فكرى جديد، فنجد الجمع والتذييل، والجمع والتحشية أو التعليق، والتأليف والاختصار، والتصنيف، والترجمة، والتدوين، والشرح...الخ . ونتبين أيضًا أن المؤلف أو المصنف يقوم بتأليف، أو تصنيف، أو شرح، أو تعليق على بعض المواضع، أو رد على اعتراضات، أو ترجمة، أو اختصار، أو تذييل، على المتن الأصلى أو على أحد المؤلفات التابعة، كل هذه المستويات الفكرية المختلفة ينتج عنها هذه الأعمال المختلفة. وقد يقوم المؤلف أو المصنف أو الشارح بجمع ما دونه وكتابته فى عمل مستقل، أو يترك تعليقاته وشروحه على هوامش نسخته من الكتاب الذى يعلق عليه بالشرح أو الحواشى ... وقد تترك هذه التعليقات على الهوامش ليقوم بجمعها أو تجريدها أحد أبناء المؤلف أو تلاميذه لتدون أو تكتب فى عمل مستقل قد يحمل اسمًا (عنوانا) من وضع المؤلف، أو يسجل العنوان حاشية (فلان) على شرح (فلان) على متن كذا ... إلخ .

وبالرغم من أهمية المتن الأصلى للكتاب المخطوط، إلا أنه يكون ثابتًا من نسخة لأخرى إلا من بعض إضافات أو نقص عن النسخة الأصلية يتسبب الناسخون فى هذه الاختلافات البسيطة غالبًا. أما التعليقات التى تأتى على هذه المتون - كتب الحواشى فتختلف من حاشية إلى أخرى، وذلك تبعا لعلم وثقافة القائم على التعليق أو التحشية، كما تختلف تبعًا لحركة تنقل الكتاب من مكان لآخر حيث يكون تأثير الفكر الشيعى بمذاهبه المختلفة طاغيا على مؤلفات العلماء فى المناطق الخاصة ببلاد الفرس وما حولها، ونجد علماء الدولة العثمانية، وهم غالبًا من السُّنة وبصفة خاصة من أصحاب المذهب الحنفى يتبارون للرد على مزاعم جاءت فى كتب لهؤلاء الشيعة تتعلق بالقرآن،

وهل هو مخلوق أم لا؟ و آراء جدلية حول الذات الإلهية والروح، وغير ذلك، وقد يحكم على علماء الشيعة بالقتل - كما حدث لبعض المؤلفين الشيعة - أو تحرق أعمالهم، ولكننا نتعرف على ما جاء بها من خلال تلك الكتب التابعة التى تأتى لشرحها أو توضيحها، أو الرد على ما جاء بها كما سنبين فيما بعد. كما تتضح الفروق أو الاختلافات بين تلك الكتب التابعة تبعًا لأهمية الكتاب أو المتن الأصلى، وأهمية الموضوع الذى يتناوله، وكذلك قد يكون هناك تأثير لأسلوب مؤلف المتن الأصلى الذى كان من الغموض أو التركيز بحيث يجب وضع شروح له، كما أننا نجد أن المطالعين لهذا الشرح لم يكتفوا بهذه الشروح، إما بسبب أسلوب الشارح، أو لغته، أو عدم إيضاحه للمغلق من المسائل، مما يحتمل وجود العديد من التعليقات والتحشية على المتن وعلى الشروح أيضًا.

ولقد بدأت هذه النوعية من الكتب التابعة التى تلحق بمتن ما - كتب الحواشى - فى الظهور منذ القرن الخامس الهجرى واستمرت حتى نهاية عصر المخطوطات العربية.

ولقد اختارت الباحثة أن تسجل بالحصر والبحث والتحليل أحد هذه الظواهر الخاصة بالمؤلفات التابعة فى كتب التراث العربى، وهى الظاهرة الخاصة بتأليف كتب الحواشى؛ وذلك لكثرة أعدادها، وأيضا كثرة عدد النسخ الموجودة منها حاليا بمكتبات العالم، ولأنها أيضا تعد أحد الظواهر الهامة فى مراحل إعداد كتب التراث العربى والإسلامى، حيث لاحظت الباحثة أن معظم المتون التى جادت بها قرائح علمائنا المسلمين خلال عصور الحضارة المختلفة ظهرت عليها كتب لشرحها غالبًا، ولكن تأتى كتب الحواشى كظاهرة متميزة هنا؛ لأنها تابعة للشرح فى أغلب الأحيان، أى تأتى فى مرحلة تالية لكتب الشروح. فما الذى يستدعى من العلماء الوقوف عند هذه الشروح ومحاولة التعليق والتحشية عليها؟ وهل هذا لقصور فى كتب الشروح؟ ولماذا تم إعداد هذه الحواشى للدرجة التى تصل فى بعض الأحيان إلى إعداد عدة حواشى على شرح معين لمتن ما؟ أو أن تكون الحاشية على عدد من الشروح أو الحواشى المتعددة لمتن واحد؟وهنا قد يمكننا أن نتبين أهمية متن أو نص من النصوص من خلال كثرة إعداد الحواشى عليه مباشرة أو على شروح له؛ حيث يصعب على أى من المطالعين له ولشروحه أن يفوتوا الفرصة للتعليق على ما ورد على هذا المتن من شروح وحواش لتأكيد فكرتهم، أو معارضتهم لأمر من الأمور التى تتناولها هذه الأعمال سواء كانت النص الأصلى لمؤلف ما أو أى شكل من أشكال الكتب التابعة.

وبالإضافة إلى الأهمية العلمية لكتب الحواشى، فإن هذه النوعية من الكتب تمثل الآن إلى جانب كتب الشروح كمًا كبيرًا من أعداد الكتب المخطوطة الموجودة بمكتبات

العالم التى تقتنى مثل هذا التراث العربى المخطوط، كما ترجع أهمية كتب الحواشى أيضا إلى أنها تحفظ لنا المتون الأساسية، بالإضافة إلى كتب الشروح على هذا المتن، كل ذلك بالإضافة إلى نص الحاشية، وهى التعليق على الشروح وذلك فى عمل واحد؛ وهو كتاب الحاشية، خاصة إذا كانت "حاشية بالقول"، أى التى تأتى بقول (ما كتبه) كل من المصنف، والشارح، ومعد الحاشية (المحشى) فى نفس العمل، وهذا فى حد ذاته فائدة كبيرة لحفظ تراثنا العربى.

ولهذا كله قامت الباحثة بحصرٍ لكتب الحواشى التى أعدت لكتب التراث العربى المختلفة؛ لتحليل هذه الظاهرة والتعرف من خلال هذا الحصر على تلك الكتب أو المتون التى أثارت جدلا علميا أدى إلى إعداد العديد من كتب الحواشى على الشروح الخاصة بها، وأستطيع إطلاق اسم الجدل العلمى على هذا، لأنه قد يُكتَفى هنا بشرح أو تلخيص يزيل أو يحل اللبس عن متن ما، أو ييسر تداوله، ولكن أن يستمر الجدل قائمًا حول هذا الشرح أو الشروح لدرجة أن تصل عدد الحواشى لمتن ما فى بعض الأحيان إلى ما يزيد عن خمسين حاشية على شرح واحد أو على عدد من الشروح لهذا المتن، فهذا ما استدعى التوقف عنده، كظاهرة يجب دراستها وتحليلها.

ونظرا للتداخل الشديد بين وظائف كتب الحواشى مع كتب الشروح والتعليقات، وغير ذلك من المسميات التى أطلقت على تلك النوعية من الكتب التابعة، وكذلك نظرا للأعداد الهائلة من كتب الشروح التى لا تستطيع الباحثة تسجيلها بالحصر؛ فقد رأت الباحثة أن تقصر عمليات الحصر الخاصة بهذه النوعية من كتب الحواشى التى تستقل بعنوان خاص بها تسجل فيه كلمة حاشية، ومشتقاتها، وتلك الكتب التى لها عناوين مستقلة، ولكنها معروفة من خلال ببليوجرافيات التراث العربى على أنها حواش، كما يشتمل الحصر الذى قامت به الباحثة على بعض العناوين التى ترد بها كلمة تعليقة، ويراد بها حاشية، كما فى التعليقات على بعض المواضع فى كتب التفسير والحديث، ولكن لم يتطرق البحث والحصر للحواشى نفسها التى دونت على هوامش نسخ أى متن، ولم يقم المؤلف نفسه أو أحد تلاميذه أو الناسخ بتجريدها فى نص يحمل عنوانا خاصا بها.

وعلى ذلك تقوم الباحثة من خلال هذه الدراسة بما يلى :

١- التعريف بكتب الحواشى كأحد أشكال المؤلفات العربية والفرق بينها وبين الأنواع الأخرى من التآليف العربية، وعلاقتها بكل من الشرح والنص الأصلى لكتاب ما من

كتب التراث العربى.

٢- حصر كتب الحواشى فى التراث العربى الإسلامى المخطوط، من خلال ما ورد بالببليوجرافيات الخاصة بحصر كتب التراث العربى القديم، من بيانات عن المتون التى تم إعداد حواش عليها، للتعرف على الحجم الإجمالى لهذه الحواشى. وتم ذلك الحصر فى ببليوجرافية ألحقت بهذه الدراسة، تم من خلالها التعريف بالبيانات الببليوجرافية لهذه الحواشى: (المؤلف، وتاريخ وفاته إن أمكن، والعنوان، والموضوع)

٣- تحديد أبرز سمات هذه النوعية من المصنفات العربية من خلال تحليل الاتجاهات العددية والنوعية لها مثل تحديد أبرز المؤلفات (المتون الأصلية) التى أعدت عليها حواش، وأبرز المجالات الموضوعية، وأبرز المؤلفين الذين أعدوا حواش (المحشيين)، وكذلك أبرز الفترات الزمنية التى تم فيها إعداد كتب الحواشى، والمدى الزمنى الذى يستغرقه تداول متن من المتون لإعداد شروح وحواش عليه، إلى غير ذلك من السمات المميزة لكتب الحواشى.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على منهج الدراسات الببليوجرافية الببليومترية، الذى تم من خلاله الحصر الببليوجرافى لحصر كافة البيانات عن كتب الحواشى فى التراث العربى المخطوط، حيث قامت الباحثة بجمع كافة بيانات هذه الكتب فى ببليوجرافية شاملة لكافة بيانات هذه الحواشى من خلال الببليوجرافيات التى تحصر كتب التراث العربى التى أعدت فى العلوم المختلفة على مدى عصور الكتابة بالمخطوطات العربية، وقامت من خلال هذه الببليوجرافية بتحليل لبيانات كتب الحواشى لتحديد أهم سمات وخصائص هذا النوع من الإنتاج الفكرى بالمخطوطات العربية.

وقد قامت الباحثة بالحصر الببليوجرافى لهذه الكتب من خلال الأدوات الببليوجرافية التى تحصر كتب التراث العربى المخطوط. ومن أهم ما اعتمدت عليه الباحثة الأدوات التالية :

١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم لطاش كبرى زادة.

٢- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطينى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الجلبى (١٠١٧-١٠٦٧)، وذيوله (هدية العارفين، وإيضاح المكنون) لإسماعيل البغدادى.

٣ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، فى ترجمته العربية وذلك من خلال المجلدات العشر التى نشرتها الهيئة المصرية العامة، والتى تغطى تاريخ الأدب العربى منذ العصر الجاهلى إلى دخول الإنجليز لمصر عام ١٨٨١م.

ولقد قامت الباحثة بتحقيق بعض بيانات كتب الحواشى التى تم حصرها من خلال تلك المصادر، وكان من الصعوبة تحديد نسب العناوين التى يتم حصرها للمؤلفين والتأكد من أسماء المؤلفين المتشابهة، خاصة الأبناء والأحفاد الذين يملكون نفس اللقب، وعناوين الكتب التى يتم إعداد حاشية عليها لتشابه بعض العناوين، فهناك مثلا بيانات تفيد أن مؤلفا ما قام بإعداد حاشية على التحفة !، فأى من الكتب التى أطلق عليها هو التحفة المقصودة؟ هل هى التحفة القدسية؟ أم تحفة ابن حجر؟ ، أم التحفة الياسمينية؟...، وكذلك اسم المؤلف، فقد يتم تدوين أن هذه الحاشية للفنارى!، أو أنها لشيخ الإسلام، فأى من أصحاب هذا اللقب، وهم من الكثرة بحيث يصعب التأكد من صحة نسب هذا العمل لأى منهم. وقد قامت الباحثة بتحديد تاريخ وفاة المؤلفين الذين أعدوا تلك الحواشى من خلال المصادر المختلفة الببليوجرافية والبيوجرافية، لتحديد القرن الذى تم تأليف هذه الحواشى فيه، حيث يصعب تحديد تاريخ التأليف بسنة معينة من خلال مصادر الحصر.

ولقد ألحقت الباحثة هذه الدراسة بتلك الببليوجرافية التى تم حصر البيانات الخاصة بكتب الحواشى من خلالها بهذه الدراسة، كما عرضت بعض الجداول التى تسجل التوزيعات المختلفة لهذه الحواشى، لعلها تكون ذات فائدة لمن يريد التعرف على عدد الحواشى التى ألفت على متن ما حتى يمكنه تحقيق بعض هذه المتون، التى قد يتم ذكرها أو بيانها فى كتب الحواشى، بالإضافة إلى ذلك فقد أدرجت الباحثة كشافات ببعض عناوين نسخ كتب الحواشى فى بعض المكتبات التى تحتفظ بتراث عربى مخطوط؛ ليتعرف من خلالها الباحثون على بعض أماكن هذه النسخ الموجودة منها، والمنتشرة فى مكتبات العالم، ومن هذه المكتبات مكتبة الكونجرس الأمريكية، ومجموعة كتب الحواشى بمكتبة جامعة الإسكندرية المركزية، وكذلك مجموعة حواشى مكتبة إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بدولة الكويت، وهى ما أتيح للباحثة عرضه من خلال تلك الدراسة، أما أكثر عدد من نسخ لكتب الحواشى فموجود فى مكتبة الأزهر (٩٧٣) نسخة، ولم تستطع الباحثة إدراجها، وبياناتها متاحة للعرض من خلال موقع المكتبة على الإنترنت الأزهر أون لاين (WWW.alazharonline.org)، وقد يفيد هذا أيضًا فى التعرف على أكثر كتب الحواشى التى لها نسخ متعددة بالمكتبات،

ويفيد أيضًا فى التحقق من أن هذه النوعية من النسخة المخطوطة تمثل نسبة كبيرة من من مقتنيات هذه المكتبات من التراث المخطوط؛ فهناك العديد من المجالات التى يمكن دراستها عن تلك الحواشى كأعداد النسخ الموجودة من كل حاشية على مستوى مكتبات العالم، وناسخوها وأماكن نسخها والخطوط التى كتبت بها، ومن تملكها، وغير ذلك من دراسات لملامحها المادية، أو مراحل تداولها.

الدراسات السابقة :

لم يتم تناول كتب الحواشى كظاهرة فى أى دراسة مستقلة من الدراسات السابقة، ولذلك تحاول الباحثة من خلال هذا العمل دراسة سمات وخصائص هذا النوع من أنواع كتب التراث العربى المخطوط بشكل تفصيلى، ومن أهم هذه الدراسات التى تمت عن الحواشى فى كتب التراث العربى؛ ما ورد من خلال المبحث الثانى من مباحث الفصل الثامن الخاص بمصاحبة النص فى كتاب"العلاقة بين النصوص فى التأليف العربى: دراسة على تفارع النصوص العربية: منهج جديد لعلم الببليوجرافيا التكوينية" للدكتور كمال عرفات نبهان، وتناول من خلال هذا المبحث العلاقات بين النصوص، والتى تأتى مصاحبة للنص مثل الحواشى التى يتم تدوينها على نصوص الكتب المختلفة (تحشية النص) وقام بتعريف الحواشى، وأنواعها، والاختلافات بينها وبين الشروح. ويعتبر هذا العمل هو أبرز الكتابات عن ظاهرة كتب الحواشى بينما تناولتها الدراسات الأخرى بشكل عابر وسريع فى إطار تفاصيل عن موضوعات تتعلق بالمخطوطات العربية.

وفى المؤتمر الأخير لمركز المخطوطات التابع لمكتبة الإسكندرية[1] - الذى تابعته الباحثة بعد انتهائها تقريبا من إعداد هذا العمل الذى بين أيدينا - والذى تناول "المخطوطات الشارحة" لم تتطرق بحوث هذا المؤتمر بشكل مفصل لكتب الحواشى.

ولذلك، ونظرًا لما تمثله هذه الكتب من أهمية فى إبراز أحد ظواهر التأليف فى التراث العربى، ولعدم وجود دراسات ببليوجرافية ببليومترية تحصر وتسجل أعداد هذه النوعية من كتب التراث وتحلل أهم سماتها؛ تقوم الباحثة من خلال هذه الدراسة بهذا الحصر والتحليل لإبراز أهم سمات وخصائص هذه النوعية من كتب الحواشى فى التراث العربى المخطوط.

(١) المؤتمر الدولي الثالث لمركز المخطوطات : المخطوطات الشارحة (٧-٩ مارس ٢٠٠٦) مركز المؤتمرات - مكتبة الإسكندرية.

أولا - تعريف الحاشية Commentaries , Annotations

الحاشية بالمعنى الاصطلاحى، لها معنيان، أولهما: المعنى المادى ويعنى الهامش أو الفراغ المحيط بالصفحة، وثانيهما: المعنى التأليفى أو المعلومات والأفكار التى يتم تسجيلها على متن نص مؤلف ما سواء أكانت هذه المعلومات مسجلة على هامش نفس الكتاب الذى يشمل المتن، أو يتم تسجيلها بالمتن ويدون الكتاب الأصلى بالهامش، أو أن تسجل هذه المعلومات فى كتاب مستقل. وقد ذكر حاجى خليفة فى كشف الظنون أن الحاشية عبارة عن أطراف الكتاب ثم صار عبارة عما يكتب فيها، وما يجرد منها بالقول تدوينا مستقلا، ويقال عليها تعليقة أيضا(١).

والتعليقة، كما تعتقد للباحثة من خلال متابعتها الحصرية لكتب الحواشى المسجلة فى كشف الظنون تكون غالبا على جزء من المتن أو العمل الذى يتم التحشية عليه، وليست على المتن كله، كما أن التعليقة فى أحيان قليلة تتبع كتب الشروح، وتعد أحيانا من كتب الشروح، وقد حاولت الباحثة قدر الإمكان حصر التعليقات التى يقصد بها الحواشى أو تقوم مقامها من خلال سياق الحصر الببليوجرافى لها بكتاب كشف الظنون الذى كان الاعتماد عليه بصفة أساسية لحصر كتب الحواشى.

وقد عرض كتاب (العلاقة بين النصوص فى التأليف العربى) لكمال عرفات نبهان، المعانى المتعددة لمصطلح الحاشية، وأضافت الباحثة ما تمكنت من تمييزه من تعريف لبعض أنواع الحواشى، وأضافت أمثلة على هذه الأنواع من كتب الحواشى التى قامت بحصرها، وتتركز أهم تعريفات مصطلح "الحاشية" على ما يلى:

١- الحاشية بمعنى الهامش (Margin)، أى الفراغ الذى يوجد (فى) أو (على) أو (ب) الصفحة، والذى يمكن كتابة الملاحظات التى تعود على تدوينها المشتغلون بالعلم.

٢- الحاشية بمعنى الملحوظة الهامشية (Marginal note)، أو التهميشة (Marginalia) أو التحشية أو الشرح (Annotation) أى الملاحظات التى يقوم القارئ بتسجيلها على هامش الصفحة بجوار النص، حيث لم تعرف الحواشى التى تأتى فى ذيول الكتب العربية المخطوطة Footnotes

٣ - الحاشية كتأليف مستقل: حيث كانت الملاحظات التى يتم تدوينها على نص ما طويلة بحيث لا تكفى هوامش الكتاب لتدوينها، فتستقل بكتاب خاص بها يكتب فى

(١) حاجي خليفة - مرجع سابق .- ص ٦٢٣

عنوانه كلمة حاشية، وقد تضم أيضا التعليق ((gloss) على موضوعات عالجها مؤلفون سابقون.

٤- الحاشية المندمجة مع المتن: وهى الحاشية التى دونها المؤلفون أنفسهم على نسخة المتن الأصلى الذى ألفوه، وذلك حتى لا يتركها الناسخ، مثال كتاب "أسد الغابة فى معرفة الصحابة" الذى ألفه ابن الأثير حيث أدمج الاختصارات الدالة على المصادر فى هذا الكتاب(وهى بمثابة التنقيح والتعديل الذى يسجل فى الطبعة التالية للكتاب المطبوع) والذى يدون فيهما ما يرون إضافته من استطراد أو تفسير أو تحليل.هذا وقد يقوم المؤلف الأصلى للمتن بتعليق أو إضافة هذا النوع من التعليقات على نسخته الأصلية، ويدمج النص الأصلى مع الحواشى، ويفصل الناسخ بينهما بلون مغاير أو بنط مختلف، ونرى على ذلك أمثلة فى كتاب كشف الظنون[1]. ومن هذه العناوين ما قام به الشيخ محمد بن عبد المجيد السامولى الشافعى السعودى الذى اختصر كتاب "مغنى اللبيب" فى كتاب بعنوان " ديوان الأريب فى مختصر مغنى اللبيب" وتتبع ما لخصه من القواعد بحواش توضح مبانيها ....، واختار كاتبه إدراج الحواشى فى الأصل وكتابة الأصل بالأحمر وفرغ من الاختصار والتحشية فى عام ٩٦١هـ. وهناك الحاشية المندمجة مع النص، والتى يتم تجريدها من الهوامش من قبل الناسخ أو من القارئ الذى يدون تعليقاته، والتى يتم الدمج فيها فى كتاب مستقل يسجل فيه النص الأصلى مع الحواشى، وهنا يكون تمييز كل منهما بكتابة وقال المصنف، وقال المُحشِّى (أو مما يتعين ههنا ذكره.

٥- حاشية بالقول :

من خلال الحصر الذى قامت به الباحثة لكتب الحواشى، تعرفت على نوع من الحواشى يسمى حاشية بالقول، ومن خلال البحث تبين للباحثة أن الحاشية بالقول هى نوع من الحاشية المندمجة مع النص أو المتن الذى يتم التحشية عليه، ولكن لا يكون الاندماج تاما بين المتن والحاشية، ويفرق بين ما كتبه المؤلف للمتن الأصلى، والذى كتبه الشارح، أو المحشى، بكلمات (قال المؤلف، أو الشارح، أو كلمة قوله، أو أقول) ولذلك سميت"حاشية بالقول"، ومثال ذلك"حاشية على شرح قطر الندا وبل الصدى يس بن زين الدين الحمصى الشافعى" (حاشية بالقول).

(١) حاجي خليفة ،نفس المرجع السابق - مج٢ ص ١٧٥٤ .

الحواشى الطبقية: Accumulated commentaries

وهى نوع من الكتب التى تسجل بشكل تراكمى بناء على متن معين يتم شرحه وتسجل حاشية عليه ثم يعلق آخر على الحاشية الأولى فيرد صاحب الحاشية الأولى على هذه التعليقات، وهكذا يتم تعليق عدة حواشى على الحواشى فى شكل طبقات، وأبرز مثال عليها "الطبقات الصدرية والجلالية" وهى عبارة عن مجموعة من كتب الحواشى والتعليقات على الشرح الجديد لقوشجى على كتاب تجريد الكلام للنصير الطوسى، وتكونت هذه الطبقات من حاشية للجلال الدوانى على الشرح الجديد لقوشجى، وتلاها رد وجواب من مير صدر الدين الشيرازى على حاشية الجلال، وظلت هذه المداولات بينهما إلى أن توفى الصدر الشيرازى بدون أن يرد على الجلال الدوانى، وقام ابن الصدر (مير غياث الدين منصور الحسينى) بعد وفاة والده بالرد على حاشية الدوانى الأخيرة التى سميت بالحاشية الأجد. وقد كان لكل كتاب من كتب الطبقات هذه عنوان اشتهر به، مكونة ستة كتب هى الطبقات الصدرية والجلالية، والحاشية الأولى كانت للجلال الدوانى، واشتهرت باسم الحاشية القديمة الجلالية، والثانية اشتهرت بالحاشية الجديدة الجلالية، والثالثة اشتهرت بالحاشية الأجد الجلالية، وقد قام مير صدر الدين الشيرازى بالتعليق على كل واحدة من هذه الحواشى الثلاث، وسميت كل منها بعنوان مختلف[1].

هذا وقد يمكننا تمييز أنواع الحواشى التى تعلق على النص، أو تشرحه تبعا لتقسيمين[2] :

الأول: تبعًا لاكتمال أو عدم اكتمال الحاشية، فهناك الحواشى التامة التى تعلق على النص كله أو تشرحه بأكمله، وهناك الحواشى غير التامة التى تعلق أو تشرح أجزاءً من النص خاصة إذا كان العمل الأصلى الذى يتم التعليق عليه كبيرا ومكونا من عدة أجزاء، كما فى كتاب" أنوار التنزيل وأسرار التأويل" فقد حصرحاجى خليفة فى كشف الظنون خمس عشرة (١٥) حاشية كاملة له، منها كتاب" نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لجلال الدين السيوطى، وحصر كذلك (٢٨)حاشية غير تامة لهذا الكتاب أيضًا، منها كتاب "حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:من أوله إلى آخر سورة الأعراف، ومن أول سورة النبأ إلى آخر القرآن" لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفراينى.

(١) حاجي خليفة ، نفس المرجع السابق .- مج ١ ص ٣٥٠

(٢) كمال عرفات نبهان العلاقة بين النصوص في التأليف العربي : دراسة على تفارع النصوص العربية : منهج جديد لعلم الببليوجرافيا التكوينية .- القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ - ص ٢٢٣ .

والتقسيم الثانى: وفقا لمكان وجود الحاشية، فهناك الحواشى المجاورة للنص على هامش الصفحات، وهناك الحواشى المندمجة بين سطور النص، أو الحاشية الممزوجة مع المتن التى تصاغ بحيث يدون المتن فى سياق التعليق ويمزج بين النص الأصلى أو المتن الذى يتم التحشية عليه، وبين التحشية أو التعليق على هذا المتن. وهناك الحواشى المستقلة التى تدون فى كتاب مستقل، وكانت تجرد غالبا من على هامش صفحات المتن لتدون فى كتاب مستقل، يحمل عنوانا يدل على أنه حاشية، وقد يقوم واضع الحاشية بتجريد هذه الحاشية وكتابتها فى مسودة خاصة به أو يقوم بتجريدها غيره سواء من تلاميذ المؤلف واضع الحاشية أو من النساخ أو غيرهم .

أهمية كتب الحواشى:

تعد كتب الحواشى من أكثر أشكال المؤلفات التابعة عددًا فى تاريخ التأليف العربى(١)، حيث بدأت هذه الظاهرة فى الظهور فى القرن الخامس الهجرى كما سنبين فيما بعد، وذلك بكتابة بعض الملاحظات على أجزاء من النص المقروء بهوامش الصفحات التى لم تكن تكفى فى أحيان كثيرة لكتابة هذه الملاحظات أو التعليقات، مما دعا لتخصيص كتب مستقلة للتعليقات والحواشى والشروح والتفسيرات، ولم تنتشر هذه النوعية من الكتب، وتصبح ظاهرة إلا بعد القرن السابع الهجرى، وما يليه، وهى الفترة التى سميت فيما بعد بعصر الانحطاط الفكرى، خاصة فى تلك العصور المتأخرة للحضارة الإسلامية، والتى دونت فيها كثير من كتب الشروح والحواشى التى قد تعبر عما يطلق عليه البعض ظاهرة الاجترار الفكرى(٢) التى تعنى الدوران حول كتب موجودة بالفعل وتلخيصها وتذييلها وشرحها واختصارها، وتحشيتها، وتجريدها، وقد استمرت هذه الظاهرة حتى ظهور الطباعة، بل امتدت لبعض أوائل المطبوعات التى وردت عليها حواشى هامشية مثل الطبعة الإيرانية من موسوعة الشفاء لابن سينا فى القرن التاسع عشر(٣)، حيث لم يكن هناك من يهتم خلال تلك الفترة بالكتابة عن موضوعات جديدة ذات أهمية بدلا من الكتابة عن مؤلفات القدماء ومناطحتهم، أو غير ذلك من الأسباب التى تدعو إلى إعدادهم لأعمال تقوم على كتب الأصول.

والمتن الأصلى أو النص الأساسى لمؤلف ما، هو ما وضعه عالم أو شيخ- من أساتذة العلم أو من العلماء المشهورين- من نتاج أفكاره عن موضوع معين، حيث تُدَّون

---

(١) كمال عرفات نبهان: المرجع السابق - ص ٢٢ .

(٢) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب و المكتبات في العصور الوسطى الشرق .. مصدر سابق . ص٢٣١ .

(٣) كمال عرفات نبهان : مرجع سابق . ص ٢٢٤ .

ما تجود به أفكار هذا المؤلف عن هذا العلم أو الموضوع فى متن كتاب يكون له قيمته العلمية التى تستدعى الاستشهاد به والرجوع إليه، وفى أحيان كثيرة، ونظرا لاختلاط الثقافات الإسلامية بين المشرق الإسلامى والمغرب الإسلامى قد تكون هذه الكتابات رغم قيمتها العلمية البالغة صعبة الوصول إلى أذهان الدارسين لها، أو المطالعين، فيأتى من العلماء من يقرأ هذا العمل الأصلى، ويقوم بشرح أو تفسير أو تعليق على بعض مواضعه، ويقف على النقص أو الأخطاء التى وردت فيه، وقد يكون هذا الشرح أكثر شهرة من العمل الأصلى فيتداوله القراء، وقد يأتى من بعد ذلك كاتب آخر ليشرح الشرح الأول، ويضيف إليه، وقد يتم تدوين هذه الشروح على حواشى المتن الأصلى لكتاب المؤلف أو النسخة الأصلية، أو تتم على هوامش نسخ تالية لهذه النسخة الأصلية، وقد تطول هذه الحواشى أو تقصر ويسمى صاحبها المُحشى (Scholiast)، وقد تكون هناك تعليقات على الشروح أو الحواشى (تعليقة على شرح أو حاشية...) ويسمى صاحب التعليقات المعلق (Commentator)، وقد يكون هناك شروح على الحواشى(شرح على حاشية..) أو قد تكون هناك حواشى على حاشية ما [1] كما فى الطبقات الصدرية والجلالية التى سبق الإشارة إليها. وأيضا هناك حاشية على حاشية على حاشية كما فى كتاب "رفع الغواشى بإيضاح تتمة الحواشى فى إزالة الغواشى(الحاشية الخانقاهية): حاشية على حاشية القرباغى (الحاشية الخانقاهية) على حاشية الخيالى على شرح الدوانى للعقائد العضدية" لعطاء الله خواجة بن محمد عبد الهادى الملقب بشيخ الإسلام (ت١٢١٣هـ) .

وقد يسجل للحاشية عنوان من وضع المؤلف نفسه، وتعرف هذه الكتب بأنها حواش على كتب أخرى من سياق العنوان الذى اتخذه المؤلف أو من خلال مقدمة المؤلف، كما فى حواشى جلال الدين السيوطى على كثير من الكتب، ومنها كتاب:"التوشيح" وهو حاشية على التوضيح، وأيضا كتاب: "السيف الصقيل على شرح ابن عقيل" وهو حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك فى النحو.

وقد يعتبر البعض أن هذا النوع من الكتب يعد إفلاسا من جانب هؤلاء الكتاب، أو طريقة لكسب الرزق[2]، ولكن هذا ليس من ذنب هؤلاء الذين أعدوا تلك الحواشى؛ ففى الماضى تعمد بعض الأقدمين من العلماء إعداد كتبهم على قدر من الإبهام، حتى

(١) يوسف زيدان : المخطوطات الألفية .- طبعة خاصة بمناسبة المؤتمر السنوي الأول لمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية .- الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٤ .- ص ١٩ .

(٢) أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧ .-مج ٢ .

يضطروا الناس إلى تعلمها منهم بالأجر، ثم جاء من بعدهم من تعلم ذلك من أولئك الأقدمين، وأخذوا تلك الكتب المبهمة، والتى هى من المتون الأصيلة فى المجال، وأصبحت وسيلتهم فى التكسب هى وضع شروح عليها ليتداولها الدارسون، ثم أتى من بعدهم من وضع حواشى على تلك الشروح، وانتشرت تلك الحواشى أكثر بين الدارسين، وربما كان هؤلاء الذين كتبوا تلك الحواشى من الناسخين من التلاميذ النابهين لهذا الشارح، والذين كانت وسيلتهم للتكسب هى إعداد نسخ من تعليقات شيوخهم على تلك المتون أو الشروح، وهذا ما يفسر ما قد حدث بالنسبة لبعض الحواشى التى أعدها الدارسون فى الأزهر مثلا، فقد كانوا ينسخون ما يدونه شيوخهم من تعليقات على أحد المتون، أو يسجلوا هم تعليقاتهم على متون تلك الكتب الدراسية التى يتناولونها بالشرح بالجامع الأزهر، ثم تصبح هذه النسخ، متونا لهم حينما يقومون بالتدريس فى الجامع الأزهر فيما بعد. ولكننا وعلى الرغم من وجود ذلك الهدف المادى من وراء إعداد تلك الحواشى؛ إلا أننا لا ينبغى أن نعمم هذا الرأى على كافة كتب الحواشى خاصة تلك التى تمت فى بداية ظهور هذا النوع من الكتب، حيث لا تخلو كتب التراث العربى بفنونه المتعددة من كتب أصلية لها قيمتها العلمية الأصيلة التى كانت تتسم بنوع من الغموض أو الشمولية لأنها كانت الأصل فى هذا العلم؛ لذلك كان من الأهمية وجود من يأتى من بعدها ليقوم بشرحها أو إزالة الغموض عنها أو التعليق عليها، واختصارها، وقد تكون هذه الشروح والحواشى أكثر شهرة، أو أكثر تناولاً أو فهمًا بين طلاب العلم من الكتب الأصلية كما سنرى لاحقا.

وعلى هذا ومن خلال تعريف حاجى خليفة فى كشف الظنون، وتعريف كمال عرفات نبهان[1] يمكن للباحثة صياغة هذا التعريف للحاشية بأنها "نوع من التأليف التابع لنص أصلى أو تابع للتابع، وهى غالبًا ما تحتل الرتبة الثانية فى التبعية للنص بعد كتب الشروح التى تشرح متنًا معينًا، وتتناول كتب الحواشى كغيرها من بعض الكتب التابعة للنص الملاحظات أو التعليقات على النص الأصلى أو على الشرح التابع لهذا النص، وذلك بغرض إيضاح وبيان شىء غامض بالنص، أو تدقيق وتحقيق بعض المسائل الذى تناولها العمل الذى يتم التحشية عليه، أو بغرض إضافة أشياء ناقصة بالنص، أو ربط الأفكار فى النص بمصادرها الأصلية أو استخراج وإبراز فوائد النص، أو الاستدراك عليه وتصويب الأخطاء الواردة فيه أو انتقاد المؤلف أو الشارح والرد عليه أو الدفاع عنه والرد على منتقديه، كل هذه الوظائف تمثل جهودًا من أجل تحقيق النص وضبطه من عدة نواح".

---

(١) كمال عرفات نبهان : مرجع سابق . ص ٢٢٥-٢٢٦ .

• مصادر الحصر الببليوجرافى لكتب الحواشى فى التراث العربى المخطوط:

قامت الباحثة بحصر البيانات الخاصة بكتب الحواشى التى تم إعدادها على مدى عصور الكتابة فى العصور الإسلامية وحتى نهاية عصر المخطوطات بالقرن الرابع عشر الهجرى؛ والتى ورد ذكرها من خلال أهم الببليوجرافيات التى تحصر الإنتاج الفكرى الإسلامى المدوَّن فى مخطوطات، مثل فهرست ابن النديم، وأيضًا من خلال الحصر الببليوجرافى الذى أعده طاش كبرى زادة من خلال كتابه"مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم" (١)،(٢). وكذلك من خلال العمل الببليوجرافى الشامل لحاجى خليفة كتاب" كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون"، وذيوله:"إيضاح المكنون"، و"هدية العارفين" لإسماعيل البغدادى. وكذلك من خلال كتاب تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، وذلك فى مجلداته العشر التى نشرتها الهيئة المصرية العامة مترجمة إلى اللغة العربية.

ومن خلال هذه المصادر الببليوجرافية تبين ما يلى:

اولا ـ كتاب الفهرست لابن النديم:(٣)

حاولت الباحثة تتبع وجود أى من كتب الحواشى خلال القرون الأولى منذ بداية عصر التدوين، ولم تجد الباحثة أى أثر لكتب الحواشى خلال ذلك التجميع الببليوجرافى بفهرست ابن النديم الذى يمتد الحصر فيه إلى سنة ٣٧٧ هـ، ولكن تعرفت الباحثة على أن كتب الشروح والمختصرات والنقض كانت هى الكتب التابعة التى كانت تدون لتفسير واختصار الكتب التى ظهرت فى تلك الفترة. ولم تظهر أى كتب تحمل عنوان حاشية بالمعنى المتداول فيما بعد.

ثانيًا ـ كتاب " مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى العلوم" لطاش كبرى زاده:

قامت الباحثة بحصر العناوين الخاصة بكتب الحواشى التى وردت من خلال مفتاح السعادة، وبلغ عددها أربعون كتابًا فقط، وذلك من بين (٢٥٧١) كتابًا قام طاش كبرى

---

(١) شعبان خليفة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كوبري زادة: دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية وكشافات : المجلد الأول الدراسة والتصنيف .- القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ .- ٤١٠ ص

(٢) طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى.- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم /.- بيروت دار الكتب العلمية ،- ١٩ .- ٣مج.

(٣) ابن النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعرف بالوراق/ كتاب الفهرست للندين.- ط ٣ - تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازندراني.- بيروت : دار المسيرة ، ١٩٨٨ .

زادة بحصرها فى كافة المجالات. وتكرر ذكر كتابين من هذه الكتب الأربعين (٤٠ كتابًا) فى علمين مختلفين، الكتاب الأول:حواشى شرح المطالع للسيد الشريف الجرجانى، وتكرر فى علمين هما (علم الألغاز، وعلم المنطق)، والكتاب الثانى: حواشى على الهداية للخبازى، وتكرر فى علمين هما: علم أصول الفقه، وعلم الفقه (الشعبة السابعة من العلوم الشرعية) المطلب العاشر (تلامذة أبو حنيفة النعمان الأعلام)

ولقد تم توزيع هذه الحواشى على أحد عشر موضوعا من موضوعات العلوم المختلفة التى قسمها طاش كبرى زادة. وتبين للباحثة أن هذا الحصر غير مكتمل، فلا يمكن أن يكون هناك أربعون كتابًا فقط تمثل إجمالى عدد كتب الحواشى التى ظهرت حتى عصر المؤلف أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) والذى أنجز هذا العمل خلال القرن العاشر الهجرى، وذلك كما سنرى من خلال ما تم حصره من كتب الحواشى التى تجاوزت الألف والثمانمائة كتاب التى تم حصرها من خلال كتاب كشف الظنون وذيله إيضاح المكنون، وأيضًا من خلال كتاب تاريخ الأدب العربى لبروكلمان.

ثالثًا - كتاب" كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون" لحاجى خليفة :

قام حاجى خليفة فى القرن الحادى عشر الهجرى بحصر حوالى سبعمائة (٧٠٠) كتاب من كتب الحواشى، من خلال حصره لكتب التراث الإسلامى التى تم تجميعها فى كتابه "كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. وقد استكمل إسماعيل البغدادى هذا الحصر من خلال ذيل كشف الظنون:"إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون"، وجمع ما يقرب من مائتى كتاب من كتب الحواشى، وقد حصرت الباحثة (٦٧٢) كتابًا من كتب الحواشى من خلال كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. أما كتاب إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، فقد بلغ إجمالى عدد كتب الحواشى التى تم حصر بياناتها من خلاله (١٧٣) كتابًا، وهى كتب الحواشى التى لم يضمها حاجى خليفة بكشف الظنون، وأيضًا حصر تلك الكتب التى ظهرت فى الفترات الزمنية التالية منذ القرن الحادى عشر- وفاة حاجى خليفة- ، وحتى القرن الرابع عشر. وقد تكرر ذكر ستة عشر(١٦) كتابًا فى كشف الظنون وفى ذيله؛ لذا فالعدد الإجمالى الذى زاده اسماعيل البغدادى على كشف الظنون بالنسبة لكتب الحواشى هو(١٥٧) كتابًا، وعلى ذلك فالعدد الإجمالى لمجموعة كتب الحواشى التى تم حصرها من خلال كشف الظنون وذيله إيضاح المكنون بلغ (٨٢٩) كتابًا.

أما كتاب"هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون" فقد قام إسماعيل البغدادى بحصر أسماء المؤلفين الذين وردت أعمالهم فى كشف الظنون وبعض آثارهم العلمية التى خلفوها، ونظرًا لطريقة الترتيب الزمنى لأسماء المؤلفين فى

هذا العمل، وهى طريقة غير عملية سواء ما تم فى المتن الأساسى الذى تم هجائيًا تبعًا للاسم الأول للمؤلف، ولكن على أساس الزمن الذى عاش فيه هؤلاء المؤلفون، أو لطريقة الترتيب بالكشاف الذى رتبت فيه أسماؤهم هجائيا تبعا للأسماء الأولى للمؤلفين بغير الترتيب الزمنى الذى يوجد بالمتن، وهذا الاسم الأول غالبا ما يكون غير معروف؛ لذلك كانت هذه الببليوجرافيا من أصعب المصادر التى حاولت الباحثة من خلالها تجميع بيانات هذه الحواشى، فلابد من معرفة اسم المؤلف كاملاً، وبشكل سليم لتحديد موقعه داخل الببليوجرافيا لحصر أعماله التى لم تكن مدونة بشكل مكتمل، فقد يذكر إسماعيل البغدادى عند حصره لأعمال أحد المؤلفين بعض هذه المؤلفات ويعقب بكلمة وغير ذلك من الأعمال. إذا فلم يكن هذا العمل أساسًا فى الحصر؛ لأنه مختصر ولم يدون كافة أعمال المؤلفين، وكذلك فقد كان الحصر بعناوين الأعمال أفضل لحصر المتون الأصلية والحواشى التى تم إعدادها على هذه المتون، ومع ذلك فقد تتبعت الباحثة من خلال هدية العارفين بعض أعمال هؤلاء المؤلفين من خلال تصفح المجلدين الخامس والسادس، وحصرت ما يقرب من مائة عمل آخر من كتب الحواشى التى تم حصرها، إذا كان مجموع ما تم حصره من خلال كشف الظنون وذيوله إيضاح المكنون، وهدية العارفين ما يقرب من ألف كتاب من كتب الحواشى.

رابعًا ـ كتاب تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان:

ومن خلال متابعة الباحثة للأقسام المختلفة التى قسم إليها هذا العمل، الذى قامت بالإشراف على إصداره المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ونشرته الهيئة المصرية العامة مترجمًا إلى اللغة العربية، فى مجلدات بلغ مجموعها عشر مجلدات، كان آخرها عام ١٩٩٩؛ قامت الباحثة بتصفح هذه المجلدات كاملة لحصر كافة ما ورد بها من كتب الحواشى التى ظهرت منذ بداية التأليف العربى إلى نهاية الفترات الزمنية التى تتبع فيها بروكلمان تاريخ الأدب العربى، وذلك بالقسم العاشر والذى ينتهى التقسيم الزمنى فيه بعام ١٨٨١م. وقد قام بروكلمان من خلال هذا العمل بحصر مؤلفات مخطوطة ومطبوعة صدرت حتى أوائل القرن العشرين. وهذا العمل أيضًا مرتب بشكل غير عملى للحصر من خلاله؛ حيث ترتب الأعمال أو الإنتاج الفكرى فى المجلدات العشرة المقسمة زمنيًا وفق عصور الكتابة الإسلامية، وداخل كل عصر ترتب الأعمال وفقا للمنطقة الجغرافية وفقًا لتقسيماته المختلفة من زمن لآخر(العراق، والشام ومصر، وبلاد إيران، وتركيا ...إلخ) وداخل كل منطقة تقسم الأعمال بالموضوع، وتحت الموضوع ترتب مؤلفات كل المنتسبين من الشخصيات لهذه المنطقة، تبعا لما قدموه فى كل موضوع من الموضوعات التى يقسم إليها داخل كل منطقة، حيث يمكن أن يتم

تكرار الاسم الواحد للشخصية أكثر من مرة تبعا لإسهاماته فى الموضوعات التى كتب فيها، وإذا كان لأحد هذه الشخصيات متن معين مشهور يذكر بروكلمان أهم الشروح والحواشى والتعليقات التى تمت على مؤلفاته بدون ترتيب معين لأسماء الشخصيات التى قامت بالشرح أو التحشية، لذلك كان من الممكن أن يأتى ذكر حواش على بعض المتون أو الشروح التى أعدت فى القرن السابع الهجرى مثلاً لشخصيات عاشت فى القرن العاشر، ويتم تكرار هذه البيانات عندما يأتى الحديث عن شخصيات القرن العاشر، وأعمالهم التى تكون من بينها تلك الحواشى التى سبق بيانها من قبل، وتسبب هذا فى حدوث كثير من التكرار عند تدوين الباحثة لبيانات هذه الحواش، خاصة أن بروكلمان قد اختصر فى ذكر أسماء المؤلفين، وكان أحيانًا يذكر تاريخ وفاتهم وأحيانا لايذكره عند تكرار ذكر أسمائهم، مما يجعل من الصعوبة تلافى أخطاء التجميع الببليوجرافى لكتب الحواشى من خلال هذا العمل. وعلى الرغم من ذلك؛ فقد قامت الباحثة بجهود كبيرة لمنع هذا التكرار الموجود أصلاً فى كتاب بروكلمان، حيث يكرر نفس العمل لنفس الشخص فى نفس المكان الذى يتناول فيه أعماله، كما حاولت الباحثة تلافى التكرار الذى تم نتيجة حصر كتب الحواشى من أكثر من مصدر ببليوجرافى، حيث استكملت الباحثة حصرها لكتب الحواشى التى تم بيانها فى كل المصادر السابقة، ببيانات عن كتب الحواشى التى تم حصرها من كتاب تاريخ الأدب العربى، وقد تكرر كثير منها بين تلك المصادر مع اختلافات فى بعض البيانات، ومع ذلك يكون العمل الذى ينبغى حصره هو نفسه فى كل منها، كما قامت الباحثة بجهود لضبط أسماء المؤلفين (أصحاب المتن أو الشرح) وكذلك ضبط أسماء المحشيين خاصة إذا كانت هناك أخطاء فى ترجمة أو نقحرة أسماء المؤلفين من جانب من قاموا بترجمة كتاب تاريخ الأدب عن الألمانية، فقد يذكر أن كتابًا ما للنهراوى، وتحاول الباحثة إيجاد بيانات عن هذا المؤلف، ويثبت أنه لا وجود لشخصية بهذا الاسم، ويتبين أن الاسم الحقيقى هو النحراوى، وغير ذلك من أخطاء فى هجاء بعض الأسماء خاصة الأسماء غير العربية الأصل، كما أن الإشارات المرجعية التى ترجمت نقلا عن المتن الألمانى للكتاب لم تكن ذات فائدة بالنسبة للنسخة العربية المترجمة، حيث كان بروكلمان يشير إلى أنه ذكر تلك الشخصية أو ذلك العمل من قبل فى صفحات ما بمجلدات سابقة بالنسخة الألمانية، وترجمتها هنا غير مجدية بالنسبة للمجلدات العربية التى تتقصها التتابعية مع بعضها البعض.

ونظرا لطريقة الترتيب هذه؛ وكذلك لعدم توافر الكشافات المناسبة للحصر؛ وأيضا عدم تفريقه فى بعض الأحيان بين كتب الحواشى وكتب الشروح، فقد تطلب

الأمر أيضا متابعة كل صفحة من صفحات هذه الببليوجرافيات التى تحصر كتب التراث العربى المخطوط.

وبالرغم من كل هذه الصعوبات؛ فقد قامت الباحثة بحصر ببليوجرافى شامل لكل ما استطاعت التعرف عليه من بيانات كتب الحواشى التى ورد بيانها فى هذه المصادر الببليوجرافية التى تحصر هذا التراث. ولكن لا تستطيع الباحثة التحديد الفعلى للعدد الإجمالى لكتب الحواشى التى يضمها كتاب بروكلمان؛ فقد كانت بعض البيانات عن كتب الحواشى متكررة بين مصادر الحصر المختلفة، ولكن يمكن للباحثة التأكيد على أن كتاب كشف الظنون بمجلداته الست كان مصدرًا أساسيًا للحصر تم من خلاله تجميع ما يقرب من ألف حاشية، أما كتاب تاريخ الأدب العربى، فقد حصر ما يزيد على ثمانمائة حاشية جديدة لم تحصرها مجلدات كشف الظنون، وذلك بالإضافة إلى البيانات المشتركة بين العملين الببليوجرافيين بالنسبة لحصر كتب الحواشى.

وفيما يلى قامت الباحثة بتحليل بيانات كتب الحواشى للتعرف على السمات العددية والنوعية لهذه النوعية من الكتب، ومن خلال تحليل بيانات هذه الكتب تم تحديد العلاقات بين النصوص المختلفة التى ظهرت فى كتب التراث العربى الإسلامى، وذلك من خلال تحديد أهم المتون الأصلية التى تم إعداد حواشى عليها، وأهم كتب الشروح التى تم إعداد حواشى عليها، إلى جانب الخصائص الموضوعية والزمنية لهذه النوعية من الكتب، وأبرز المؤلفين للمتون، ولكتب الحواشى التى أعدت عليها.

● أولا- السمات العددية لكتب الحواشى فى التراث العربى المخطوط:

قامت الباحثة بتوزيع إجمالى ما تم حصره من كتب الحواشى التى شملتها مصادر الحصر الببليوجرافى التى سبق بيانها، والتى دونت بياناتها بالببليوجرافيا الملحقة بهذه الدراسة، واستعانت لتدوينها وإعداد الجداول والإحصائيات ببرامج الكتابة العادية بالحاسب الآلى ((WinWord) بدون إعداد برنامج مخصص لقاعدة البيانات، يمكّن من خلاله إعداد الإحصائيات والبحث بشكل سهل.

ومن خلال تقسيم بيانات هذه الحواشى إلى مجموعات مختلفة، منها البيانات الخاصة بالمؤلفين أو الموضوعات، أو النواحى الزمنية، أو العناوين؛ قامت الباحثة بتوزيعها عدديًا ونوعيًا لتحديد أبرز سماتها. ومن خلال الجدول رقم (١) تم توزيع متون الكتب التى تم إعداد حواش عليها توزيعًا شاملاً لموضوعات المتون، وعدد الحواشى على كل متن، وإجمالى عدد الحواشى فى كل موضوع، ومن خلال تلك التوزيعات المختلفة تبين ما يلى:

الجدول رقم (١) التوزيعات العددية لكتب الحواشى على متونها ، و موضوعاتها

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
١ – آداب البحث والمناظر			٦	٦٥
	١ – شـرح آداب الفـاضـل شـمس الدين مـحـمـد بن أشـرف الحسينى السمرقندى (الرسالة السمرقندية)	٢٨		
	٢ – شرح آداب البحث (المناظر والخلاف) للعضد الإيجى.	٢٢		
	٣ – شـرح الرسـالة الحسينيـة فى الآداب لحسين أفندى الأنطاكى	٧		
	٤ – رشالة طاش كبرى زاده فى علم آداب البحث	٥		
	٥ – تقرير القوانين المتداولة من علم المناظرة لساجقلى زادة.	٢		
	٦ – شـرح الرسـالة الولدية فى فن المناظرة لسـاجـقلى زادة.	١		
٢ – الأخلاق والتصوف			٧	٨
	٧ – شرح تحفة الإخوان فى بيان أهل العرفان للدردير	٢		
	٨ – الطريقة الحنفية السمحاء فى الأخلاق والتصوف	١		
	٩ – فضائل رمضان للأجهورى	١		
	١٠ – رسائل الأنصارى.	١		
	١١ – الوصية الجلية.	١		
	١٢ – حزب البر الكبير للشاذلى.	١		
	١٣ – الإنسان الكامل لعبدالكريم الجيلى	١		
٣ – أصول الحديث وعلومه			٦	٢٣
	١٤ – نخـبـة الفكر فى مـصطلح الأثر لابن حـجـر العسقلانى	١٣		
	١٥ – شرح العرقى لألفيته فى أصول الحديث.	٦		
	١٦ – مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث	١		
	١٧ – الخلاصة فى أصول الحدبث للطيبى	١		
	١٨ – شرح داود بن محمد القارصى لرسالة البركوى فى أصول الحديث	١		
	١٩ – شرح البيقونية	١		
٤ – كتب الحديث			١١	٢٩
	٢٠ – مواضع من صحيح البخارى، وشروحه	١٤		
	٢١ – شرح مشكاة المصابيح : مختصر مصابيح الدجى (السنة)	٣		
	٢٢ – شرح الأربعين النووية.	٣		
	٢٣ – صحيح مسلم.	٢		
	٢٤ – بيان الأحاديث لأحمد الإحسائى	١		
	٢٥ – شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلانى	١		
	٢٦ – المجتبى شرح سنن النسائى شرح سنن أبى داود.	١		
	٢٧ – مسند الإمام أحمد بن حنبل.	١		
	٢٨ – سنن الترمذى	١		
	٢٩ – الأذكار للنووى	١		
	٣٠ – عون المودود لشرح سنن أبى داود.	١		

الموضوع	عناوين المتون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
٥ - علم الأصول والفقه.			٢٠	١٣٣
	٣٣ - جمع الجوامع فى أصول الفقه لابن السبكى	١٥		
	٣٤ - مرقاة الوصول إلى علم الأصول لمنلاخسرو	١١		
	٣٥ - شرح تحفة الحكام فى نكت العقود والأحكام لابن عاصم الغرناطى.	٤		
	٣٦ - شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول لامية ابن الزقاق.	٦		
	٣٧ - شرح لقطة العجلان وبلة الظمآن للزركشى.	٢		
	٣٨ - شرح المنتخب فى أصول المذهب (المنتخب الحسامى) للأخسيكتى.	٢		
	٣٩ - مختصر المعانى.	٢		
	٤٠ - رياض الصالحين للنووى.	١		
	٤١ - أصول الإمام فخر الإسلام على بن محمد البزدوى	١		
	٤٢ - إيضاح النووى فى المناسك.	١		
	٤٣ - الفوائد السنية: شرح البرماوى للنبذة الزكية فى القواعد الأصلية.	١		
	٤٤ - الجواهر السنية.	١		
	٤٥ - شرح فصول البدائع لأصول الشرائع للفنارى	١		
	٤٦ - المسايرة فى الفقه.	١		
	٤٧ المنثور فى ترتيب القواعد الفقهية للزركشى	١		
	٤٨ - الجامع الوجيز، أو الفتاوى البزازية) فتاوى الكردرى)	١		
	٤٩ - المنهج المنتخب إلى أصول المذهب للتجيبى الزقاق.	١		
	٥٠ - قلائد العقيان.	١		
٦ - علوم (البلاغة)			١٣	١١٤
	٥١ - شروح مفتاح السكاكى	٤٥		
	٥٢ - المطول (الشرح المطول لسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان).	٣٥		
	٥٣ - شروح المختصر أو عروس الأفراح (الشرح المختصر لسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان).	٢٠		
	٥٤ - رسالة الصبان فى علم البيان.	٣		
	٥٥ - شرح محيى الدين محمد بن إراهيم التكسارى للإيضاح فى المعانى والبيان للجلال القزوينى.	٢		
	٥٦ - شرح العلاقة في البيان فى الاستعارة لمحمود الأنطاكى.	٢		
	٥٧ - بديع النظام الجامع بين كتابى البزدوى والأحكام لابن الساعاتى.	١		
	٥٨ - بسملة الإحراز فى أنواع المجاز والاستعارات للسجاعى.	١		
	٥٩ - شرح مجهول لكتاب البديع فى وصف الربيع للغرناطى	١		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	٦٠ - شـرح لمـحـمـد الدمنهـورى للجوهـر المكنون فى صـدف الـثـلاثة الفنّون للأخـضـرى (نظم تلـخـيص المفتاح)	١		
	٦١ - شرح العربية	١		
	٦٢ - سر الصناعة وأسرار البلاغة	١		
	٦٣ - مشكلات المستصفى للغزالى.	١		
٧ - التاريخ			٢	٢
	٦٤ - كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي.	١		
	٦٥ - شـرح مـسـعـود بن جـمـوح المـغـربى تفـصـيل الدرر للمكناسى.	١		
٨ - علم التجويد			٣	٢٠
	٦٦ - شرح المقدمة الجزرية.	١٧		
	٦٧ - النونية فى القراءة.	٢		
	٦٨ - شرح التجويد.	١		
٩ - تفسير القرآن			٨	١٩٦
	٦٩ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل.	١٢٥		
	٧٠ - الكشاف.	٣٧		
	٧١ - تفسير الجلالين.	١٩		
	٧٢ - إرشـاد الـعـقل السليم إلى مـزايا الكتـاب الكريم (تفسير أبى السعود العمادى)	٤		
	٧٣ - رسالة ابن سينا فى تفسير سورة الإخلاص.	٤		
	٧٤ - تفسير الفاتحة.	٤		
	٧٥- تفسير سورة الكهف لأبى السعود العمادى.	٢		
	٧٦ - الحمد لله.	١		
١٠ - التوحيد والعقائد			١٤	١٣٧
	٧٧ - شرح التفتازانى على العقائد النسفية	٥١		
	٧٨ - شرح الهدهدى للعقائد السنوسية.	٣٩		
	٧٩ - حـواشى على شـرح الجـلال الدوانى للعـقـائد العضدية.	٣٣		
	٨٠ - إرشاد المريد فى خلاصة التوحيد.	٢		
	٨١ - شروح لبدء الأمالى: القصيدة اللامية فى التوحيد لإمام الحرمين.	٢		
	٨٢ - عقائد الصابونى: الكفاية فى الهداية.	٢		
	٨٣ - شرح القصيدة النووية فى العقائد.	١		
	٨٤ - شرح محمد الأمير لمنظومة أو أرجوزة السقاط فى التوحيد.	١		
	٨٥ - عقائد (رسالة) الفضالى.	١		
	٨٦ - كتاب الخمسة الأصول فى عقائد الزيدية.	١		
	٨٧ - شرح الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية للدردير	١		
	٨٨ - رسالة التوحيد للبركوى.	١		
	٨٩ - رسالة الخادمى	١		
	٩٠ - إرشاد الطالب لمحمد الكواكبى	١		
١١ - الحساب			٦	١١

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	٩١- شرح الياسمينية	٥		
	٩٢ - شرح منية الحساب فى علم الحساب للمكناسى	٢		
	٩٣ - دقائق الحقائق فى معرفة حساب الدرج والدقائق لسبط المارديني	١		
	٩٤ - الورقات أو رسالة فى العمل بربع الدائرة فى المقنطرات لجمال المارديني.	١		
	٩٥ - رسالة الإسطرلاب للمارديني.	١		
	٩٦ - نزعة النظار فى علم الغبار لابن الهائم	١		
١٢ - السيرة والمدائح النبوية			١٩	٤٨
	٩٧ مولد النبى ﷺ لأحمد الدردير	٦		
	٩٨ - شرح الهمزية، لابن حجر	٥		
	٩٩ - شرح شمايل النبى (الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية للترمذى)	٤		
	١٠٠ - شروح مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبارالمصطفوية	٤		
	١٠١ - بردة البوصيرى	٤		
	١٠٢ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلانى.	٣		
	١٠٣ - شروح دلائل الخيرات للجزولي.	٣		
	١٠٤ - قصة المعراج لنجم الدين الغيطى	٣		
	١٠٥ - مختصر بهجة السامعين فى مولد النبى لحسن المدابغى	٣		
	١٠٦ - بانت سعاد	٢		
	١٠٧ - الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للجزرى	٢		
	١٠٨ - الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض	٢		
	١٠٩ - العروة الوثيقة على (الطريقة المحمدية للبركلي)	١		
	١١٠ - السراج المنير	١		
	١١١ - نظم الصبان لأسماء أهل بدر	١		
	١١٢ - شرح سيرة ابن هشام: الروض الأنف الباسم لعبد الرحمن السهيلى.	١		
	١١٣ - شرح بهجة السامعين في مولد النبى لنجم الدين الغيطى.	١		
	١١٤ - عيون الأثر فى فنون المغازى والسير لابن سيد الناس الأندلسى	١		
	١١٥ - ضوء النهار	١		
١٣ - الطب			٧	١٩
	١١٦ - كتاب وشروح القانون لابن سينا	٩		
	١١٧ - شرح نفيس الدين الكرمانى للأسباب والعلامات	٥		
	١١٨ - الكتاب (الكتب) المئة فى الصناعة الطبية: موسوعة طبية فى مائة رسالة لأبى سهل بن يحيى المسيحى الجرجانى	١		
	١١٩ - أبقراط الحكيم	١		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	١٢٠ – موجز القانون لابن النفيس	١		
	١٢١ – شرح ابن أبى صادق لمسائل حنين فى الطب	١		
	١٢٢ – كتاب الطب المنصورى.	١		
١٤ – علم الفرائض والمواريث			٧	٣٣
	١٢٣ – شرح السيد الشريف الجرجانى للسراجية أو فرائض السجاوندى	١٢		
	١٢٤ – شرح الرحبية فى الفرائض	١١		
	١٢٥ – الفرائض الشريفية للجرجانى	٦		
	١٢٦ – فرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين ومتن فى الفرائض	١		
	١٢٧ – التحفة القدسية لابن الهائم	١		
	١٢٨ – حاشية على الأشنهية فى الفرائض	١		
	١٢٩ – شرح البهاء العاملى لجواهر الفرائض النصيرية للنصير الطوسى.	١		
١٥ – الفلسفة والحكمة			١١	٢٢
	١٣٠ – رسالة الدوانى فى إثبات الواجب	٥		
	١٣١ – نظم المقولات العشر فى الحكمة للسجاعى	٤		
	١٣٢ – الحكمة البالغة لمحمود الجونبورى	٣		
	١٣٣ – تهافت الفلاسفة	٢		
	١٣٤ – فصوص الحكم	٢		
	١٣٥ – شرح الملخص فى الحكمة	١		
	١٣٦ – شرح بارى أرمنياس العبارة لأرسطو	١		
	١٣٧ – الدوحة الميادة فى تحقيق الصورة والمادة أو رسالة فى إثبات الهيولى لمحمود الجونبورى	١ ١		
	١٣٨ – رسالة إثبات الواجب	١		
	١٣٩ – رسالة فى إثبات واجب الوجود لصدر الدين الشيرازى ملا صدرا	١ ١		
	١٤٠ – شرح الدوانى لهياكل النور	١		
١٦ – علم الفلك والهيئة			٤	١٥
	١٤١ – حواشى على شرح الملخص فى الهيئة.	٩		
	١٤٢ – حاشية على شرح تشريح الأفلاك	٣		
	١٤٣ – حاشية على شرح التذكرة الناصرية للنصير الطوسى	٢		
	١٤٤ – حاشية على شرح المقنع فى علم المقرع للمرغيثى العمل فى التقويم التنجيم	١		
١٧ – علم الكلام			٤	٧١
	١٤٥ – شرح الموقف فى علم الكلام للعضد الإيجى.	٣٩		
	١٤٦ – هداية المريد بشرح جوهرة التوحيد للقانى.	١٦		
	١٤٧ – طوالع الأنوار للقاضى البيضاوى.	١١		
	١٤٨ – المقاصد فى علم الكلام للتفتازانى.	٥		
١٨ – اللغة والأدب			٨	٢٢
	١٤٩ – الصحاح فى اللغة	٦		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	١٥٠ - القاموس المحيط للفيروزآبادى	٦		
	١٥١ - درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى	٥		
	١٥٢ - مجمع البحرين فى اللغة.	١		
	١٥٣ - التعليقة فى الخلاف	١		
	١٥٤ - الاستدراكات على مقامات الحريرى	١		
	١٥٥ - قصيدة أبيات اليافعى.	١		
	١٥٦ - بعض أشعار الفارضى	١		
١٩ - المذاهب الفقهية			٥٥	٢٨٨
١ - المذهب الحنفى			١٤	١٢٠
	١٥٧ - (النقاية):مختصر وقاية الرواية فى مسائل الهداية	٥٣		
	١٥٨ - دور الحكام بشرح غرر الأحكام فى فروع الحنفية.	١٩		
	١٥٩ - شروح الهداية فى الفروق للمراغيانى.	١٣		
	١٦٠ - الأشباه والنظائر فى الفقه الحنفى لابن نجيم المصرى.	١١		
	١٦١ - شرح ابن الملك لمنار الأنوار لحافظ الدين النسفى.	٨		
	١٦٢ - شرح كنز الدقائق فى الفروع للنسفى .	٤		
	١٦٣ - جامع الفصولين	٣		
	١٦٤ - شرح مجمع البحرين وملتقى النهرين فى فروع الحنفية.	٢		
	١٦٥ - شرح نور الإيضاح ونجاح الأرواح للشرنبلالى	٢		
	١٦٦ - شرح الفقه الأكبر لأبى حنفية	١		
	١٦٧ - مختصر غنية المتملى لشرح منية المصلى وغنية المبتدئ فى آداب الصلاة للكاشغرى.	١		
	١٦٨ - شرح الجامع الصغير.	١		
	١٦٩ - زبدة الأفكار للسيكالوتى.	١		
	١٧٠ - حلبى صغير (ملتقى الأبحر فى فروع الحنفية لبرهان الدين بن محمد بن إبراهيم الحلبى).	١		
٢ - فقه الشافعية			٢٠	٩٨
	١٧١ - شرح منهاج الطالبين للنووى	٢٠		
	١٧٢ - شروح غاية الاختصار	١٨		
	١٧٣ - منح الغفار لشرح تنوير الأبصار وجامع البحار للتمرتاشى	١٢		
	١٧٤ - إصلاح الوقاية فى الفروع لابن كمال باشا.	٧		
	١٧٥ - مسائل الشهاب الزاهد فى الفقه.	٦		
	١٧٦ - الروضة فى الفروع (روضة الطالبين وعمدة المتقين) لمحيى الدين أبى زكريا بن شرف النووى	٥		
	١٧٧ - تحفة الطلاب بشرح تحرى تنقيح لباب الفقه شرح زكريا الأنصارى لمختصره لكتاب اللباب فى الفقه.	٥		
	١٧٨ - شرح ابن حجر الهيثمى للمقدمة الحضرمية (مختصر الفقه الشافعى لبافضل الحضرمى).	٥		
	١٧٩ - شرح الحاوى الصغير فى الفروع.	٤		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشي	عدد المتون	عدد الحواشي لكل موضوع
	١٨٠ - شرح ابن قاسم لشرح الورقات لإمام الحرمين فى الأصول.	٣		
	١٨١ - الأشباه والنظائر فى الفروع.	٣		
	١٨٢ - معالم الأصول.	٢		
	١٨٣ - الشفا فى سند الشافعى.	١		
	١٨٤ - الوافى فى الأصول لفيض الكاشى.	١		
	١٨٥ - زبدة الفقه.	١		
	١٨٦ - شرح مختصر ابن شجاع فى فروع الشافعية.	١		
	١٨٧ - فتح الغيث.	١		
	١٨٨ - مختصر النافع	١		
	١٨٩ - كتاب المحلى لابن حزم	١		
	١٩٠ - تشريح شرح التنقيح.	١		
٣ - فقه المالكية			٦	٤٣
	١٩١ - شرح مختصر الشيخ خليل الصفدى فى الفروع.	٢٨		
	١٩٢ - أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للدردير.	٤		
	١٩٣ - شروح الرسالة في فقه المالكية.	٤		
	١٩٤ - شرح العشماوية.	٤		
	١٩٥ - شـرح عـبـدالبـاقى بن يوسف الـزرقـانى لعـمـدة السـالك على مذهب الإمام مـالك (المـقـدمـة العـزية للجماعات الأزهري).	٢		
	١٩٦ - تهذيب المدونة والمختلطة فى فقه المالكية.	١		
٤ - فقه الشيعة			١٥	٢٧
	١٩٧ - شرح الروضة البهية للعاملى الشاهد الثانى.	٩		
	١٩٨ - شـرح زين الدين المليـارى (فتح المعين لشرح قـرة العين).	٤		
	١٩٩ - مدارك الأحكام.	٢		
	٢٠٠ - شرائع الإسلام فى الفقه مذهب الإمامية.	١		
	٢٠١ - شرح الإرشاد فى فقه الشيعة.	١		
	٢٠٢ - الأسفار الأربعة.	١		
	٢٠٣ - مختلف العلامة.	١		
	٢٠٤ - ديباجة المفاتيح.	١		
	٢٠٥ - إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان للمطهر الحلى.	١		
	٢٠٦ - هداية العقول لشرف الدين الحسين.	١		
	٢٠٧ - حجة الله البالغة لولى الله الدهلوى.	١		
	٢٠٨ - الرسائل على دليل الانسداد.	١		
	٢٠٩ - الشمس البازغة.	١		
	٢١٠ - حـاشيـة على مـسـالك الإفهـام إلى تنقـيح شـرائع الإسلام.	١		
	٢١١ - شرح المبدى.	١		
٢٠- المنطق			١٩	٣٦٦
	٢١٢ - التـجريد (تجـريد الكلام لنصيـر الدين الطوسى) مع حواشى الطبقـات الصدرية والجـلالية على شرح التجريد.	٦٢		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	٢١٣ - شروح إيساغوجى.	٥١		
	٢١٤ - تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية.	٥١		
	٢١٥ - هداية الحكمة للأبهرى وشروحه.	٤١		
	٢١٦ - المطالع (مطالع الأنوار فى المنطق للأرموى).	٣٥		
	٢١٧ - شرح لرسالة الاستعارة السمرقندية.	٣٠		
	٢١٨ - شـرح السلم المـرونق فـى المطنق لعبـدالرحـمن الأخضرى.	٢٥		
	٢١٩ - شرح الدوانى لتهذيب المنطق والكلام للتفتازانى.	٢٣		
	٢٢٠ - حكمة العين أو شروحها.	١٦		
	٢٢١ - شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا.	١٠		
	٢٢٢ - شرح مير زاهد الهروى لرسالة التصورات للقطب التحتانى.	٧		
	٢٢٣ - الشفاء لابن سينا.	٥		
	٢٢٤ - رسالة فى التصورات للدوانى.	٤		
	٢٢٥ - المطلع.	١		
	٢٢٦ - ديباجة الدر التاجى فى المنطق.	١		
	٢٢٧ - كشـف الأسـرار عن غـوامض الأفكار فى المنطق للفاضل أفضل الدين محمد بن ناماور بن عبدالملك الخونجى.	١		
	٢٢٨ - رسالة إثبات الجوهر المفارق العقل الكلي للنصير الطوسى	١		
	٢٢٩ - تسعة أبيات فى المنطق (أنواع المنافاة) لمحمد أمير.	١		
	٢٣٠ - بديع الميـزان (شرح عبدالهادى الطلنبى لميزان المنطق لعبدالرسول بن محمد خان البيجابوري).	١		
٢١ - النحو والصرف			٢٨	٢٣٤
	٢٣١ - شروح للكافية فى النحو لابن الحاجب	٥٠		
	٢٣٢ - شرح ألفية ابن مالك.	٤٤		
	٢٣٣ - شرح السعد لتصريف العزى للزنجانى.	١٩		
	٢٣٤ - شرح المقدمة الأجرومية.	١٨		
	٢٣٥ - شرح قطر الندا وبل الصدى لابن هشام.	١٨		
	٢٣٦ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.	١٢		
	٢٣٧ - شرح المقدمة الأزهرية للشيخ خالد الأزهرى.	١١		
	٢٣٨ - شروح الأعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام.	٩		
	٢٣٩ - شرح الشافية فى التصريف لابن الحاجب.	٩		
	٢٤٠ - نتائج الفكر شرح إظهار الأسرار للبركوى.	٧		
	٢٤١ - شرح شذور الذهب.	٧		
	٢٤٢ - شروح المصباح فى النحو للمطرزى.	٥		
	٢٤٣ - العوامل الجديدة للبركوى.	٥		
	٢٤٤ - شرح بحرق علي لامية الأفعال لابن مالك.	٣		
	٢٤٥ - شرح التفتازانى على الديباجة على المصباح.	٢		
	٢٤٦ - إعراب ديباجة الإعراب للسيد الشريف.	٢		
	٢٤٧ - امتحان الأذكياء للبركوى.	٢		

الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى	عدد المتون	عدد الحواشى لكل موضوع
	٢٤٨ - ألغاز ابن هشام فى القضايا النحوية.	١		
	٢٤٩ - شرح قطر الهدى	١		
	٢٥٠ - شـرح نقـرة كـار للب الألبـاب فى علم الإعـراب للفاضل أحمد بن السيف الإسفرايينى.	١		
	٢٥١ - العوامل المائة فى النحو لعبدالقاهر الجرجانى.	١		
	٢٥٢ - الإيضاح: شرح ابن الحاجب للمفصل فى النحو للزمخشرى	١		
	٢٥٣ - الخصائص فى النحو لابن جنى.	١		
	٢٥٤ - شرح خليل الصفدى للامية العجم لمؤيد الدين العميد الطغرانى.	١		
	٢٥٥ - هداية النحو لأبى حيان محمد أثير الدين	١		
	٢٥٦ - جمل الزجاجى.	١		
	٢٥٧ - حاشية على أصول ابن السراج.	١		
	٢٥٨ - إعراب القارع.	١		
٢٢ - الهندسة			٤	٩
	٢٥٩ - أشكال التأسيس فى الهندسة للسمرقندى.	٤		
	٢٦٠ - تحرير التصير لأقليدس.	٣		
	٢٦١ - أصـول منلوس فى الأشكال الكرية للنصير الطوسى.	١		
	٢٦٢ - شرح الحنفى للرسالة الشرطية.	١		
٢٣ - علم الوضع			٣	٣٠
	٢٦٣ - شرح الرسالة الوضعية العضدية.	٢٧		
	٢٦٤ - الرامزة الخزرجية.	٢		
	٢٦٥ - شرح العروض الأندلسية.	١		
إجمالى	٢٦٥ متنا			١٨٩٥

١ - بلغ إجمالى عدد كتب الحواشى التى تم حصرها (١٨٩٥) حاشية، تم توزيعها على (٢٦٥) متنًا وتم توزيع تلك المتون على (٢٣) مجالاً موضوعيًا. ومن خلال توزيع هذه الحواشى على النصوص أوالمتون التى تم إعداد الحواشى عليها، تبين أن هذه المتون التى تم إعداد الحواشى عليها وعددها (٢٦٥) متنًا من كتب التراث العربى، كان من بينها (١٢٤) متنًا لشروح الكتب المختلفة أو متون النصوص الأصلية. أما عدد المتون الأصلية التى تم إعداد حواش عليها مباشرة، فقد بلغ (١٤١) متنًا، وقد يكون هذا المتن (العمل الأصلى)، أو أحد المختصرات أو الموجزات لمتن معين، وقد تكون الحاشية على المتن الأصلى والشروح فى نفس الوقت، وهذا يبين أن الحواشى قد تكون تالية من حيث التبعية للمتن الأصلى مباشرة، وقد تكون تابعة للتابع، أى تابعة للشروح.

جدول رقم (٢) تبعية كتب الحواشى للمتن الذى أعدت عليه

تبعية الحواشى	عدد الحواشى
١ - حواش على شروح المتن الأصلى أو شروح الكتب التابعة للمتن الأصلى	١٠٦٣
٢ - حواش على متون أصلية	٦٤١
٣ - حواش على حواشى الشروح المختلفة للمتن الأصلى	١٢٧
٤ - حواش على مختصرات لمتون أصلية	٦١
٥ - حواشى على كتب أخرى تابعة للمتن	٣
المجموع	١٨٩٥

قامت الباحثة من خلال توزيع عناوين كتب الحواشى التى تم حصرها على كل متن من المتون، بتتبع العلاقات بين النصوص المختلفة لهذه الكتب، والتى يوضحها الجدول رقم (٢)، وتبين أن أكبر كم من هذه الحواشى جاءت على متون شروح لنص أساسى أو لشرح اختصاره، أو غير ذلك من كتب الشروح؛ أى أن هذه الحواشى جاءت فى المرحلة الثانية من حيث التتابع النصى بعد كتب الشروح، وقد بلغ إجمالى ما تم حصره من كتب الحواشى على الشروح (١٠٦٣) كتابًا، وحصرت الباحثة كذلك (٦١) حاشية على كتب مختصرات للمتن الأساسى، وكان أبرزها الحواشى على متن "النقاية"، وهو متن مختصر الوقاية فى الفروع الذى أعده المحبوبى صدر الشريعة الثانى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ، لكتاب وقاية الرواية فى مسائل الهداية لبرهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله بن إبراهيم المحبوبى المتوفى فى حدود سنة ٦٧٣هـ، حيث تم حصر (٤٥) حاشية على المتن المختصر (النقاية) من جملة (٥٣) حاشية، وهى ما تم حصره على هذا المتن نفسه (الوقاية) وعلى مختصره (النقاية) والشروح المختلفة له.أما كتب الحواشى على حواشى شروح المتون الأصلية؛ فقد بلغ إجمالى ما تم حصره منها (١٢٧) حاشية، كان أبرزها الحواشى على حاشية التجريد للشريف الجرجانى على شرح تجريد العقائد للطوسى. بينما جاءت (٦٤١) حاشية أو تعليقة على متون لنصوص أصلية وليست لشروح أو أية كتب تابعة للمتن الأصلى، وبرزت من بينها بالتأكيد الحواشى والتعليقات على متون كتب التفسير كأنوار التنزيل، والكشاف، وتفسير الجلالين،...، وكتب الحديث كصحيح البخارى، وغيره. ويدل هذا كله على أن كتب الحواشى كان لابد

من وجودها للتعليق على كتب الشروح، خاصة تلك الشروح التى تعد كالمتن الأساسى، بالإضافة إلى دورها للتعليق على المتن الأصلى، وهنا تكون علاقتها مباشرة بالنص الأصلى وتكون تالية له، وتقوم مقام الشرح، وقد حصرت الباحثة أيضا من خلال تلك العناوين حاشية على تقرير(حاشية على تقرير زكريا الأنصارى على شرح كمال الدين مسعود الشروانى لآداب الفاضل شمس الدين)، وحاشية على استدراك (الانتصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات : حاشية لطيفة على الاستدراكات على مقامات الحريرى)، وكذلك حاشية على كتاب موجز (حاشية على موجز القانون لابن النفيس).

٢- يتبين من خلال ما سبق أن الحاشية لا تكون تابعة فقط للشرح لتقوم بالتعليق على الشرح، بل قد تكون تابعة للمتن مباشرة، وتقوم مقام الشرح للمتن الأصلى، أوقد تكون الحاشية تابعة للتابع كتبعيتها الأصلية للشروح، أو قد تكون تابعة للمتون الأخرى التابعة للنص كالمختصرات، أو الاستدراكات أو قد تكون تابعة للمتون الأخرى التى تلى الحاشية فى التبعية كالتقريرات، فالتقرير غالبًا ما يكون تابعا للحاشية، هو والتعليق، وهنا نستطيع التأكيد على أهمية نص أو متن ما من خلال عدد النصوص التابعة له، والتى لا تقف عند حد كتب الشروح فقط؛ فقد يكون هناك شرح واحد لكل متن، ولكن أن يظل شرح المتن غير كافٍ، ولا يقنع الدارسون والمطالعون له بهذا الشرح، وتستمر مداولات التوضيح والتحليل لمعانى الشرح، هذا هو الذى يؤكد أهمية المتون التى أعدت عليها كتب الحواشى فى تراثنا العربى، وبالتالى أهمية هذه الحواشى الواقعة على هذا المتن، ولقد كانت ضرورة استلزمها ذلك العصر الذى دونت خلاله، نظرا لاختلاط ثقافات العرب مع العجم الذين كانت أعمالهم فى ذلك الوقت هى المتون الأساسية التى يتداولها العلماء من العرب وغيرهم مما استلزم ذلك الكم من الكتب التى تيسر على كل المطالعين لهذه المتون فهمها والانتفاع بعلومها.

٣- من أهم السمات التى تم التعرف عليها من خلال التوزيعات العددية لكتب الحواشى، أن عددًا قليلاً من تلك الحواشى اتخذ عنوانا مستقلا خاصًا به، وأن أغلب هذه الحواشى تشتهر باسم المُحشّى، وتعرف بحاشية فلان على متن ما، أو على شرح ما لأحد المصنفين، ولقد تم حصر (١٦٢٧) حاشية لا تحمل عنوانًا خاصًا بها، منها (٧٨) تعليقة على أحد المتون، وكانت غالبا على تفسير إحدى السور التى وردت بتفسير البيضاوى، أو على أحد أجزاء الكتب ذات المجلدات الكبيرة ككتب التفسير والحديث، بينما تم حصر (٢٦٨) حاشية اتخذت عنوانًا أو اشتهرت بعنوان ما. ومن أهم الملاحظات التى لاحظتها الباحثة على تلك العناوين أنها كانت تصاغ بشكل فيه نوع من

السجع، ويحاول صاحب الحاشية أن يدقق فى اختيار الألفاظ الدالة على الغرض من حاشيته، وذلك كأن يبين أنه أراد حل مغلق المتن الذى يعلق عليه، أو فك غموضه؛ مثل كتاب " شفاء الغليل فى حل مقفل ابن خليل" وهو حاشية على مختصر الشيخ خليل فى فقه المالكية، أو أن يبين المحشى أنه أراد نقد ما جاء فى المتن؛ مثل "النقد الجلى على شرح ابن سيدى على"، وهو حاشية على شرح ابن سيدى على للمصباح. كذلك فقد يذكر المُحشَى اسم صاحب المتن الأصلى واسم الشارح من خلال تلك العناوين المسجوعة؛ مثل:" موهبة الفضل على شرح ابن حجر على مقدمة بافضل"، وهو حاشية على شرح ابن حجر الهيثمى على مقدمة بافضل الحضرمى فى الفقه الشافعى. وهناك حاشية" الغيث الأفريقى" وهى حاشية أبو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور الشريف التونسى، وقد تكون سميت بهذا الاسم لأن صاحبها من شعب البربر الذين سكنوا شمال غرب أفريقيا. أما بالنسبة للجلال السيوطى فهو من أكثر العلماء والمؤلفين الذين أجادوا صياغة عناوين مسجوعة لكتبهم سواء كانت تلك الكتب شروح أو حواش أو متون أصلية، ومن بعض تلك العناوين التى صاغها السيوطى لحواشيه:"الطراز اللازوردى على شرح الجاربردى للشافية فى التصريف"، وكتاب " السيف الصقيل على شرح ابن عقيل للألفية فى النحو". ومن الحواشى التى أطلقت عليها عناوين مميزة "الحاشية السوداء"، وهى حاشية حسام الكاتى على شرح كمال الدين الشروانى لآداب الفاضل، وسميت بذلك لغموضها. وهناك مجموعة حواشى على تفسير الجلالين اتخذت مسميات على وزن الجلالين مثل (الزلالين والجمالين، والكمالين ...)

٤- من خلال توزيع الحواشى على متونها تراكميا، والموضح بالجدول رقم(٣) تبين أن هناك عددًا كبيرًا من المتون أعد عليه أقل عدد من الحواشى؛ حيث بلغ عدد المتون التى أعدت عليها أقل عدد من الحواشى (٢١٤) متنًا. وتمثل هذه المجموعة الكبيرة من المتون قليلة الحواشى نسبة٨١٪ من إجمالى عدد المتون وعددها(٢٦٥) متنا، وقد أعد على الواحد منها ما يتراوح ما بين واحد إلى تسع (١-٩) حواش.

وكان إجمالى عدد الحواشى التى تم حصرها على تلك المجموعة الكبيرة من المتون (٤٨٥) حاشية فقط، وبنسبة (٢٥,٥٪) من إجمالى عدد الحواشى (١٨٩٥) حاشية، وكان من بينها (١٢٦) متنا أعد على كل منها حاشية واحدة فقط. وهناك اثنان وعشرون (٢٢) متنا، أعد على كل منها ما بين عشر إلى تسعة عشر (١٠-١٩) حاشية، ومجموع تلك الحواشى التى أعدت على تلك المجموعة من المتون بلغ (٣١٦) حاشية، بنسبة ١٦,٦٪ من إجمالى الحواشى.أما المتون التى أعد عليها أكبر عدد من الحواشى، فبلغ عددها(٢٧) متنا، وأعد عليها(١٠٩٤) حاشية، بنسبة (٥٧,٧ ٪) من مجموع الحواشى التى تم حصرها.

جدول رقم (٣) توزيع تراكمي للمتون والحواشي التي أعدت عليها

عدد المتون	عدد الحواشي عليها	تراكمي للمتون	تراكمي للحواشي
١	١٢٥	١	١٢٥
١	٦٢	٢	١٨٧
١	٥٨	٣	٢٤٥
١	٥٣	٤	٢٩٨
٣	٥١	٧	٤٥١
١	٥٠	٨	٥٠١
١	٤٥	٩	٥٤٦
١	٤٤	١٠	٥٩٠
١	٤١	١١	٦٣١
٢	٣٩	١٣	٧٠٩
١	٣٧	١٤	٧٤٦
٢	٣٥	١٦	٨١٦
١	٣٣	١٧	٨٤٩
١	٣٠	١٨	٨٧٩
٢	٢٨	٢٠	٩٣٥
١	٢٧	٢١	٩٦٢
١	٢٥	٢٢	٩٨٧
١	٢٣	٢٣	١٠١٠
٢	٢٢	٢٥	١٠٥٤
٢	٢٠	٢٧	١٠٩٤
٣	١٩	٣٠	١١٥١
٣	١٨	٣٣	١٢٠٥
١	١٧	٣٤	١٢٢٢
٢	١٦	٣٦	١٢٥٤
١	١٥	٣٧	١٢٦٩
١	١٤	٣٨	١٢٨٣
٢	١٣	٤٠	١٣٠٩
٣	١٢	٤٣	١٣٤٥
٥	١١	٤٨	١٤٠٠
١	١٠	٤٩	١٤١٠
٥	٩	٥٤	١٤٥٥
١	٨	٥٥	١٤٦٣
٥	٧	٦٠	١٤٩٨
٧	٦	٦٧	١٥٤٠
١٣	٥	٨٠	١٦٠٥
١٦	٤	٩٦	١٦٦٩
١٤	٣	١١٠	١٧١١
٢٩	٢	١٣٩	١٧٦٩
١٢٦	١	٢٦٥	١٨٩٥

ويوجد متن واحد منها أعدت عليه وحده (١٢٦) حاشية، أى أن عدد الحواشى يساوى تقريبًا ما تم إعداده من حواشى على (١٢٥) متنًا، أعد على كل منها حاشية واحدة، ويعنى هذا أن ثمانين بالمائة (٨٠٪) من إجمالى عدد هذه المتون تم الاكتفاء بأقل عدد من الحواشى عليها، بينما كانت هناك نسبة عشرة بالمائة (١٠٪) فقط من تلك المتون هى التى استحوذت على غالبية كتب الحواشى، وبالتالى زادت أعداد الكتب التابعة عليها، وقد يثبت هذا أن هناك عددًا قليلاً من المتون هى التى أثارت اهتمام الباحثين والعلماء، ولذلك عكفوا عليها بالشرح والتحشية، بينما لم تكن بقية المتون على نفس هذا القدر من الأهمية، لذلك حظيت بأقل عدد من الحواشى عليها، وكانت حاشية واحدة أو عدد قليل من الحواش يكتفى به لأداء الغرض من إعدادها .ويمكن أن تكون هذه المتون والتى تم بيانها بالجدول رقم (٤) هى المتون الأكثر أهمية فى مجالاتها التى أعدت فيها، وهى بالتالى من أهم كتب التراث العربى .

جدول رقم (٤) أهم المتون التى أعدت كتب الحواشى عليها

عناوين أهم المتون	عدد الحواشى عليها
١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل	١٢٥
٢ - التجريد (تجريد الكلام لنصير الدين الطوسى) جمع حواشى الطبقات الصدرية والجلالية على شرح التجريد.	٦٢
٣ - التلويح (شرح سعد الدين التفتازانى لتنقيح الأصول للمحبوبى صدر الشريعة الثانى.	٥٨
٤ - (النقاية): مختصر وقاية الرواية فى مسائل الهداية، ومتن الوقاية.	٥٣
٥ - شرح التفتازانى على العقائد النسفية.	٥١
٦ - شروح ايساغوجى.	٥١
٧ - تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية.	٥١
٨ - شروح للكفاية فى النحو لابن الحاجب.	٥٠
٩ - شروح مفتاح السكاكى.	٤٥
١٠ - شرح ألفية ابن مالك.	٤٤
١١ - هداية الحكمة للأبهرى وشروحه.	٤١
١٢ - شرح الهدهدى للعقائد السنوسية.	٣٩
١٣ - شرح المواقف فى علم الكلام للعضد الإيجى.	٣٩
١٤ - الكشاف.	٣٧
١٥ - المطول (الشرح المطول لسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان).	٣٥
١٦ - المطالع (مطالع الأنوار فى المنطق الأرموى.	٣٥
١٧ - حواش على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية.	٣٣
١٨ - شرح لرسالة الاستعارة السمرقندية.	٣٠
١٩ - شرح آداب الفاضل شمس الدين محمد بن أشرف الحسينى السمرقندى (الرسالة السمرقندية.	٢٨
٢٠ - شرح مختصر الشيخ خليل الصفدى فى الفروع.	٢٨
٢١ - شرح الرسالة الوضعية العضدية.	٢٧
٢٢ - شرح السلم المرونق فى المنطق لعبدالرحمن الأخضرى.	٢٥
٢٣ - شرح الدوانى لتهذيب المنطق والكلام للتفتازانى.	٢٣
٢٤ - شرح آداب البحث (المناظرة والخلاف) للعضد الإيجى.	٢٢
٢٥ - شرح منتهى السؤال والأمل فى علمى الأصلو والجدل.	٢٢
٢٦ - شروح المختصر أو عروس الأفراح (الشرح المختصر أسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان.	٢٠
٢٧ - شرح منهاج الطالبين للنووى.	٢٠

٥- يتضح من خلال الجدول رقم (٤)، الذى أدرج فيه (٢٧) متنًا- تعد هذه أهم المتون التى تم إعداد حواش عليها- أن متن كتاب " أنوار التنزيل وأسرار التأويل" أو ما اشتهر بتفسير البيضاوى هو أكثر المتون التى تم إعداد حواش عليه، سواء أكانت حواش تامة على كل المتن، وبلغ عددها (٨٧) حاشية، أو حواش غير تامة، وعددها (٣٨)

حاشية، وهى حواشى وتعليقات على تفسير عدد من السور أو الأجزاء من القرآن الكريم التى وردت بهذا التفسير المشهور، أى أن إجمالى ما تم حصره من حواش على هذا الكتاب(١٢٥) حاشية وهذا يمثل نسبة ٦,٥ ٪ من إجمالى الحواشى. ومؤلف هذا الكتاب هو"ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى" المتوفى بتبريز عام ٦٨٥هـ، أو قيل عام ٦٩٢هـ، وقد كان البيضاوى مفسرًا وفقيهًا ومتكلمًا أشعريا، وهذا الكتاب يتناول تفسير القرآن، وقد ورد بكشف الظنون[(١)] ما نصه:"أن هذا الكتاب عظيم الشأن، غنى عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضم إليه ما روى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة، فجلا رين الشك عن السريرة وزاد فى العلم بسطة وبصيرة، ولكونه متبحرًا جال فى ميدان فرسان الكلام فأظهر مهارته فى العلوم...فحل ما أشكل على الأنام وذلّل لهم صعب المرام وأورد فيه من المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة وأوضح له مناهج الأدلة... واعترفوا له قاطبة بالفضل المطلق وسلموا إليه قصب السبق، فكان تفسيره يحتوى فنونًا من العلم وَعِرة المسالك، وأنواعًا من القواعد مختلفة الطرائق.." ويستطرد حاجى خليفة قائلاً: "إن هذا الكتاب رُزق من عند الله تعالى بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول فعكفوا عليه بالدرس والتحشية؛ فمنهم من علق تعليقة على سورة منه، ومنهم من حشّى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه". أما بروكلمان فقد ذكر أن هذا التفسير يعتبر من أفضل التفاسير عند أهل السنة، وأنه يتميز بالإيجاز والوضوح، وباشتماله على وفرة فى المادة وإن كان غير دقيق ولا يشتمل على معلومات كاملة فى أى من العلوم التى تعرض لها سواء بالتفسيرات التاريخية أو المعجمية، أو النحوية، أو الجدلية أو القراءات[(٢)]. وهذا ما يفسر كل هذا الكم من الحواشى والتعليقات على هذا العمل الكبير، فلا يعقل أن يكون القاضى البيضاوى مهما كان علمه دقيقا فى كافة معلوماته عن عدة مجالات (تاريخ، ولغة، ونحو، وجدل، وقراءات، إلخ)، ولكن نظرا لشمولية هذا العمل، وتقدير العلماء له؛ أكبوا على دراسته وتصحيح ما جاء فيه، كل عالم حسب اختصاصه، أو حسب المكانة التى وصل إليها فى علم من تلك العلوم التى يتناولها هذا العمل الكبير. ولقد رتب

---

(١) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله : مرجع سابق.- مج١ ص١٨٦-١٩٦

(٢) بروكلمان ، كارل: تاريخ الأدب العربي: القسم الرابع.- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، مج ٤ ، ص ٢٢١ .

حاجى خليفة تلك الحواشى التى حصرها فى كشف الظنون حسب الأشهر منها، وذكر أن أهمها حاشية القوجوى، ثم حاشية ابن التمجيد، وحاشية زكريا الأنصارى، والسيوطى، والجرجانى وغيرهم. وذكر حاجى خليفة أن هذا الكتاب تم اختصاره على يد محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بإمام الكاملية الشافعى القاهرى المتوفى سنة ٨٧٤هـ، وقد صدر هذا العمل فى عدة مجلدات كبيرة، كما أن الحواشى التى ظهرت عليه كانت أيضًا تقع فى مجلدات كثيرة، حيث يذكر فى كشف الظنون أن هناك تعليقة لمحمد بن عبد الغنى المتوفى سنة ١٠٣٦هـ، على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إلى نصف سورة البقرة، وتقع فى خمسين (٥٠) جزءًا[١].وقد نفسر وجود العديد من الحواشى على هذا المتن أن هذا المتن فى مجال تفسير القرآن، وهذا المجال يتسع لأن يدلى كل من العلماء برأيه فى تفسير البيضاوى لهذه الآيات، وما قد تتناوله من موضوعات يصعب توضيحها، وقد زادت هذه الحواشى أيضا على هذا المتن لضخامته، حيث امتدت مجلداته لتشمل تفسير كل آيات وسور القرآن الكريم، وقد تناول بعض العلماء بعض ما جاء بهذا التفسير فاقتصروا على بعض أجزاء منه، أو على تفسير سور معينة من سور القرآن التى وردت فيه.

٦- أما الكتاب الذى احتل المكانة الثانية، من حيث تداوله بين العلماء والمصنفين والمطالعين أو الدارسين له فهو كتاب تجريد الكلام أو " تجريد العقائد" حسبما أسماه صاحبه العلامة المحقق نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد الطوسى (٥٩٧-٦٧٢هـ)، ويذكر بروكلمان أن هذا الكتاب يعد الأول من نوعه بالنسبة للطائفة الإسماعيلية[٢]، وهو مشهور أيضًا عند السنة، وهو على ستة مقاصد فى الأمور العامة، والجواهر والأعراض، وإثبات الصانع وصفاته، والرابع فى النبوة، ثم الخامس فى الإمامة، فالسادس فى المعاد، ويقول عنه حاجى خليفة: «إنه كتاب مشهور اعتنى عليه الفحول وتكلموا فيه بالرد والقبول»، كما يذكر بروكلمان أيضًا أن هذا الكتاب أتى فيه فى إيجاز كل ما يحتاجه طلاب العلم، لذلك فهو موجز عسير الفهم. وقد أدرجته الباحثة ضمن موضوعات المنطق، وعلى هذا المتن توجد شروح كثيرة وحواش عليها، بيَّن أصحاب هذه الشروح أنه نظرًا لغاية إيجاز المتن فقد بدا كاللغز الذى لابد من تقرير قواعده وحل طلاسمه، ومن أهم من قاموا بشرحه ابن مطهر الحلى، وشمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهانى، الذى سمى شرحه بتشييد

(١) حاجي خليفة : مرجع سابق.- مج١ - ص ١٩٢ .

(٢) بروكلمان : المرجع نفسه : مج ٥ ، ص ٣٧٤ .

القواعد فى شرح تجريد العقائد، وكانت أهم الحواشى على هذا الشرح هى حاشية الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ، وقد اشتهرت هذه الحاشية بين العلماء باسم حاشية التجريد، والتزموا تدريسه، وكثرت الحواشى على هذه الحاشية، ومنها :حاشية السامسونى، وحاشية شجاع الدين إلياس، وحاشية سنان الدين (عجم سنان)، وبلغ عدد الحواشى على حاشية السيد الشريف الجرجانى (٢٢) حاشية، ثم شرحه علاء الدين القوشجى المتوفى سنة٨٧٩هـ، وهذا الشرح عرف بالشرح الجديد، وكانت الحاشية الأولى عليه للجلال الدوانى، وهذه الحاشية هى أول الحواشى الطبقية على هذا الشرح الجديد، حيث قامت بين الجلال الدوانى ومير صدر الدين محمد الشيرازى عدة مداولات للتعليق والتحشية على هذا الشرح الجديد، وبلغ عدد تلك الحواشى التراكمية أو الطبقية ست حواش، وسميت الحاشية الأولى للدوانى بالحاشية القديمة الجلالية، وقام مير صدر الدين محمد الشيرازى بتعليق حاشية على هذا الشرح الجديد للقوشجى، ولكنه أبدى فيها اعتراضات على الجلال الدوانى، فقام الدوانى بتعليق حاشية أخرى يرد فيها على اعتراضات الصدر الشيرازى، وسميت بالحاشية الجديدة الجلالية، وقام مير صدر بالرد عليه مرة أخرى، ثم قام الدوانى بتعليق الحاشية الأجد الجلالية يرد فيها على الصدر الشيرازى، ولكن توفى مير صدر ولم يعلق على هذه الحاشية الأجد فقام ابنه مير غياث الدين منصور بالرد على هذه الحاشية الأجد بحاشية سميت تجريد الغواشى. وهناك (٣٤) حاشية أخرى على ذلك الشرح الجديد وعلى الحاشية القديمة للدوانى، ومنها لميرزا خان الشيرازى، وغيره، وقد بلغ إجمالى ما تم حصره من حواش على شروح تجريد العقائد أو تجريد الكلام لنصير الدين الطوسى (٦٢) حاشية، بنسبة١٥,٥٪ من عدد الحواشى فى مجال المنطق، وبنسبة ٣,٢٪ من إجمالى عدد الحواشى كلها، مما يدل على أهمية هذا المتن فى ذلك المجال، وكذلك أهمية توضيح وبيان ما يصعب فهمه فيه، أو بسبب أن هذا المتن تناول الكثير من الأمور التى يمكن وجود آراء متعددة فى تناولها، وهذا حال أهل الجدل والمنطق!

٧- يأتى كتاب "التلويح: شرح سعد الدين التفتازانى لتنقيح الأصول للمحبوبى صدر الشريعة الثانى" فى المرتبة الثالثة بين أكثر المتون التى تم إعداد حواش عليها؛ حيث بلغ إجمالى ما تم حصره من حواش عليه (٥٨) حاشية، وبنسبة ٤٣,٦٪ من عدد الحواشى فى علم الأصول (١٣٣) حاشية، وبنسبة ٣,١٪ من إجمالى عدد الحواشى، وهذا الكتاب هو الأكثر تداولاً بين العلماء والدارسين لأصول الفقه، ذلك العلم الذى ابتدعه الفقهاء ليناسب العلوم الدينية، بدلاً من علم المنطق الذى كان محظور الاشتغال

به، ومتن كتاب" تنقيح الأصول" من تأليف صدر الشريعة الثانى عبيد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ، وهذا الكتاب يعد بمثابة المتن الأساسى لتوضيح وتنقيح كتاب أصول الإمام محمد بن محمد البزدوى، ولقد ذكر حاجى خليفة[1] عن متن التنقيح للمحبوبى" أن هذا متن لطيف مشهور، وأنه أساسًا وضع لتنقيح كتاب فخر الإسلام البزدوى (أصول الشريعة) لأن النسخة الأولى من كتاب البزدوى قد وقع فيها بعض المحو والإثبات، فأراد صدر الشريعة أن ينقح هذا العمل، وكان تنقيح الأصول على نفس شهرة المتن، فتداوله العلماء بالشرح، وكانت أهم هذه الشروح شرح سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢هـ، وهو المسمى "التلويح فى كشف حقائق التنقيح"، وهو شرح بالقول - أى يذكر فيه قول صدر الشريعة فى تنقيح الأصول مع قول التفتازانى عليه، مع ما جاء من قول البزدودى- ونظرًا لكون هذا الشرح غاية طلب الدارسين والعلماء فى هذا الفن، فقد اعتنوا به وعلقوا عليه حواش مفيدة، ومن أهم حواشيه حاشية "حسن بن محمد شاه الفنارى"، وحاشية "القوشجى"، وحاشية "منلا خسرو" وهى حاشية بقال أقول، أى أنها هى وشرح التفتازانى والمتن تعتبر ثلاثة كتب فى كتاب واحد، وهذا من أحد فوائد هذا النوع من الحواشى.

ثانيًا - أبرز المجالات الموضوعية للمتون التى تم إعداد كتب الحواشى عليها:

١ - تعتبر علوم الدين الإسلامى من أهم المجالات التى تم التأليف فيها خلال عصور الكتابة فى التراث العربى، وبالتالى تعتبر الكتب التابعة التى أعدت على المتون الأصلية فى هذه المجالات من أكثر الكتب التابعة فى التراث العربى أيضا. والمجادلات بين علماء الدين لم تتوقف. ومنذ بداية عصر الكتابة؛ بدأ تسجيل هذه المداولات، والخلافات حول تفسير آيات القرآن الكريم، أو الأحاديث، أو حول شرعية بعض الأمور الخاصة بالعقائد، أو الفقه والعبادات، ولهذا فقد كان من نتيجة ذلك كثرة التآليف الخاصة حول هذه الأمور، ونظرا لامتداد العالم الإسلامى شرقًا وغربًا فقد كانت المؤلفات الأصلية لبعض من العلماء من أصول غير عربية.

(١) حاجي خليفة . مرجع سابق.- مج ١ ص ٣٤٦ .

جدول رقم (٥) التوزيع العددى لأبرز المتون التى تم إعداد حواش عليها فى كل موضوع

م	الموضوع	عناوين المتــون	عدد الحواشى عليه	عدد المتون	إجمالى الحواشى لكل موضوع
١	المنطق	١ - التجريد (تجريد الكلام لنصير الدين الطوسى) جمع حواشى الطبقات الصدرية والجلالية على شرح التجريد	٦٢	١٩	٦
		٢ - شروح ايساغوجى	٥١		
		٣ - تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية	٥١		
٢	المذاهب الفقهية			٥٥	
	١ - فقه الحنفية	٤ - (النقاية): مختصر وقاية الرواية فى مسائل الهداية، والمتن.	٥٣	١٤	١٢٠
	٢ - فقه الشافعية	٥ - منح الغفار لشرح تنوير الأبصار وجامع البحار للتمرتاشى	١٢	٢٠	٩٨
	٣ - فقه المالكية	٦ - شرح مختصر الشيخ خليل الصفدى فى الفروع.	٢٨	٦	٤٣
	٤ - فقه الشيعة	٧ - شرح الروضة البهية للعاملى الشاهد الثانى.	٩	١٥	٢٧
٣	النحو والصرف	٨ - شروح للكافية فى النحو لابن الحاجب.	٥٠	٢٨	
		٩ - شرح ألفية ابن مالك.	٤٤		
		١٠ - شرح السعد لتصريف العزى للزنجانى.	١٩		
		١١ - شرح المقدمة الأجرومية	١٨		
		١٢ - شرح قطر الندا وبل الصدى لابن هشام	١٨		
٤	تفسير القرآن	١٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل	١٢٥	٨	
		١٤ - الكشاف	٣٧		
		١٥ - تفسير الجلالين	١٩		
٥	التوحيد والعقائد	١٦ - شرح التفتازانى على العقائد النسفية.	٥١	١٤	١٣٧
		١٧ - شرح الهدهدى للعقائد السنوسية	٣٩		
		١٨ - حواشى على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية	٣٣		
٦	علم الأصول والفقه	١٩ - التلويح (شرح سعد الدين التفتازانى لتنقيح الأصول للمحبوبى صدر الشريعة الثانى).	٥٨	٢٠	١٣٦
٧	علوم (البلاغة)	٢٠ - شروح مفتاح السكاكى.	٤٥	١٣	١١٤
		٢١ - المطول (الشرح المطول لسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان).	٣٥		
		٢٢ - شروح المختصر أو عروس الأفراح (الشرح المختصر لسعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان).	٢٠		
٨	علم الكلام	٢٣ - شرح المواقف فى علم الكلام للعضد الإيجى.	٣٩	٤	٧١
٩	آداب البحث والمناظرة	٢٤ - شرح آداب الفاضل شمس الدين محمد بن أشرف الحسينى السمرقندى (الرسالة السمرقندية)	٢٨	٦	٦٥
		٢٥ - شرح آداب البحث (المناظرة والخلاف) للعضد الإيجى.	٢٢		
١٠	السيرة والمدائح النبوية	٢٦ - مولد النبى (ﷺ) لأحمد الدردير	٦	١٩	٤٨
١١	علم الوضع	٢٧ - شرح الرسالة الوضعية العضدية	٢٧	٣	٣٠

م	الموضوع	عناوين المتـون	عدد الحواشى عليه	عدد المتون	إجمالى الحواشى لكل موضوع
١٢	كتب الحديث	٢٨ - مواضع من صحيح البخارى، وشروحه	١٤	١١	٢٩
١٣	علم الفرائض والمواريث	٢٩ - شرح السيد الشريف الجرجوانى للسراجية أو فرائض السجاوندى	١٢	٧	٣٣
١٤	أصول الحديث وعلومه	٣٠ - نخبة الفكر فى مصطلح الأثر لابن حجر العسقلانى	١٣	٦	٢٣
١٥	اللغة والأدب	٣١ - الصحاح فى اللغة	٦	٨	٢٢
		٣٢ - القاموس المحيط للفيروز ابادى.	٦		
١٦	الفلسفة والحكمة	٣٣ - رسالة الدوانى فى إثبات الواجب.	٥	١١	٢٢
١٧	علم التجويد	٣٤ - شرح المقدمة الجزرية.	١٧	٣	٢٠
١٨	الطب	٣٥ - كتاب وشروح القانون لابن سينا	٩	٧	١٩
١٩	علم الفلك والهيئة	٣٦ - حواشى على شرح الملخص فى الهيئة	٩	٤	١٥
٢٠	الحساب	٣٧ - شرح الياسمينية	٥	٦	١١
٢١	الهندسة	٣٨ - أشكال التأسيس فى الهندسة للسمرقندى	٢	٤	٩
٢٢	الأخلاق والتصوف	٣٩ - شرح تحفة الإخوان فى بيان أهل العرفان للدردير	٢	٧	٨
٢٣	التاريخ	٤٠ - كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى	١	٢	٢
		٤١ - شرح مسعود بن جموع المغربى تفصيل الدرر للمكناسى.	١		
	مجموع			٢٦٥	

ونظرا لاختلاف ظروف البيئة والثقافات التى تؤثر على كل من هؤلاء المؤلفين؛ كانت هناك كثير من كتب الشروح على المتون الأصلية التى بالرغم من عظمة ما تناولتها من أمور؛ لم تكن كافية وحدها ليتم تداولها بين الدارسين، والمطالعين لها. كذلك فإن تلك الشروح عليها اعتبرت متونا أصلية، لذلك تناولتها كتب الحواشى بالشرح والتفسير والاختصار وغير ذلك، ليسهل تداولها خاصة بين طلاب العلم والباحثين، وهم الفئة الأساسية التى يتم التأليف من أجلها، وأيضًا لأن شيوخهم وأساتذتهم من علماء الدين لن يرضوا عن مؤلف ما يتم تدريسه إلا بعد تنقيح وتفسير كل ما جاء فيه.

٢ - تبينت الباحثة من خلال توزيع كتب الحواشى موضوعيًا وفقًا للمجالات الموضوعية التى تناولتها المتون التى أعدت عليها، والموضحة بالجدول رقم (٥)، أن من بين إجمالى عدد كتب الحواشى التى تم حصرها فى هذه الدراسة؛ بلغ عدد الحواشى التى أعدت على متون فى مجالات العلوم الإسلامية المختلفة (٨٨٨) حاشية، بنسبة ٤٧,٤٪ من إجمالى عدد الحواشى، وبلغ عدد المتون التى تم إعداد حواش عليها فى هذه المجالات (١٥١) متنًا، من إجمالى عدد المتون التى أعدت عليها الحواشى (٢٦٥) متنًا. ويبيِّن الجدول رقم (٥) أهم المتون الأساسية التى تم إعداد حواش عليها فى كل مجالات التأليف ومن بينها فروع مجالات العلوم الإسلامية، وكان أكبر عدد من هذه

الحواشى فى فقه المذاهب، وبلغ إجمالى تلك الحواشى التى تم حصرها فى هذا الموضوع (٢٦٧) حاشية، أعدت على (٥٤) متنًا فى فقه المذاهب كما يلى: الحنفى(١٢٠) حاشية، الشافعى(٧٧) حاشية، والمالكى(٤٣) حاشية، والمذاهب الشيعية (٢٦) حاشية. وقد كان أبرز هذه المذاهب الفقهية، مذهب الإمام أبى حنيفة الذى كانت تعتنقه الدولة العثمانية التى أعدت أكثر كتب الحواشى خلال فترة سيادتها على العالم الإسلامى، حيث تناول علماء المذهب أهم متونه(٢١) متنًا بالشرح والتحشية. أما بالنسبة لكتب تفسير القرآن الكريم، فتأتى فى المرتبة التالية من حيث إجمالى عدد الحواشى فى مجالات علوم الدين الإسلامى، حيث بلغ إجمالى عددها (١٩٦) حاشية، منها(١٨١) حاشية تم إعدادها على ثلاثة متون فقط من كتب التفسير، وهى كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى، وعليه(١٢٥) حاشية، يليه كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى، وعليه(٣٧) حاشية، وهو التفسير الذى اعتمد عليه القاضى البيضاوى عند إعداده لتفسيره، فقد صحح البيضاوى ما جاء فيه وأكمله، وزاد عليه من مصادر أخرى، وهناك تفسير الجلالين وعليه (١٩) حاشية. وترجع أهمية كتب الحواشى فى مجال التفسير إلى أنها لعدد قليل من المتون الأساسية، وعددها ثمانية (٨) متون مؤلفات أساسية، وليست على كتب شروح فى علم التفسير، فالمتن الذى يتم تفسيره هو القرآن الكريم، أما تفسير القرآن فقد أصبح علمًا من العلوم التى تتميز بوجود احتمالات للاختلاف بين الآراء الخاصة بكل من علماء التفسير، خاصة فيما يتعلق بالتفسيرات التاريخية واللغوية والنحو والصرف والقراءات بالإضافة للنواحى الجدلية الخاصة بالذات الإلهية، كما أن مؤلف كتاب التفسير قد يقع فى بعض الأخطاء، وهذا احتمال وارد فيقوم من بعده بتصحيح هذا الخطأ لأن القرآن الكريم لا يحتمل تفسيره أى خطأ سواء كان من المؤلف، أو من الناسخ الذى يدون الكتاب، ويقع منه التحريف أو السهو فى وضع بعض التفسيرات، والتى قد تؤدى بواضع الحاشية أن يقوم بالرد على ما جاء بهذا التفسير، وهنا تقوم كتب الحواشى مقام كتب الشروح فى تبعيتها المباشرة للمتن الأصلى. هذا، وقد تم حصر حواش على متون فى مجالات العلوم الإسلامية الأخرى، كما فى كتب العقائد، والتوحيد الذى تم حصر(١٣٧) حاشية على (١٤) متنًا فيه من أهمها "شرح التفتازانى على العقائد النسفية"، وبلغ عدد كتب الحواشى عليه (٥١) حاشية. ويبين الجدول رقم(٥) أهم المتون التى أعدت عليها كتب الحواشى فى بقية مجالات علوم الدين الإسلامى فى علم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث والتوحيد والعقائد، والفرائض، والتجويد، والتصوف، والسيرة النبوية.

٣ - ويتضح أيضًا من خلال توزيع الحواشى على الموضوعات التى تم التأليف فيها، أن مجالات المنطق والعلوم الفلسفية، تأتى فى المرتبة التالية من حيث كم الحواشى التى تم حصرها، وأن مجال المنطق يأتى على رأس قائمة الموضوعات التى أعدت عليها كتب الحواشى، بصفة عامة، وهو أحد مجالات العلوم الفلسفية، التى كانت متونها من أكثر المتون التى أثارت الجدل بين العلماء المشتغلين بالمنطق والفلسفة فى العالم الإسلامى، ولقد بلغ عدد الحواشى التى تم حصرها فى تلك المجالات الفلسفية التى رأت الباحثة تقسيم الموضوعات التى تنتمى إليها كالتالى: (٣٦٦) حاشية فى علم المنطق، و(٧١) حاشية فى علم الكلام وهو أحد العلوم الفلسفية التى وضعها الإسلاميون نظرًا لما رأوا من مخالفة هذه العلوم الفلسفية للشريعة الإسلامية، و(٦٥) حاشية فى علم آداب البحث والمناظرة، وهو علم يبحث عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين وموضوعه الأدلة التى يثبت بها المدعى على الغير...[١]، وقد تم حصر(٣٠) حاشية فى مجال الوضع، و(٢٢) حاشية فى مجال الحكمة والفلسفة. ونرى من خلال تلك التوزيعات لكتب الحواشى على متونها فى تلك المجالات الفلسفية، أن هذه المجالات الفلسفية من أكثر المجالات التى تتسع لتحاورات وجدل العلماء حول ما يصاغ من مفاهيم حول أمور وموضوعات يتناولها العلماء المتخصصون فيها، ونظرًا لأن العلوم الفلسفية ليست علوما إسلامية فى الأصل، فقد تناول متونها الأصلية العلماء المسلمون من غير العرب الذين اختلطوا بالفرس، ونقلوا كثيرًا من كتب الفلسفة اليونانية لبلادهم، وهى الكتب التى تم نقلها أو ترجمتها للعربية، وقد كانت آراء هؤلاء الفلاسفة كثيرًا ما تخالف ما ورد بعقيدة الإسلام، ولذلك أصبح تناول المشتغلين بالفلسفة من علماء المسلمين لهذه الأمور مجالاً للأخذ والرد بين العلماء فيما بعد، وقد كان العلماء المشتغلون بالفلسفة كثيرا ما يتم الشك ورتياب فى إلحادهم، كما كان نشر الأفكار الشيعية بين السنة يهدد حياة أولئك الشيعة، كما حدث لشهاب الدين يحيى بن حبش السهروردى المقتول سنة (٥٨٧هـ) بناء على أمر من حاكم حلب، وقد كان السهروردى هذا قد تحول بفكره الصوفى إلى الأفكار الفلسفية الأفلاطونية[٢]، التى ربطها بالاعتقادات الشيعية مما أثارأهل السنة وأوقعه فى تهمة نشر روح قرمطية بينهم، فتم إعدامه عام ٥٨٧ هـ ، وقد تم تسجيل حاشية على كتابه"هياكل النور". هذا وقد بدأ الفقهاء المسلمون ذم الاشتغال بالمنطق حسب ما أوره السيوطى فى كتابه "صون

(١) حاجي خليفة : المرجع السابق .- مج١ ص ٣٨

(٢) بروكلمان، كارل: مرجع سابق، مج ٤، ص ٣٥٢.

المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام"، منذ أواخر القرن الثانى للهجرة، حيث يروى السيوطى أن الإمام الشافعى كان قد أصدر فتوى بمنع الاشتغال بالمنطق والكلام، وسار معظم الفقهاء على نفس مسلك الشافعية فى ذم المنطق، وصار من يتمنطق يصبح زنديقا، وكان ذلك يجعل الفلاسفة محل شك من الحكام، أو الفقهاء، وذلك لتناولهم لكثير من الأمور التى لاينبغى الجدل حولها. وكان الفلاسفة المسلمون فى تلك القرون يخشون من إطلاق كلمة منطق على أى من عناوين أعمالهم فى هذا المجال، ولنا استخدم الفلاسفة كابن سينا، والفارابى، والسهروردى مصطلحات للدلالة على كلمة منطق مثل: مصطلح العلم الآلى، وعيار العلم، وضوابط الفكر. وقد عاش الفلاسفة فى رعب وخوف من تداول هذا العلم حتى حلول القرن الخامس الهجرى، الذى بدأ فيه مزج الفلاسفة المسلمين، ومنهم الغزالى بين المنطق الأرسطى وعلوم المسليمن، مع رفضهم للمنطق الأرسطى، وظهرت فتوى ابن الصلاح بشأن الاشتغال بالفلسفة والمنطق[1]. ومنذ ذلك الوقت بدأت المداولات بين المشتغلين بالمنطق من المعارضين والمثقفين على تلك المذاهب الفلسفية، ومن الكتب التى تناولت تلك الفتوى كتاب السلم المرونق، وشروحه للأخضرى، والملوى، وكذلك الحواشى الكثيرة على السلم، حيث وجد الفلاسفة والمتكلمون ضالتهم فى كتابة تعليقاتهم وآرائهن الجدلية، وبدأت المناظرات تدور بينهم من خلال المتون التى وضعت منذ القرن الخامس، وازداد عددها فى القرن السابع، من خلال كتب الشروح التى أعدت عليها، وكانت كتب الحواشى هى الوسيلة لتدوين ذلك الجدل الذى يكثر حول المسائل الكلامية بين الفرق المختلفة، خاصة فى المؤلفات الشيعية، وكلما أثيرت قضية من القضايا فى تلك الكتب الفلسفية كثر حولها النقاش، ولذلك كثر تدوين التعليقات والحواشى على تلك الآراء الفلسفية التى ترد بمتون الكتب التى أعدت فى هذه المجالات سواء كانت تلك المتون من المتون الأصلية، أو كتب شروح، أو حتى متون الحواشى، وقد بلغ عدد هذه المتون فى تلك المجالات (٤٤) متنا، وبلغ إجمالى عدد الحواشى عليها (٥٥٤) حاشية. ومن خلال توزيع تلك الحواشى على متونها، تبين أن متون الكتب فى مجال المنطق كانت أكثر المتون التى أعدت حواش عليها، وبلغ عدد تلك الحواشى (٣٦٦) حاشية، وكان أكثر هذه المتون التى أعدت عليها حواش كتاب"تجريد الكلام لنصير الدين الطوسى" الذى أعدت عليه (٦٢) حاشية، وهناك أيضًا متن إيساغوجى فى المنطق وشروحه المختلفة، وهذا المتن هو اختصار للمتن الأساسى المنسوب لفرفوريوس اليونانى، الذى نشأ فى بيئة سريانية فى

(١) عبدالسلام بن ميس: مناهضة بعض الفقهاء للمنطق، فى كتاب العلم والفكر العلمى بالغرب الإسلامى فى العصر الوسيط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (سلسلة ندوات ومناظرات؛ رقم ٩٤) الرباط: منشورات كلية الآداب، ٢٠٠١، ص ٢٣ - ٢٦.

الفترة ما بين (٢٣٢م- ٣٠٥م) والمتن المختصر لإيساغوجى أعده أثير الدين مفضل بن عمر الأبهرى، المتوفى فى حدود سنة سبعمائة، وعليه عدة شروح اشتهر من بينها شرح حسام الدين الكاتى، وشرح شمس الدين محمد الفنارى، وأعدت على شروحه المختلفة (٥١) حاشية، وهناك أيضًا متن " الرسالة الشمسية فى علم المنطق" وهو متن مختصر فى المنطق ألفه نجم الدين على الكاتبى تلميذ نصير الدين الطوسى، المتوفى سنة٦٧٥هـ، وأعدت على شروحه وحواشيه المختلفة أيضًا (٥١) حاشية، ومن أبرز شروحه"تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية" للقطب التحتانى(ت٧٦٦هـ)، وقد أعد السيد الشريف الجرجانى عليه حاشية، اشتهرت باسم" كوجك"، وأعدت على هذه الحاشية عدة حواش أيضا، أما أهم المتون التى أعدت عليها حواش فى مجال علم الكلام؛ فيأتى على رأسها كتاب "المواقف فى علم الكلام للعضد الإيجى (ت٧٥٦هـ)"، وقد أعدت على هذا المتن عدة شروح، أهمها شرح السيد الشريف الجرجانى، وأعدت على شرحه عدد من الحواشى أبرزها حاشية حسن جلبى، وبلغ مجموع الحواشى على شروح هذا المتن (٣٩) حاشية. وفى مجال آداب البحث والمناظرة كانت أهم المتون التى تم تناولها بالتحشية هو متن آداب الفاضل السمرقندية، وأعدت (٢٨) حاشية على شروحه المختلفة. أما بالنسبة للفلسفة فكانت "رسالة الدوانى فى إثبات الواجب" هى أهم المتون التى أعدت عليها حواش فى هذا المجال، وبلغ عددها ست (٦) حواش على شروحها. أما الرسائل فى علم الوضع فكانت "رسالة الوضع العضدية" من أهم المتون التى أعدت عليها حواش فى هذا المجال، وأعد عليها (٢٧) حاشية.

٤ - تمثل مجالات علوم اللغة العربية المرتبة الثالثة من حيث كم الحواشى التى تم إعدادها خلال عصور الحضارة والتراث الإسلامى، وبلغ إجمالى عددها (٣٧٠) حاشية، تم إعدادها على (٤٨) متنًا فى مجالات هذه العلوم العربية وهى كالتالى: (النحو والصرف(٢٣٤) حاشية، وعلوم البلاغة (١١٤) حاشية، و(٢٢) حاشية فى موضوعات اللغة والشعر والأدب). وقد كان مجال النحو والصرف فى مقدمة مجالات علوم اللغة العربية التى تم إعداد حواش على المتون الشهيرة فيه؛ حيث تم إعداد (٢٣٤) حاشية، وبلغ عدد المتون التى تم إعداد حواش عليها فى النحو (٢٦) متنًا، ومتنين فى الصرف، وغالبية الحواشى جاءت على شروح لمتون أساسية فى مجال النحو، ومنها متن الكافية لابن الحاجب، ومتن ألفية ابن مالك طاغية الشهرة حتى الآن فى مجال النحو، وهناك أيضًا متن الآجرومية لابن آجروم، ومتن قطر الندا لابن هشام، ومن أشهر المتون فى علم الصرف متن تصريف العزى وبلغ عدد الحواشى عليه (١٩) حاشية، و تتميز علوم العربية أيضا بكثرة المؤلفات التى أعدت فيها منذ القرن الأول الهجرى، وتميزت تلك

المتون التى أعدت فى القرن السابع فى مجال النحو والصرف بصياغتها على شكل أبيات (رجز)، حتى يسهل حفظها، ومنها ألفية ابن مالك، التى احتاجت لشرحها متونًا عديدة، وأعدت على تلك المتون كتب الحواشى النثرية حتى يستطيع الدارسون استيعابها، وقد كانت علوم اللغة العربية تدرس فى كافة أرجاء الدولة الإسلامية، لذلك تأتى كتب الشروح والحواشى عليها لتؤدى دورًا هامًا فى تيسير تناول هذه القواعد الخاصة بعلوم العربية بين العرب والعجم ممن يقومون بتدريسها أو الدارسين لها.

٥ - لم تقتصر ظاهرة كتب الحواشى على تلك المتون فى المجالات الدينية واللغوية والفلسفية فقط، وهى من مجالات العلوم الإنسانية، بل امتدت الحواشى للتعليق على متون فى مجالات العلوم التطبيقية والبحتة، حيث تم حصر (٥٤) حاشية أعدت على (٢١) متنًا من متون أو شروح لمؤلفات فى هذه المجالات: [الطب (١٩) حاشية، والفلك (١٥) حاشية، والحساب (١١) حاشية، والهندسة (٩) حواش].

٦ - أما بالنسبة لأقل المجالات التى تم إعداد حواش على متونها فكانت فى مجال التاريخ، حيث لا يستدعى هذا المجال إعداد كتب تابعة للمتن الأصلى من كتب التاريخ والتراجم، إذا استثنينا كتب السيرة النبوية التى تدخل هنا ضمن علوم الدين الإسلامى لارتباطها الشديد بها وقد تم حصر حاشيتين فقط فى على متنين فقط فى مجال التاريخ، أحدهما لابن شاكر الكتبى، ويذكر إحسان عباس محقق كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى[1] أن ابن شاكر الكتبى المتوفى عام ٧٦٤هـ، كان لا يكترث كثيرًا بمراعاة الأصول النحوية، واللغوية، ولم ينل من الدقة فى الحكم ما ناله غيره من معاصريه، فقد كانت ثقافته غير عميقة؛ وربما يكون ذلك ما استوقف محمد حجازى الجيزى السنديونى الخلوتى المتوفى بعد عام ١٠٠٣، الذى جاء بعده بأكثر من قرنين من الزمان ليعلق حاشية على كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى .

ثالثًا - التوزيعات الزمنية لكتب الحواشى :

(١) من خلال تتبع تاريخ تأليف المتون الأساسية أو الأولى، التى تم إعدادها من جانب المؤلفين فى القرون الأولى للكتابة، وفيما بعد أعدت عليها كتب الشروح والحواشى؛ تم التعرف على أقدم المتون التى تم تناولها بالتحشية؛ وذلك لبيان مدى التتابع الزمنى لتناول النص بالمؤلفات التابعة له. وقد قامت الباحثة بالتعرف على الفترة الزمنية التى تم التأليف فيها بالتقريب من خلال تاريخ وفاة المؤلف سواء صاحب المتن أو صاحب الحاشية عليه.

(١) إحسان عباس (مقدمة المحقق) لكتاب ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات والذيل عليها، بيروت: دار صادر، ١٩٧٣، ص ٣.

جدول رقم (٦) التوزيع الزمنى للمتون التى أعدت عليها كتب الحواشى

القرن الذى تم إعداد المتن الأصلى	عدد المتون	عدد الحواشى
متون مجهول زمن تأليفها	٣٠	٤٠
متون كتب قديمة يونانية	٤	٥٦
القرن الأول الهجرى	١	٢
القرن الثانى الهجرى	٣	٣
القرن الثالث الهجرى	١٠	٢٧
القرن الرابع الهجرى	٧	١٥
القرن الخامس الهجرى	١٣	١١٧
القرن السادس الهجرى	٢٢	١٥٩
القرن السابع الهجرى	٤٧	٦٥٢
القرن الثامن الهجرى	٣٧	٤١٢
القرن التاسع الهجرى	٢٣	١٨٨
القرن العاشر الهجرى	٣٦	١٤٦
القرن الحادى عشر الهجرى	١٥	٣٦
القرن الثانى عشر الهجرى	١٦	٤٠
القرن الثالث عشر الهجرى	١	٢
المجموع	٢٦٥	١٨٩٥

ومن خلال ذلك تم تقسيم الحواشى زمنيًا تبعًا للقرون التى عاش فيها المؤلفون، مع ملاحظة أنه إذا كانت وفاة المؤلف فى بداية قرن من القرون يتم احتساب أن هذا العمل تم الانتهاء منه خلال القرن الذى يسبقه. ومن خلال التوزيعات الزمنية التى قامت بها الباحثة لهذه المتون التى أعدت عليها تلك الحواشى، والتى تم تلخيص بياناتها فى خلال الجدول رقم (٦) تبين ما يلى:

- يوجد واحد وعشرون (٢١) متنًا تم إعدادها خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، وهى الفترة التى جادت لنا بمتون هى أمهات الكتب فى المجالات المختلفة، وظلت تلك المتون متداولة بين العلماء والدارسين طوال فترة الحضارة الإسلامية، وتعد تلك المتون أقدم المتون التى تم تناولها فيما تلا من قرون بالتحشية عليها أو على أحد شروحها، أو مختصراتها، وهذه المتون هى:

١- قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى، أو البردة، وهى القصيدة التى جاء بها كعب لرسول الله للاعتذار عن هجائه له، وكانت تلك القصيدة فى مدح الرسول، وهى فى سبعة وخمسين بيتًا، ولها شروح عديدة ومنها شرح لعبد الله بن يوسف بن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ، وكانت أول حاشية على أحد هذا الشرح للأديب

عبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣، وهناك حاشية أخرى على هذا الشرح للباجورى (ت ١٢٧٧هـ)، ويتبين من ذلك أن تلك القصيدة - وهى بالطبع أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أى قبل السنة العاشرة للهجرة - تم شرحها بعد مرور أكثر من سبعة قرون، على يد ابن هشام قبل سنة ٧٦١هـ، ثم كانت تلك الحاشية عليها فى القرن الحادى عشر الهجرى، أى بعد ما يقرب من أحد عشر قرنًا من تاريخ إنشاد تلك القصيدة.

٢- كتاب الفقه الأكبر، وهو متن ينسب للإمام أبى حنيفة النعمان الذى عاش خلال الفترة (٨٠-١٥٠هـ)، وجمع فيه بين الكلام والتصوف، وعليه عدد من الشروح، وعلى أحدها حاشية لإلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردى ت ١١٣٨هـ، أى أن الفرق بين تأليف المتن الأصلى والحاشية اقترب من حوالى عشرة قرون.

٣- كتاب "الجامع الصغير" لمحمد بن الحسن الشيبانى (١٣١/١٨٩هـ)، وتوجد على أحد شروحه حاشية لمحمد الحفناوى المتوفى عام ١١٨١هـ.

٤- كتاب مسند الإمام ابن حنبل، وهو أحد كتب المسانيد ألفه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى الذهلى (١٦٤- ١٩٥هـ)، وتوجد عليه حاشية لأبى الحسن محمد بن عبد الهادى السندى (ت ١١٣٨)، أى أعدت عليه الحاشية بعد ما يقرب من عشرة قرون.

٥- كتاب صحيح مسلم لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٢-٢٦١هـ)، وتوجد عليه حاشية لأحمد بن أبى المحاسن الفاسى بن يوسف بن محمد بن عبد الرحمن القصرى (ت١٠٢١هـ)

٦- كتاب الشفا فى سند الشافعى لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى عام (٢٠٤هـ)، وتوجد حاشية عليه بعنوان "الواعى" لزين العابدين محمد بن محمد الغمرى الشافعى الأشعرى المعروف بسبط المرصفى المتوفى عام ٩٦٦هـ.

٧- كتاب" سيرة ابن هشام" وهى رواية لسيرة ابن إسحق لأبى محمد عبد الملك بن هشام المتوفى عام ٢١٨ هـ، وأعد عليها شرح يسمى "الروض الأنف الباسم فى سيرة أبى القاسم" لعبد الرحمن السهيلى المتوفى عام ٥٨١هـ، وكتبت على هذا الشرح حاشية لمغلطاى بن قليج المتوفى عام ٧٦٢هـ، بعنوان" الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم".

٨- كتاب الخمسة أصول، وهو أقدم كتاب فى عقائد الزيدية من كتب الفقه الشيعى، وهو لترجمان الدين الإمام القاسم بن إبراهيم الحسنى طباطبا الرسى المتوفى

عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠ م، وهو الذى أسس مذهب القاسمية فى الفقه، وهذا الكتاب محفوظ فى مكتبة أمبروزيانا فى ميلانو بإيطاليا، ويوجد عليه شرح للقاضى عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) وعلى هذا الشرح توجد حاشية للسيد مانكديم قوام الدين أحمد بن عمر شيشديو المتوفى بالرى سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٤م)(١)، وتعد هذه الحاشية أول وأقدم كتب الحواشى التى تم حصرها من خلال هذه الدراسة، وذلك الشرح هو الأقدم أيضا على هذا الكتاب.

٩- كتاب المجتبى، وهو مختصر سنن النسائى لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ٢١٥/ ٣٠٢هـ، وعليه حاشية لأبى الحسن محمد بن عبد الهادى السندى (ت١١٣٨هـ).

١٠- جامع الترمذى لأبى عيسى محمد بن سهل الترمذى(ت٢٧٩هـ)، وتوجد عليه حاشية غير مكتملة للسندى أيضًا (ت ١١٣٨هـ)

١١- الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية للترمذى الذى توفى عام ٢٧٩، وعليه عدة شروح متقدمة هى التى تم إعداد حواشى عليها، ولم تكن الحاشية الوحيدة التى تم حصرها على المتن الأصلى، ولكن على شرح على القارى الهروى (ت ١٠١٤هـ) وهو مسمى بجمع الوسائل، والحاشية كانت لمحمد بن قاسم الجسوس (ت ١١٨٢هـ)

١٢- الجامع الصحيح (صحيح البخارى)، وهو أول كتب الصحاح الست، وقام بتأليفه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (١٩٤- ٢٥٦هـ)، تم حصر(١٤) حاشية عليه، أو على بعض مواضع منه، وأول حاشية تم حصرها كانت للماردينى محمد بن فخر الدين بن على المتوفى عام ٨٧١ هـ

١٣- كتاب الطب المنصورى لأبى بكر الرازى المتوفى عام ٣١١هـ أو ٣٢٠هـ، وتوجد عليه حاشية لابن الحشاء من علماء القرن الثالث عشر الميلادى (٧هـ)(٢) .

١٤- كتاب الجُمل فى النحو، وهو أهم مؤلفات أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجى(ت٣٣٧هـ)، وأعد أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولى (ت٦٠٧هـ) حاشية عليه واشتهرت بالمقدمة الجزولية.

١٥- هناك كتاب أصول ابن السراج فى النحو، وهو للشيخ أبى بكر محمد بن

(١) بروكلمان ، كارل: تاريخ الأدب العربي: القسم الثاني٣، ٤ - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ - مج ٢، ص ٣٥٠ .

(٢) بروكلمان ، كارل: مرجع سابق.- ص ٦٨٥ .

السراج النحوى، وتوفى سنة ٣٦١هـ. وهو كتاب يرجع إليه عند اضطراب النقل واختلاف الأقوال، وأعدت عليه حاشية لزين الدين أبو زكريا يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى(ت ٦٢٨هـ)

١٦- كتاب "الخصائص فى النحو" لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى عام ٣٩٢هـ، وتوجد حاشية عليه لموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩هـ

١٧- كتاب "سر الصناعة وأسرار البلاغة" لأبى على محمد بن حسن الحاتمى المتوفى عام ٣٨٨هـ، وأعدت عليه حاشية لأبى العباس أحمد بن محمد المعروف بابن حاج الإشبيلى ت ٦٥١هـ.

١٨- صحاح اللغة (الصحاح فى اللغة) للإمام نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى المتوفى سنة ٣٩٣هـ، وكما جاء فى كشف الظنون فقد قال التبريزى، وياقوت الحموى وغيرهم إن هذا الكتاب "حسن الترتيب سهل المطلب لما يراد منه ...إلا أنه مع ذلك فيه تصحيف..." ويقال أيضًا إن مؤلفه مات قبل تنقيحه وتركه مسودة غير منقحة، فبيضه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق فغلط فى مواضع[١]. ولذلك كان من الواجب التعليق على هذا الكتاب وتصحيح هذه الأخطاء، وكانت أهم حواشيه حاشية ابن برى الذى توفى عام ٥٨٢هـ، وتوقف حتى حرف الشين. وجاء من بعد العديد من العلماء الذين استكملوا هذه الحواشى على الصحاح. ومن الجدير بالذكر أن أول حاشية على هذا الكتاب كانت فى القرن الخامس الهجرى، وهى حاشية أبى القاسم فضل بن محمد البصرى على الصحاح فى اللغة، ولقد توفى عام ٤٤٤هـ كما جاء فى كشف الظنون[٢]، ولكن لم يتم تسجيل وجود هذه النسخة القديمة من الحاشية فى أى من المكتبات التى تقتنى مخطوطات عربية، حيث توجد نسخ عديدة من حواشى الصحاح ليس من بينها "حاشية أبى القاسم فضل بن محمد البصرى" فربما لم تنسخ من هذه النسخة نسخ أخرى.

١٩- الرسالة، وهى مختصر فى فقه المالكية، قام بتأليفه أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى النفزاوى المتوفى سنة ٣٨٦هـ. وقد اشتهر المذهب المالكى فى بلاد المغرب العربى، وأيضًا فى صعيد مصر، وكان من بين من قاموا بإعداد حواش على شروح لهذا المتن بعض من شيوخ الأزهر، ومنهم الشيخ على الأجهورى المتوفى عام ١٠٦٦هـ، والذى أعد حاشيته على شرح لمحمد بن إبراهيم التتائى (ت ٩٤٢هـ)، والشيخ

(١) حاجي خليفة : مرجع سابق.- مج ,٢- ص ١٠٧٢ .

(٢) حاجي خليفة ، نفس المرجع السابق .- مج٢ .- ص ١٠٧٢ .

على بن مكرم الصعيدى، المتوفى عام ١١٨٩هـ والذى أعد حاشيته على شرح لأبى الحسن على بن محمد المنوفى الشاذلى، والمتوفى عام ٩٣٩هـ؛ أى أن الشروح على ذلك المتن كانت فى القرن العاشر، وأن الحواشى على هذه الشروح بدأت فى القرن الحادى عشر، أى بعد قرن من إعداد الشرح على المتن، وبعد سبعة قرون من تأليف المتن الأول.

٢٠- كتاب "عون المودود لشرح سنن أبى داود" لسليمان بن داود الطيالسى المتوفى عام ٢٠٤هـ، وعليه حاشية لمحمد بن عبد الله البنجابى.

٢١- كما يوجد أيضًا" الكتاب المئة فى الصناعة الطبية"، وهو موسوعة طبية فى مائة رسالة أعدها أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى الجرجانى المتوفى سنة ٤٠١هـ، وعليه حواش للنعمان بن أبى الرضا الإسرائيلى.

● من المتون الأولى الأصلية التى تم إعدادها فى القرون الميلادية الأولى قبل الهجرة، تلك المتون الأصلية التى أعدها العلماء والفلاسفة اليونانيون فى مجالات الفلسفة والمنطق، والطب أيضًا، وقد اعتبرت الترجمات العربية، أو الملخصات التى أعدت للمتون الأصلية هى المتون العربية الأولى لهذه المتون الأصلية، وأعدت على هذه الترجمات مختصرات، أو شروح، ثم اشتهرت تلك المتون العربية، وأعدت عليها كتب الشروح وكتب الحواشى، فهناك مختصر لمتن إيساغوجى لفرفوريوس اليونانى أعده أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسى المقتول سنة ٢٨٠هـ، وهناك المختصر المشهور المتداول بين الدارسين لمتن إيساغوجى وشرحه، وهو لأثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل المنطقى الأبهرى المتوفى عام ٦٣٣هـ ، وهذا المتن هو الذى أعدت عليه شروح كثيرة، وأعدت على تلك الشروح كتب الحواشى التى تم حصرها فى (٥١) حاشية، وهناك أيضًا كتاب العبارة لأرسطو، وعليه شرح للفارابى (ت ٣٣٩هـ) على بارى أرميناس، وعلى هذا الشرح توجد حاشية لابن باجة (ت٥٢٣هـ)، وأصول منيلوس فى الأشكال الكرية، وأصول إقليدس (٣٣٠-٢٧٠ ق. م) فى الهندسة التى أعد النصير الطوسى شروحًا لها، وأعدت عليها حواش بعد ذلك، وكذلك ترجمة إسحق بن حنين (ت٢٩٨هـ) لبعض مسائل فى الطب، والتى أعد عليها شرح لابن أبى صادق، كما توجد حاشية على فصول أبقراط الحكيم.

● من خلال تلك التوزيعات لأقدم المتون التى أعدت عليها كتب الحواشى، تبين أن تلك المتون القديمة كانت هى الأصول التى يرجع إليها فى المجالات المختلفة، ولذلك

لم يتوقف الدارسون والمطالعون لها عن الرجوع لما تضمنته من موضوعات، وقاموا بوضع تعليقاتهم عليها، حتى ولو كانت الفترة بين إعداد تلك المتون، أو شروحها، تمتد إلى قرون عديدة. وقد كان كتاب "الخمسة أصول" من أقدم المتون التى أعدت عليها الشروح المختلفة خلال القرون الأولى للهجرة، وأعدت على شرحه أول كتب الحواشى، بعد عشر سنوات فقط من إعداد الشرح، وبعد ما يقرب من مائتى عام على إعداد المتن الأول. أما غالبية تلك المتون القديمة فقد أعدت كتب الحواشى عليها بعد مرور فترة بعيدة جدًا على إعداد متنها الأول، قد يمتد هذا الوقت لأحد عشر قرنا.

● من خلال توزيع المتون التى أعدت عليها كتب الحواشى زمنيًا، تبين أيضًا أن إعداد كتب الحواشى بدأ فى التزايد على تلك المتون التى ظهرت منذ القرن الخامس الهجرى، فقد بلغ عدد تلك المتون (١٣) متنًا، وبلغ عدد الحواشى التى تم حصرها على تلك المتون (١١٧) حاشية، ومنها الحواشى على كتاب "اللباب فى الفقه" الذى أعده أبو الحسن أحمد محمد بن المحاملى الضبى (٣٦٨/ ٤١٥هـ) وهو متن فى الفقه الشافعى، واختصره أبو زرعة العراقى ت ٨٢٦هـ، واختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ بعنوان تحرير تنقيح اللباب، ولزكريا الأنصارى شرح على مختصره هذا اشتهر هذا الشرح بتحفة الطلاب، وهذا المتن الخاص بالشرح هو الذى أعدت عليه الحواشى التى تم حصرها، ومنها حاشية عبد البر الأجهورى (ت١٠٧٠). ونرى هنا التتابع النصى على المتن الأصلى الذى تم فى أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الهجرى، وبعد أربعة قرون من تأليفه تم إعداد اختصارات لهذا المتن، ثم أعدت الشروح على هذه المختصرات، وأعدت الحواشى أخيرًا على هذه الشروح بعد قرن آخر من الاختصار والشرح. ومن أشهر المتون التى أعدت فى القرن الخامس التى تم تناولها فيما بعد بكثير من الكتب التابعة لتنقيحه وشرحه، والتحشية على شروحه وعلى حواشيه، كتاب"أصول الإمام محمد بن محمد البزدوى" المتوفى سنة ٤٨٤هـ، ونقحه بعد ذلك المحبوبى صدر الشريعة المتوفى عام ٧٤٥هـ، فى كتابه" التنقيح" فى القرن الثامن أى بعد ثلاثة قرون، ثم جاء التفتازانى المتوفى عام ٧٩١ هـ، أى فى نفس القرن الثامن ، بشرح التنقيح فى كتابه "التلويح" وعلى هذا الشرح أعدت الحواشى المختلفة، والتعليقات على الحواشى كما سنوضحها فيما بعد.

● كانت أكثر الفترات التى أعدت فيها متون احتاجت فيما بعد لإعداد كتب الحواشى عليها، هى تلك المتون التى دونت بالقرن السابع الهجرى، فقد تم حصر(٤٧) متنًا من المتون الأصلية التى أعدت خلال ذلك القرن؛ أعدت عليها(٦٥٢) حاشية، ومن

أبرز تلك المتون متن"تفسير البيضاوى"، ومتن كتاب "تجريد العقائد" للطوسى، ومتن "الشمسية للكاتبى، ومتن "الكافية" لابن الحاجب، وكذلك متن "الألفية فى النحو" لابن مالك، ومفتاح السكاكى، وغيرها من متون لأشهر علماء القرن السابع (الذين حصرت تواريخ ميلادهم ووفاتهم ما بين القرنين السادس والسابع) ولعل من أسباب ازدهار حركة التأليف فى ذلك الوقت أنه فى خلال ذلك القرن بدأ اشتغال العلماء بوضع نصوص جديدة تلائم ذلك العصر الذى ازداد فيه اتساع رقعة العالم الإسلامى، واختلاط شعوبه المختلفة فى بيئتها، وحضاراتها وثقافتها والظروف الاجتماعية التى تأثرت بالحروب التى خاضتها المنطقة ضد الصليبيين والمغول، وبالأندلس، وحتى بين أرجاء مختلفة داخل الدولة الإسلامية، وأثرت بالتأكيد على علماء تلك الفترة الذين كانوا يرغبون فى الإحاطة بكل شىء فى المجالات التى كانوا يشتغلون بها، حيث انتشر التأليف الموسوعى فى ذلك الوقت، وكما نرى من خلال تلك المتون أنها لمتون فى مجالات النحو، وكذلك مجالات المنطق، حيث انتشر اشتغال العلماء فى تلك الفترة بالفلسفة، والجدل والمنطق، وكانت هناك الكثير من المناظرات والمجادلات العلمية بين العلماء، فقد كان اشتغال العلماء بالفلسفة فى الماضى مثيرًا للشك فى إلحادهم، أما فى ذلك العصر منذ القرن السابع ازداد اهتمام العلماء خاصة فى بلاد فارس وما حولها بالفلسفة والجدل، وزادت أعداد الكتب فى هذه المجالات الفلسفية. كما أعدت فى تلك الفترة المتون الجديدة فى علوم اللغة العربية، وهذه كانت تحتاج لشرحها للدارسين خاصة من غير العرب الذين انتشر الإسلام بينهم، وقد كانت معظم مؤلفات هؤلاء العلماء فى ذلك الوقت موسوعية، فنرى مثلا أن كتب التفسير تتناول جوانب فلسفية وعقائدية ومنطق وعلوم العربية فى نفس الوقت، وذلك لحرص العلماء فى تلك الفترة على شمولية أعمالهم، لتحتوى على ما تضمنته المتون الأولى من كتب التراث التى ضاع معظمها وتلف أثناء الحروب التى خاضتها الدول الإسلامية؛ وكذلك لإضافة الجديد عليها، ونظرًا لأهمية كتبهم تلك التى كانت مرجعًا لكل من أراد الاشتغال بالعلم والدرس؛ فقد كانت تحتاج لشرح كل ما ورد بها من علوم، ومن ثم تحتاج لكتب تشرح الشرح (كتب الحواشى).

- يعتبر كتاب"مفتاح العلوم" لسراج الدين أبى يعقوب يوسف السكاكى، المتوفى سنة ٦٢٦هـ؛ كتابًا متميزًا فى علوم البلاغة، وقد اعتنى به فضلاء العلماء بالشرح والتشريح والتلخيص، وقد اعتبر من المتون الأساسية فى القرن السابع تبعا لتاريخ وفاة مؤلفه السكاكى، ولقد أعدت حواش على شروح مختلفة لهذا الكتاب، من أهمها شرح

السعد التفتازانى الذى فرغ منه عام ٧٨٩هـ، وشرح السيد الشريف الجرجانى الذى فرغ منه سنة ٨٠٤هـ، وأعدت على شرحهما معًا عدة حواش، وكذلك على كل شرح منهما على حدة، وبلغ عدد الحواشى على تلك الشروح للمفتاح (٤٥) حاشية، وقد قام الجلال القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩ بتلخيص هذا الكتاب، واعتبر متن تلخيص المفتاح من متون القرن الثامن، وأعدت على هذا التلخيص عدة شروح أيضًا، من أهمها وأشهرها الشرح المطول، والشرح المختصر لسعد الدين التفتازانى، وقد فرغ من تأليف الشرح المطول عام ٧٤٨هـ، ومن الشرح المختصر عام ٧٥٦هـ، وتقع على الشرح المطول عدة حواش بلغ عددها (٣٥) حاشية، أما الحواشى على الشرح المختصر، فبلغ عددها (٢٠) حاشية، وبهذا يبلغ إجمالى عدد الحواشى على شروح المتن، وشروح تلخيصه (١٠٠) حاشية، وهو بالتالى أكثر الكتب التى أعدت حواش على متون شروحه، وهو أكثر الكتب التى كانت له متون تابعة على نفس شهرة وأهمية المتن الأصلى فى هذا المجال، وهو الكتاب الذى استمر تناوله بالشرح والتلخيص منذ تأليفه فى القرن السابع، وعلى مدى قرنين ثم أعدت على تلك الشروح المختلفة ما تم حصره من حواش منذ أول حاشية عليه وكانت على شرح السعد للمفتاح لجمال الدين محمد بن أحمد الشريشى (ت ٧٩٦هـ) ، أما آخر حاشية عليه فكانت على تلخيص القزوينى للمفتاح، وكانت للدسوقى محمد بن أحمد المصرى المالكى المتوفى عام ١٢٣٠هـ.

● كان القرن الثامن أيضًا من القرون التى ازداد فيها عدد المتون المؤلفة التى تم إعداد شروح عليها، ثم أعدت على تلك الشروح أعداد كبيرة أيضًا من الحواشى، وبلغ عدد تلك المتون (٣٧) متنًا، وأعد على تلك المتون نفسها، أو شروحها(٣٥٩) حاشية، وكان من أبرز تلك المتون متن "المواقف فى علم الكلام" للعضد الإيجى المتوفى سنة٧٥٦هـ.

● قلت أعداد الحواشى التى تعد على المتون الجديدة التى أعدها المؤلفون من علماء الفترة منذ القرن الحادى عشر، وحتى القرن الثالث عشر، حيث تم حصر (٧٨) حاشية فقط على (٣٢) متنًا جديدًا أعدت فى تلك الفترة، ونتعرف من ذلك أن الكتب أو المتون الأقدم، التى أعدت فى القرون من الخامس حتى القرن العاشر، كانت هى المتون التى تناولت العديد من المجالات التى كانت تحتاج فيما بعد لإعداد الحواشى عليها، وكانت مجالاً خصبًا للدارسين والعلماء ليضيفوا إليها المزيد من الشروح والحواشى.

(٢) من خلال توزيع كتب الحواشى على فترات تأليفها والموضح بالجدول رقم (٧) تبين ما يلى:

١- يعد القرن الخامس الهجرى هو البداية الرسمية لإعداد كتب الحواشى فى التراث العربى، حيث لم يتم حصر أى كتاب من كتب الحواشى خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، ولقد تم حصر كتابين فقط من كتب الحواشى خلال القرن الخامس، وهما: حاشية السيد مانكديم قوام الدين أحمد بن عمر شيشديو المتوفى سنة ٤٢٥هـ على شرح عبد الجبار بن أحمد لكتاب الخمسة أصول، لابن طباطبا الرسى، وتعد هذه الحاشية أول وأقدم كتب الحواشى التى تم حصرها من خلال هذه الدراسة، لأن الحاشية الأخرى فى هذا القرن كانت لأبى القاسم فضل بن محمد البصرى المتوفى سنة ٤٤٤هـ، وهى حاشية على كتاب الصحاح فى اللغة.

جدول رقم (٧) التوزيع الزمنى لكتب الحواشى على القرون التى أعدت خلالها

القرن الذى تم فيه تأليف الحاشية	عدد الحواشى
القرن الخامس	٢
القرن السادس	٨
القرن السابع	٢٢
القرن الثامن	٤٩
القرن التاسع	٢٩٤
القرن العاشر	٤٤٤
القرن الحادى عشر	٣٤١
القرن الثانى عشر	٢٦٩
القرن الثالث عشر	٢٧٧
القرن الرابع عشر	٤٨
مجهول الزمن	١٤١
المجموع	١٨٩٥

٢- تزايدت أعداد كتب الحواشى خلال القرون التالية للقرن الخامس، ولكن لم تصل إلى حد الظاهرة إلا منذ القرن التاسع الهجرى حيث تم حصر (٢٩٤) حاشية خلال ذلك القرن، أما القرن العاشر، فقد كان أكثر القرون التى تم خلالها إعداد كتب الحواشى؛ حيث تم حصر(٤٤٤) حاشية تم إعدادها لمؤلفين عاشوا فى تلك الفترة ما بين القرنين التاسع والعاشر، وترجع كثرة أعداد كتب الحواشى فى تلك الفترة إلى الاستقرار الذى عاش خلاله علماء تلك الفترة خلال بدايات عصر الدولة العثمانية،

وزيادة أعداد العلماء الذين كانوا يشتغلون بالتدريس فى المدارس التى انتشرت فى المدن الإسلامية، ويذكر بروكلمان فى تاريخ الأدب[1] أن السلطان محمد الفاتح تعمق فى بعض العلوم، وطلب العلم على أكفأ رجاله آنذاك، وكان يميل بوجه خاص إلى المجادلات والمناظرات العلمية، وكان توافر كافة المتون الأساسية فى كافة المجالات، وشروحها التى يحتاج إليها العلماء والدارسون فى التدريس والتحصيل، والتى تم إعدادها فى القرون السابقة، هو الذى جعل هؤلاء العلماء يكبون على تلك المتون فى كل علم، ويصرفون همهم فى وضع الحواشى عليها أو على شروحها لتسهيل تداولها بين الطلاب، وربما ترجع زيادة تلك الحواشى خلال تلك الفترة لتأثير أسلوب اللغة التى دونت بها تلك المتون التى أعدت فى القرون السابقة خاصة تلك المتون ذات التأثير الفارسى، التى أعدها علماء بلاد فارس، فقد كانت الدولة العثمانية دولة مترامية الأطراف امتدت من تركيا، وشبه جزيرة البلقان، والشام، والعراق، ومصر، والحجاز، وبلاد فارس، وما وراء النهرين، والجناح الغربى الذى تمثل فى بلاد المغرب وشمال إفريقيا، وهذا ما جعلها مختلفة عن سابقيها فى كونها مركزًا لكثير من الجاليات، فبالإضافة إلى الأتراك العثمانيين؛ كان هناك العرب والبيزنطيون والجاليات الأوروبية الشرقية، كوَّن كلُّ هؤلاء ثقافاتٍ متعددة، وأتاح هذا الطابع العالمى للدولة العثمانية حرية التنقل، كما أتاح فرصة ذهبية للعلم والعلماء فى التأثير، والتأثر، مما ترك بصمات واضحة على الإنتاج الفكرى الخاص بهذه الفترة. كما أولى بعض سلاطين العثمانيين اهتمامًا بالثقافة والعلوم، وأغدقوا على بناء المدارس الجديدة التى أنشئت فى القسطنطينية وأدرنة وبروسة، وكذلك المساجد والزوايا والتكايا والكتاتيب، كما تختلف هذه الدولة عما سبقها من دول؛ بأن كثيرًا من العلوم والمعارف وصلتها جاهزة مقننة منظمة؛ أى أن الإبداع الجديد فى كثير من تلك العلوم كان نادرًا أو كاد أن يكون معدومًا، ولذلك كثرت تلك المؤلفات التابعة، وبخاصة كتب الحواشى على تلك الشروح الخاصة بالمتون المختلفة، التى كانت بالرغم من كثرة تداولها إلا أنها كانت أيضًا تحتاج للتعليق فى تلك الفترة، ولعل هذا هو السبب فى اعتقاد الكثيرين أن العصر العثمانى هو عصر انحطاط العلوم والآداب، ولكن على العكس من ذلك فبالرغم من القلاقل و الفتن والحروب فقد ظلت المساجد والمدارس والكتاتيب تؤتى ثمارها، ولم يتوقف العلماء عن التأليف ولا الوراقون والنساخ عن إخراج الكتب المخطوطة التى لا تكاد مكتبة من

(١) بروكلمان : مرجع سابق : مج ٧ ، ص ٣٤٩

المكتبات الحالية تخلو من مخطوطات منها، وكانت الحركة العلمية والأدبية على درجة لا بأس بها من التطور[١].

٣- بدأت أعداد الحواشى التى يتم إعدادها فى النقصان فى القرون التالية للقرن الحادى عشر، الذى سجل ثانى أكبر نسبة فى عدد الحواشى التى تم حصرها، والتى بلغت (٣٤١) حاشية، ثم بدأت أعداد تلك الحواشى فى التناقص تدريجيا، حتى القرن الرابع عشر الهجرى، الذى انتهى فيه عصر المخطوطات، وبدأ عصر جديد من المعرفة الحديثة. وذلك يرجع إلى أن تلك الشروح والحواشى التى تم إعدادها خلال القرون السابقة كلها كانت كافية للغرض الذى أعدت من أجله، كما كان للضعف والانحلال الذى بدأ يصيب الدولة العثمانية فى أواخر حكمها للمنطقة، وانصراف معظم العلماء عن إعداد مؤلفات جديدة ذات قيمة علمية تستدعى إعداد شروح أو حواش عليها، فقد انتشر خلال تلك الفترة إعداد كتب الخرافات والسحر، وكذلك كتب الأوراد، وهذه النوعية من الكتب لا تستدعى بالتأكيد أى إضافات عليها.

٤- هناك (١٤١) كتابًا، لم تستطع الباحثة التعرف على تواريخ تقريبية لإعدادها إما لعدم التحقق من أسماء مؤلفيها التى وردت مختصرة بمصادر الحصر، ولعدم وجود معلومات كافية عن متونها الأساسية من خلال مصادر الحصر أو كتب الأعلام، أو لأن تلك الأعمال مجهولة المؤلف، وبالتالى لم يتم تحديد تاريخ العصر الذى عاش خلاله مؤلفوها.

---

(١) عدنان محمود عبد الهادي : عدنان محمود عبد الهادي : المخطوط العربي من بداية الحكم العثماني حتى ظهور الطباعة في المشرق العربي (رسالة ماجستير) -جامعة القاهرة - كلية الآداب - قسم المكتبات و الوثائق ، ١٩٨٨ .- ص ٢

جدول رقم (٨) التوزيع التراكمى لكتب الحواشى على مؤلفيها

عدد المؤلفون	عدد الحواشى	تراكمى للمؤلفين	تراكمى لكتب الحواشى
١	١٩	١	١٩
١	١٥	٢	٣٤
٢	١٤	٤	٦٢
١	١٢	٥	٧٤
٣	١١	٨	١٠٧
٢	١٠	١٠	١٢٧
٦	٩	١٦	١٨١
٥	٨	٢١	٢٢١
١٢	٧	٣٣	٣٠٥
١٦	٦	٤٩	٤٠١
١٧	٥	٦٦	٤٨٦
٤١	٤	١٠٧	٦٥٠
٥٨	٣	١٦٥	٨٢٤
١٣٩	٢	٣٠٤	١١٠٢
٧٩٣	١	١٠٩٧	١٩٨٥

أبرز المؤلفين لكتب الحواشى، وأبرز مؤلفى المتون التى تم إعداد حواش عليها :

١ - من خلال التوزيع التراكمى لكتب الحواشى على مؤلفيها، والذى يتضح من الجدول رقم (٨) تبين أن عدد المؤلفين الذين قاموا بإعداد تلك الحواشى بلغ (١٠٩٧) مؤلفًا، قاموا بإعداد (١٨٩٥) حاشية، وكانت النسبة الأكبر من هؤلاء المؤلفين، ممن أعدوا حاشية واحدة، فقد بلغ عددهم (٧٩٣) مؤلفًا، منهم (٤٥) مؤلفًا مجهولاً، لم يستطع أى من مصادر الحصر التى اعتمدت عليها الباحثة تحديد أسمائهم، وهناك مجموعة كبيرة من المؤلفين بلغ عددهم (١٣٩) مؤلفًا أعدوا (٢٧٨) حاشية، بواقع حاشيتين لكل مؤلف، بينما ارتكز إعداد كتب الحواشى على عدد قليل من المؤلفين، وحصرتهم الباحثة فى (٣٣) مؤلفًا، أعد كل منهم من ٧- ١٩ حاشية.

جدول رقم (٩) أبرز المؤلفين الذين أعدوا كتب الحواشى

القرن الذى تم فيه تأليف الحاشية	عدد الحواشى
١ السيد الشريف على بن محمد الجرجانى ت ٨١٦	١٩
٢ إبراهيم بن محمد الباجورى ت ١٢٧٧.	١٥
٣ محمد بن شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٧٥٩/ ٨١٩هـ)	١٤
٤ أحمد بن سليمان بن كمال باشا ت ٩٤٠	١٤
٥ جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ٩١١	١٢
٦ سيف الدين أحمد بن يحيى حفيد التفتازانى (٩١٦هـ) أو (٩٠٦)	١١
٧ السيالكوتى، عبدالحكيم بن شمس الدين الهندى السيالكوتى ن ١٠٦٧	١١
٨ حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى ت ٨٨٦.	١١
٩ ميرزا جان حبيب الله الشيرازى ت ٩٩٤	١١
١٠ جلال الدين محمد بن أسعد الصديقى الدوانى ت ٩٠٨	١٠
١١ السندى، أبو الحسن محمد بن عبدالهادى السندى ت ١١٣٨	٩
١٢ خطيب زادة الرومى	٩
١٣ عصام الدين إبراهيم بن عربشاه الإسفراينى ت ٩٤٣	٩
١٤ علاء الدين بن محمد الشاهرودى البسطامى الشهير بمصنفك ت ٨٧٥	٩
١٥ محمد باقر البهبهانى بن محمد أكمل الأصفهانى ت ١٢٠٥	٩
١٦ محمد بن على بن عرفة الدسوقى ت ١٢٣٠	٩
١٧ ابن قطلوبغا، زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى ت ٨٧٩.	٨
١٨ الكليسى، عبدالله بن عبدالرحمن ت ١٣٠٣	٨
١٩ حسن بن محمد العطار ت ١٢٥٠.	٨
٢٠ قرة خليل، خليل بن حسن بن محمد اليركيلى ت ١١٢٣	٨
٢١ محمد بن إبراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى ت ٩٧١	٨
٢٢ أحمد بن موسى الشهير بالخيالى ت ٨٦٢ هـ.	٧
٢٣ القارى الهروى، نور الدين على القارى المكى ت ١٠١٤	٧
٢٤ القاضى زكريا بن محمد الأنصارى ت ٩٢٦	٧
٢٥ إلياس بن إبراهيم الكردى بن داود بن خضر ت ١١٣٨	٧
٢٦ حسين الحسينى الخلخالى ت ١٠١٤	٧
٢٧ شيخ الإسلام أبو عبدالله محمد بن أحمد عليش المالكى ت ١٢٩٩.	٧
٢٨ عبدالله بن شهاب الدين الحسينى البزدى الشاهاباذى (حفيد الدوانى وتلميذه) ت ١٠١٥	٧
٢٩ على بن أحمد بن مكرم العدوى الصعيدى المنافسى ت ١١٨٩.	٧
٣٠ فصيح الدين الحيدرى، إبراهيم بن السيد صبغة الله بن محمد (١٢٣٦ - ١٢٩٩)	٧
٣١ محمد بن محمد الأمير شمس الدين المالكى السنباوى ت ١٢٣٢.	٧
٣٢ مصلح الدين محمد بن صلاح بن جلال الدين الملتوى السعدى العبادى اللارى ت ٩٧٩	٧
٣٣ نعيمى المغنيساوى، المفتى خليل بن أحمد الحنفى ت ١٢٣٠	٧

٢ - ويوضح الجدول رقم(٩) أبرز هؤلاء المؤلفين لكتب الحواشى، وقد كان هؤلاء المؤلفون أبرز من اهتم بإعداد حواش على متون وشروح الكتب فى المجالات المختلفة، وكان من أبرز هؤلاء المؤلفين"على بن محمد بن على الملقب بالسيد الشريف الجرجانى" الذى ولد فى جرجان عام ٧٤٠ هـ، وتوفى بشيراز عام ٨١٦هـ، وقد أحصى له بروكلمان (٤٧) عملاً[1] بينما أحصى له إسماعيل البغدادى(٤٤) عملاً، وأردف أن له غير ذلك من الأعمال[2]، وقامت الباحثة بحصر تسع عشرة (١٩) حاشية أعدها الجرجانى.

٣ - ومن خلال التوزيع الموضوعى لحواشيه، تبين أن أكثر حواشيه كانت فى مجال المنطق، حيث أعد سبع حواش على كتب فى مجال المنطق، وأشهرها حاشية كوجك، وأعد أيضًا خمس حواش على متون شروح لكتب فى مجال النحو، كشروح متن الكافية، كما أنه أعد حاشية على شرح التفتازانى للمطول، وللمختصر فى علوم البلاغة، وقد أعد حاشيتين على كتابين من أهم كتب التفسير، وهما كتاب أنوار التنزيل للبيضاوى، وكشاف الزمخشرى، بالإضافة إلى حاشية على كتاب فى كل من أصول الفقه، وفى أصول الحديث، وفى الفرائض، وفى الحساب والهندسة. ويعنى هذا أنه كان من العلماء الموسوعيين، وهذا ما اشتهر به علماء القرنين الثامن والتاسع. ولقد كانت أعمال السيد الشريف الجرجانى مفضلة ومتداولة بين طلاب العلم، ولذلك أقبلوا عليها لمطالعتها، وتلخيص ما جاء بها من علم، ومن أبرز ما يميز حواشيه أنها كانت أيضًا مجالاً للتحشية أو التعليق على ما جاء فيها. ومن أشهر حواشى الجرجانى التى أعدت عليها حواش أخرى، كانت حواشيه فى مجال المنطق، مثل: حاشية التجريد، وحاشيته على تحرير القواعد المنطقية فى شرح التصورات الشمسية للقطب التحتانى أو ما اشتهر بحاشية كوجك. وقد أحصت الباحثة (٢٠٥) حاشية تم إعدادها على أعماله من الشروح والحواشى كان منها (٣٦) حاشية على شرحه لمفتاح السكاكى، ومن أهم الحواشى على شروح السيد الشريف الجرجانى؛ الحواشى على شرحه للمواقف العضدية (٣٢) حاشية، وعلى شرحه لفرائض السجاوندى، وعلى إعرابه لديباجة الإعراب، و(٢٢) حاشية على حاشيته على تجريد العقائد، و(٢٠) حاشية على حاشية كوجك، و(٦) حواش على حاشيته على الشرح المطول. وقد كان الجرجانى غالبًا ما يعد حواشيه على شروح سعد الدين مسعود التفتازانى الذى يعد من أبرز علماء بلاد فارس

---

(١) بروكلمان : مرجع سابق : مج ٧ ، ص ٣٢١-٣٢٦

(٢) إسماعيل البغدادي: هدية العارفين . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢ .- مج ٥ص: ٧٢٨-٧٢٩

فى العصر السابق للجرجانى، وكانت شروح السعد التفتازانى وشروح وحواشى السيد الشريف معًا من الأعمال التى يتم التحشية عليها فى مؤلفات مستقلة، وتأتى فى سياق عناوين تلك المؤلفات"حاشية على شرح السعدين" وهما التفتازانى، والجرجانى، مثل: حاشية على شرح السعدين لمفتاح السكاكى لأحمد بن محمود البرسوى ابن أخى منلا عرب شاه. وربما يرجع كثرة تداول حواشيه إلى ميله للإيضاح والإيجاز، وكذلك لاشتمالها على العديد من المجالات التى تستوقف العلماء وتجعلهم يدونون حواشيهم عليها، حيث اعتبرت شروحه وحواشيه بمثابة المتون الجديدة التى تتطلب إعداد تلخيص لها أو شرح للجديد مما أضافته.

٤ - من أبرز المؤلفين الذين أعدوا كتب الحواشى إبراهيم الباجورى، المتوفى١٢٧٧هـ، وهو من علماء الأزهر بالقرن الثالث عشر الهجرى، وكان أكثرهم إعدادًا لكتب الحواشى التى اشتهر علماء الأزهر بإعدادها لأغراض تدريسية، ولقد توزعت حواشيه وعددها (١٥) حاشية على متون فى عدد من المجالات، غالبيتها فى الفقه الشافعى، وكذلك حواشيه على متون فى الأخلاق، والعقائد، ومجال السيرة والمديح النبوى، ومنها حاشيته على قصيدة بانت سعاد، وكانت تلك هى المجالات التى ساد التأليف فيها خلال عصور انحسار الحضارة الإسلامية، فى أواخر عصر الدولة العثمانية.

٥ - من بين المؤلفين الأكثر إعدادًا لكتب الحواشى، نجد تسعًا منهم من علماء القرن العاشر الذى كثر فيه إعداد الحواشى كما بينا، ومن أبرزهم محمد بن شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٨١٩/٧٥٩هـ)، وهو من منطقة ينبع بالحجاز وعاش بالقاهرة حتى وفاته، وكان طبيبًا، لذلك فقد كانت إحدى حواشيه على أبقراط الحكيم فى الطب، بالإضافة إلى حواشيه على متون فى مجالات النحو والبلاغة، وعلم الأصول. أما أحمد بن سليمان الرومى الحنفى المعروف بابن كمال باشا، فهو من علماء الدولة العثمانية، ويذكر نجم الدين الغزى فى الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة(١) عن ابن كمال باشا، أنه فضل الاشتغال بالعلم بدلاً من التدرج فى الوظائف الحربية، لما وجده من مبلغ العلماء عند الحكام، وقد كان يصرف جميع وقته للعلم، ويذكر الغزى أن لابن كمال باشا من الرسائل ما يقرب من المائة، وقد تنوعت حواشيه أيضًا على متون فى مجالات البلاغة والتفسير والحديث، والمنطق وعلم

(١) نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة.- الجزء الثاني- حققه وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور - بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩ ص١٠٧-١٠٨

الكلام، والفرائض، ومنها حاشية على شرح السيد الشريف الجرجانى للفرائض السراجية للسجاوندى، وهى حاشية ممزوجة بالمتن. وبالنسبة لجلال الدين السيوطى الشافعى، فهو من الأعلام فى تاريخ التراث العربى، وهو مصرى المولد، واستقر بها إلى أن توفى عام ٩١١ هـ، ويرجع أصل أجداده لبلاد فارس[1]، وله العديد من المؤلفات، وكما سبق بيانه فقد كان يتميز بعناوين مؤلفاته، ومنها عناوين كتب الحواشى التى أعدها. أما جلال الدين الدوانى فقد ولد سنة ٨٣٠، وتوفى عام ٩٠٧هـ، وتعد سلسلة حواشيه الطبقية على شرح التجريد من الحواشى المشهورة، ولعل السبب فى الجدل حول أعماله بسبب عقيدته فهو من الشيعة الاثنى عشرية، وله اهتمامات كثيرة بالفلسفة، وله رسالة فى التصورات، ورسالة فى إثبات الواجب، أعدت عليها بعض الحواشى، كما أعد شرحًا على تهذيب المنطق، أعدت عليه (٢٣) حاشية كما ذكر من قبل ، وكذلك شرحه للعقائد العضدية الذى أعدت عليه (١٧) حاشية، كما أعد هو حواشيه على متون فى مجالات متعددة كالتفسير والحديث، والمنطق، والفلسفة، وعلم الأصول، وعلم الكلام. أما بالنسبة لميرزا جان الشيرازى (ت٩٩٤ هـ)، فهو أيضًا من علماء شيراز التى اشتهرت بكثرة علمائها، والذين تناولوا فى كثير من أعماله الجدل والمنطق وعلم الكلام، ولذلك كانت حواشيه هو أيضا على أهم تلك المتون فى تلك المجالات الفلسفية، بالإضافة للمتون المشهورة فى البلاغة وعلم الأصول، وهناك أيضًا سيف الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين التفازانى المشهور بالحفيد "حفيد التفتازانى"، وقد توفى ٩١٦ هـ.

٦ - بالنسبة لتوزيع المتون الأساسية لكتب الحواشى على مؤلفيها تبين أن محيى الدين أبو زكريا بن شرف الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ؛ كان أكثر المؤلفين إعدادًا لمتون أعدت عليها كتب الحواشى؛ حيث بلغ عدد تلك المتون سبعة متون أعد عليها (٣٢) حاشية فقط، أربع منها فى فروع الشافعية، والبقية فى علم العقائد، وكتب الحديث، والأصول، وكان أهم كتبه الذى أعدت عليها كثير من كتب الشروح والحواشى كتابه "منهاج الطالبين" الذى أعدت عليه شروح من أهمها شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، وشرح ابن رسلان الرملى، وشرح ابن حجر الهيثمى، والمحلى، وغيرهم، وأعدت على تلك الشروح عشرون (٢٠) حاشية، وهناك كتاب" روضة الطالبين وعمدة المتقين" وأعدت عليه خمس حواش، وله أيضًا كتاب "الأربعين النووية" المشهور، وتوجد عليه أيضًا شروح متعددة، وأعدت ثلاث حواش عليها.

(١) بروكلمان : مرجع سابق : مج٦ ، ص ٦٠٣-٦٠٤

٧ - ومن أكثر المؤلفين الذين أعدوا عددًا كبيرًا من المتون التى تم تناولها بالشرح والتحشية، محمد بن على البيركلى أوالبركوى(ت٩٨٢هـ) وهو أيضًا من علماء القرن العاشر، وقد تم حصر ستة متون له أعدت عليها (١٧) حاشية، ومن أهم تلك المتون متن كتابه"إظهار الأسرار" الذى تم شرحه فى كتاب نتائج الفكر، وأعدت سبع حواش على ذلك الشرح.

٨ - من أكثر المؤلفين الذين تم إعداد حواش على متون كتبهم القاضى البيضاوى، فقد قام بتأليف ثلاثة متون أعدت عليها(١٤٠) حاشية، وهذه المتون هى: تفسيره المشهور" أنوار التنزيل"، الذى أعدت عليه (١٢٥) حاشية، وكتابه "طوالع الأنوار"، وأعدت على شروحه (١١) حاشية، وكتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول"، وأعدت عليه أربع (٤) حواش. وكان من بين هؤلاء المؤلفين أيضًا "السكاكى" بكتابه الشامل لعلوم العربية "مفتاح العلوم" الذى تم تناوله بالشرح والتلخيص والتحشية على الشروح والتلخيص، فقد تم حصر مائة (١٠٠) حاشية أعدت على هذا المتن وشروحه وتلخيصه وشروح تلخيصه، أما ابن الحاجب فله أيضًا ثلاثة من المتون المشهورة فى مجال النحو والصرف أهمها: (الكافية فى النحو، والشافية فى الصرف) وأعدت على شروح أعماله (٨١) حاشية. وبالنسبة لنصير الدين الطوسى[١]، الذى كان عالمًا وفيلسوفًا، وكان أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا فى القرن السابع الهجرى، فكان له دوره العظيم فى تحرير التراث العلمى اليونانى، الذى كانت متونه المترجمة تحتاج إلى مراجعة لترجمتها، وتصحيح وتحديث لمصطلحاتها، وكذلك تقويم لما جاء بها، وكان له دور كبير فى المحافظة على هذا التراث[٢]؛ كما أعد العديد من متون المؤلفات التى يرجع إليه الفضل فى نشأتها كمؤلفاته فى علم حساب المثلثات. وبالإضافة إلى كتابه "تجريد العقائد" الذى كان من أكثر أعماله الفلسفية التى أثارت كثيرًا من الجدل حولها، كما تبين من قبل؛ فقد أعدت على شروح وحواش هذا الكتاب وحده (٦٢) حاشية، فقد كان الطوسى من الشيعة الإسماعيلية، لذلك كانت أعماله الفلسفية هى الأكثر إثارة للجدل، فقد تم حصر متون أخرى للنصير الطوسى فى المجالات الأخرى، لم تحظ بإعداد حواش كثيرة عليها؛ وهى متونه الأربع الأخرى فى الفلسفة والهندسة، والفرائض، وقد تم حصر خمس (٥) حواش فقط عليها.

---

(١) عباس سليمان، وحسان حلاق: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب.- الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ - ص ٩١ .

(٢) قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب .- القاهرة : مكتبة مصر ،١٩٦٠، ص ١٥٦ - ١٦٦.

٩ – ومن بين الأعمال الأصلية للمؤلفين المتميزين من القرون الأولى، والتى تم تناولها بالشرح والتحشية، نجد مؤلفات ابن سينا، وهو من أشهر علماء المسلمين، ولقب بالشيخ الرئيس، وبالمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابى، وقد كان طبيبًا بارعًا، وكان قد نشأ فى عصر كثرت فيه مباحث الفلسفة ومدارس الحكمة والتصوف، وكان عالمًا مبرزًا فى كافة المجالات، محكما لعلم المنطق والفلسفة والهندسة والإلهيات والطبيعيات بالإضافة للطب، وغير ذلك من العلوم، وقد عاش كذلك فى عصر المنازعات والانقسام بين أمراء الرقعة الشرقية والدولة العباسية[١]، ونجده بالرغم من اشتغاله بالمنطق لم يكن يستخدم مصطلح المنطق كما بينا، وكان فى كتبه الشهيرة التى تناولت ذلك العلم يشير له بمصطلح العلم الآلى، خوفا من الشك فيه، ومع ذلك فقد عانى من الشك فيه، فقد ذكر بروكلمان[٢] أنه فى عام ٤٠١هـ، أمر محمود الغزنوى بإحضار خمسة من علماء خوارزم للشك فى إلحادهم، وكان منهم البيرونى وابن سينا الذى فر هاربًا إلى طوس. وقد تم حصر (٢٨) حاشية على أربع من متون أعمال لابن سينا، من أشهرها كتابه العظيم القانون فى الطب، وهو أكثر الكتب فى هذا المجال الذى تم تناوله بالشرح والتحشية، وتم حصر تسع(٩) حواش عليه، بالإضافة إلى خمس عشرة حاشية على كتابيه الإشارات والتنبيهات، والشفاء فى مجالات المنطق والفلسفة، وله رسالة فى تفسير سورة الإخلاص، تم حصر أربع حواش عليها.

١٠– أما بالنسبة للمؤلفين الذين أعدوا أكثر كتب الشروح التى كانت الأكثر تناولاً بالتحشية عليها، فهو سعد الدين التفتازانى، المتوفى سنة ٧٩١هـ، فبالرغم من أنه لم يعد إلا حاشية واحدة فقط، وهى حاشيته على كشاف الزمخشرى، وهى حاشية غير مكتملة، إلا أن الشروح على متون كتبه، وشروحه هو لبعض المتون أثارت جدلاً كبيرًا، وأعدت على شروحه(٢١٠) حاشية، وقد كان الشريف الجرجانى من أبرز من تناول أعماله بالشرح والتحشية، وأبرز شروحه التى أعدت عليها الكثير من الحواشى [التلويح لشرح التنقيح (٥٨) حاشية، شرحه للعقائد النسفية (٥١) حاشية، وشرحه للقواعد الشمسية للكاتبى(٥١) حاشية، وشرحه لمتن مفتاح السكاكى، وشرحاه المطول والمختصر لتلخيص القزوينى للمفتاح(٥٩) حاشية]. أما الحواشى التى أعدت على متون من تأليف التفتازانى، فقد بلغ عددها(٢٨) حاشية، وكان أكثر متونه التى أعدت عليها شروح تم حصر حواش عليها، هو متن تهذيب المنطق والكلام الذى أعد له الدوانى

(١) عباس سليمان، وحسان حلاق: مرجع سابق، ـ ص ١٤٩.

(٢) بروكلمان : مرجع سابق : مج ٢ ، ص ٧٠٣

شرحًا تم حصر (٢٣) حاشية عليه، وهناك خمس حواش أخرى على متن المقاصد فى علم الكلام للتفتازانى، وربما ترجع كثرة الحواشى على أعمال التفتازانى لصعوبة فى أسلوب شرحه لمتون كانت أساسًا مليئة بالغموض.

١١ - هناك أربع حواش ابتدأها بعض المؤلفين، واستكملها غيرهم، ومنها استكمال محمد بن على الجرجانى لحاشية أعدها أبوه الشريف الجرجانى فى النحو، وهى على الوافية (الشرح المتوسط للإستربادى للكافية فى النحو لابن الحاجب). وقد استكمل عبد الله بن محمد البسطى الحواشى التى أعدها ابن برى على الصحاح فى اللغة، وهناك حاشية على تهذيب المدونة والمختلطة فى فقه المالكية والتى أعدها أبو مهدى عيسى الوانوغى، واستكملها محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الصمد البجائى المشدالى ت ٨٦٦ هـ، وحاشية بعنوان "أبكار الأفكار وقاضيجق: حاشية على الضوء (شرح تاج الدين محمد الإسفراييني للمصباح، إلى آخر الباب الثانى) التى أعدها قاضى بلاط، عبد اللطيف بن جلال الدين محمد القزوينى، واستكمله كلينجك.

١٢ - تدل التوزيعات المختلفة لهؤلاء المؤلفين الذين أعدوا كتب الحواشى، أن أغلبهم من علماء عاشوا خلال حكم الدولة العثمانية، وكثير منهم كان من العثمانيين(الأتراك والروم)، كحسن جلبى بن الفنارى، وابن كمال باشا، وابن قطلوبغا، وخطيب زاده الرومى، بالإضافة إلى المؤلفين من بلاد الفرس كالجرجانى، والدوانى، وميرزا جان الشيرازى، ومن الهند كعبد الحكيم بن شمس الدين الهندى السيالكوتى، وكان غالبية هؤلاء العلماء من المشتغلين بالتدريس، واشتهرت الحواشى والشروح التى أعدوها أساسًا لعمليات التدريس، وأصبحت متداولة بين الدارسين لها لقرون طويلة من خلال العديد من المدارس التى أنشئت خلال تلك الفترة، وبالأزهر الشريف أيضًا. وقد أشار بروكلمان عند تناوله لكتاب تفسير البيضاوى إلى وجود (٤٦) حاشية، و(٢٥) تعليقة على هذا التفسير لمؤلفين عثمانيين[١]، مما يبين وفرة إنتاجهم، وأيضا لتأثير اللغة عليهم، حيث كانوا يعلقون على تلك الكتب من وجهة نظرهم ومذاهبهم، وثقافاتهم، وقد كانت لغتهم الأصلية تؤثر على بعض المفاهيم اللغوية لديهم. كما كانت لدى هؤلاء العلماء الرغبة فى الاشتغال بالعلم أملاً فى الحظوة لدى السلاطين والأمراء الذين كانوا يشجعونهم على التأليف، ويجزلون لهم العطاء، فيقوموا بإعداد متون جديدة أو شروح يهدونها للمهتمين منهم بالعلم، كما كان الكثير منهم يجولون الشرق والغرب رغبة فى المزيد من العلم والتحصيل.

---

(١) بروكلمان :مرجع سابق : مج ٤ ، ص ٢٢١

ديوان
الناشئ الأكبر بين نشرتي
د. مزهر السوداني والأستاذ هلال ناجي
نقد واستدراك

د. عبد الرازق حويزي(*)

يعد الناشئ الأكبر من كبار الأدباء فى العصر العباسى، اسمه " عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الأنبارى "، وكنيته هى " أبو العباس "، ولقبه هو الناشئ الأكبر تمييزاً له عن الناشئ الأصغر (٢٧١- ٣٦٦ هـ).

ولد الناشئ الأكبر فى مدينة الأنبار، قرب بغداد، ورحل إلى مصر، وربط " ابن خلكان " بين رحلته تلك وتسميته بـ" ابن شرشير " فقال: إن شرشير فى الأصل اسم طائر يصل إلى الديار المصرية فى البحر فى موسم الشتاء لذا سمى الرجل بـ "شرشير" تشبيهًا له بهذا الطائر(١)، وتوفى " الناشئ " بمصر عام (٢٩٣هـ)

لم يقتصر الناشئ " فى إبداعه الأدبى على نظم الشعر، فقد كان ذا ثقافة عميقة، أسعفته فى المشاركة فى بعض فروع العلم، وأجاد فى كل فرع طرقه، وترك فيه آثارًا تشهد له بالنبوغ والتفوق، فقد كان شاعرًا مفلقًا، وكاتباً معروفاً، وناقداً جهبذا، ومتكلماً معتنقاً للمذهب المعتزلى، ونحوياً، وعروضياً، ونص المؤرخون على أنه ترك فى كل هذه المجالات الثقافية مؤلفات، أتى على حصرها الأستاذ " هلال ناجى " فى تقديمه لمجموع شعره.

أما نتاجه الشعرى فقد كان مجموعاً بين دفتى ديوان، سقط من يد الدهر، ولم يبق أمام الباحثين المعاصرين سوى التجرد لجمع ما تبقى من قصائده وأراجيزه، وإدراجها بين دفتى ديوان قائم بذاته، يكون فى متناول الدارسين والأدباء، وقد بُذلتْ فى هذا الشأن عدة محاولات، هذا بيان بها.

(١) محاولة د. " مزهر السودانى "، وهى أولى المحاولات التى اهتمت بجمع شعر الناشئ الأكبر وتحقيقه، وللدكتور " مزهر " فضل السبق والريادة، حيث عبَّد السبيل، ومدَّ يد العون لمن أتى بعده، ونشر د." مزهر " محاولته تلك فى مجلة كلية

(*) الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر.

التربية، جامعة البصرة، فى العدد الأول الصادر عام(١٩٧٩م)، واحتل المجموع الشعرى من صفحة ٧٣ إلى صفحة ١٦٤ .

(٢) محاولة د " يوسف حسين بكار "، وهذه المحاولة لم يخصصها صاحبها لجمع كل شعر " الناشئ "، وإنما خصصها لتحقيق قصيدته فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونسبه، وهى أطول قصائد " الناشئ الأكبر "، حيث تقع فى ٧٧ بيتاً، ونشر د " بكار" هذه القصيدة فى مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى، فى العددين ٣، ٤ فى العام الذى صدرت فيه محاولة د. "مزهر السودانى " عام (١٩٧٩م).

(٣) محاولة الأستاذ " هلال ناجى "، التى صدرت بعد صدور محاولة د " مزهر " بثلاثة أعوام، وصدرت فى العراق أيضاً، ونشرت فى مجلة المورد العراقية فى المجلد ١١، الأعداد ١- ٤ لسنة (١٩٨٢م)، والمجلد ١٢، العدد ١ لسنة (١٩٨٣م).

وقد نظرت فى المحاولتين العراقيتين فاتضح لى أن الأستاذ " هلال ناجى " رجع على محاولة د. " مزهر " واعتمد عليها، ولا تثريب عليه فى ذلك، فهذا من حقه، ومن حقنا جميعاً، ذلك الحق الذى تفرضه علينا طبيعة البحث العلمى، ليبدأ الباحث من حيث انتهى الآخرون على شريطة أن يفصح الباحث عن المحاولات التى سبقته فى موضوعه، ورجع إليها، وأفاد منها، أما أن يرجع الباحث إلى آثار السابقين، ويفيد منها دون تصريح منه بجهد من سبقه فى موضوعه فهذا يعد خروجاً على مقتضى الواجب، ذلك الخروج الذى ترفضه أمانة البحث العلمى، وهذا ما حدث للأستاذ "هلال ناجى"؛ إذ لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى محاولة د." مزهر السودانى " على الرغم من رجوعه إليها، واعتماده عليها على ما سنبينه بعد ذلك من واقع الأدلة المادية المحسوسة.

(٤) أما المحاولة الرابعة والأخيرة، فهى للباحث " عبد الحافظ إبراهيم محمد الدميسى " وقد تزامن تقديمها مع نشر محاولة الأستاذ " هلال ناجى " أى عام ١٩٨٣م، ولم يكتب لهذه المحاولة النشر حتى الآن، وقدَّمها معدُّها إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة للحصول على شهادة الماجستير، وقد رجعت إليها تحت رقم (٣٩٧٤) فى مكتبة الجامعة المذكورة، وأفدت منها منذ أكثر من عشر سنوات، حينما كنت أعد أطروحة الدكتوراة، وليست هذه المحاولة بين يدى الآن، وكم كنت أتمنى أن تكون فى متناول يدى لتدخل فى نطاق هذا البحث.

هذا، ولم يهمل الأستاذ " هلال ناجى " محاولته لجمع شعر " الناشئ الأكبر" منذ

نشرها، بل جعلها فى حيز اهتمامه دائماً، فنشر عام (١٩٩١م) استدراكاً عليها فى ص١/ ٣١٤- ٣١٧ فى كتاب المستدرك على صناع الدواوين، وأعاد نشره عام (١٩٩٨م) دون زيادة عليه فى ص ١/ ٣٤٧- ٣٤٩ مع إعادة طبع هذا الكتاب.

وصدَّر الأستاذ " هلال ناجى " استدراكه فى الطبعتين بقوله: " وفى بواكير عام ١٩٨٨ اتصل بى طالب الماجستير السيد "كريم علكم عويز" راجياً تزويده بتوصية إلى اللجنة المختصة للدراسات العليا، تتضمن صلاحية موضوع الناشئ الأكبر: حياته وشعره مادة لرسالة ماجستير لما يعرفه أعضاء اللجنة المذكورة من صفة الاستقصاء فيما أنشره الأمر الذى يقطع الطريق على من يريد سلوك السبيل ذاته، فاستجبت لطلبه....وسجلت رسالة الطالب عام ١٩٨٨، ونال عنها درجة الماجستير فى النصف الثانى من عام ١٩٨٩ من كلية الآداب، جامعة بغداد، وكانت ولما تزل مطبوعة بالرونيو، وقد لاحظ أستاذان ممن تولوا مناقشة رسالة الطالب، هما الدكتوران محسن غياض، وعباس الصالحى أنه اعتمد ما جمعته من شعر الناشئ الأكبر دون أن يستطيع إضافة بيت شعر واحد إلى ذلك المجموع الذى نشر عام ١٩٨٢، وتلك ملاحظة صرحا بها أثناء المناقشة ".

هكذا بدأ الأستاذ " هلال ناجى " استدراكه بثنائه، وثناء غيره على عمله ضارباً بجهد د. " مزهر السودانى" عرض الحائط، غير متعرض ولو لمجرد التنويه به لإعطاء الرجل حقه، وقد أشرت إلى ما يشبه ذلك أثناء نقدى لمجموع الأستاذ " هلال" لشعر الببغاء فى مجلة العرب ١٣٤، ج ١ ،٢ لسنة(٢٠٠٥م) ، ثم فى الحلقة الثانية من سلسلة "تتمة وإصلاح الدواوين الشعرية ".

وأقول: لا محل لمتابعة الأستاذ " هلال" أعضاء اللجنة فى وصف منهجه فيما ينشره من دواوين شعرية مجموعة بالدقة والاستقصاء، وذلك فى قوله: " لما يعرفه أعضاء اللجنة من صفة الاستقصاء فيما أنشره الأمر الذى يقطع الطريق على من يريد سلوك السبيل ذاته ".

وما استدركته فى هذا البحث المتواضع يؤيد ما أقول من زاوية، ويعزز من زاوية أخرى مأخذ الدكتورين: محسن غياض "، و" عباس الصالحى " من أن الطالب لم يستطع إضافة بيت واحد إلى مجموع الأستاذ " هلال "لشعر الناشئ الأكبر ".

وقد نظرت فى نشرتى شعر " الناشئ الأكبر " العراقيتين فبدت لى جوانبٌ من النقص فيهما مجتمعتين، حاولت إصلاحها من خلال الإضافات، وعَنَّتْ لى بعضُ

الملحوظات عليهما، ورأيت لمعالجة تلك الجوانب توزيع ما فى جعبتى من مادة علمية على العناصر التالية:

(١) اعتماد الأستاذ " هلال ناجى" على نشرة د." مزهر السودانى".

(٢) ديوان الناشئ الأكبر بين نشرتى د." مزهر السودانى "، والأستاذ " هلال ناجى".

(٣) ما يجب ضمه إلى ديوان الناشئ الأكبر بنشرتيه.

(٤) ما يجب حذفه من الديوان بنشرتيه.

(٥) رصد ما لم يرصد من روايات الأبيات فى النشرتين

(٦) استقصاء مصادر التخريج.

(٧) ملحوظات أخرى على مجموع الأستاذ " هلال ناجى ".

هذه هى العناصر التى سأتحرك فى إطارها محاولاً إثبات الحقيقة أولاً، وتنقيح الديوان وصولاً به إلى مرتبة الكمال ثانياً، وأبدأ

أولاً - باعتماد الأستاذ "هلال ناجى" على نشرة د." مزهر السودانى":

لم يشر الأستاذ " هلال ناجى " لا من قريب ولا من بعيدٍ فى صدر عمله"، وكذلك فى كل اقتراب منه لشعر" الناشئ الأكبر" إلى النشرة التى صدرت فى وطنه لشعر الشاعر ذاته على يد د ." مزهر السودانى " قبل صدور نشرته هو بثلاث سنوات، ويبدو أن سكوت الأستاذ " هلال ناجى" عن الإفصاح إلى أسبقية نشرة د." مزهر" كان متعمداً، حيث ثبت لدىَّ - على ما سأذكر بعد ذلك - أنه رجع إلى تلك النشرة، واعتمد عليها، وهو يعلم ذلك جيداً، ويعلم أيضاً أن الباحث " كريم علكم عويز " قارن عام (١٩٨٩م) فى دراسته للماجستير عن هذا الشاعر بين عمله، وعمل د." مزهر".

ونقل الأستاذ " هلال ناجى "فى مقدمة استدراكه على شعر الناشئ الأكبر عن هذا الباحث قوله فى معرض المقارنة بين النشرتين:" لقد تميز مجموع هلال ناجى بالطريقة العلمية الدقيقة التى أخذت بكل لوازم التحقيق والتتبع والاستقصاء، وقد زاد من أهمية مجموعه اعتماده على عدد من المخطوطات ".

لا شك أنَّ ذِكْرَ الأستاذ " كريم " لعمل د. " مزهر " أظهره لدى بعض ممن ليس لهم به علم، وكان من المفترض وقد علم عدد غير قليل من المهتمين بالتراث الشعرى بنشرة د." مزهر" أن يغيِّر الأستاذ " هلال ناجى" وجهة نظره من السكوت عن التنويه بجهد د. "مزهر السودانى " وأسبقيته إلى الإفصاح عن ذلك والتصريح باعتماده على هذا

العمل الرائد، فيشير إليه فى كل من: مقدمة عمله، وفى مقدمة استدراكه الذى نشره عام (١٩٩١م)، وأعاد نشره عام (١٩٩٨م)، وفى مقاله عن جهود الناشئ الأكبر فى نقد الشعر المنشور عام (١٩٩٤م) فى كتابه:" بحوث فى النقد التراثى" عندما أشار فى ص ١٧٠ إلى جمعه ديوان " الناشئ الأكبر".

وسواء أصرح الأستاذ " هلال " بريادة عمل د." مزهر " أم لم يصرح، وسواء أنص على اعتماده على هذا العمل أم لم ينص فإننا نقول: بأسبقية عمل د." مزهر "، ونقول أيضاً برجوع الأستاذ " هلال " إلى هذا العمل واعتماده عليه ، أما أسبقية صدور عمل د." مزهر " فهذا أمر لاشك فيه، وتواريخ النشر تؤكد ذلك، خاصة وأن العملين نشرا فى مجلتين محكمتين مما يجعل تغيير تواريخ النشر أمراً صعباً، وأما رجوع الأستاذ " هلال" لعمل د. " مزهر " واعتماده عليه فهذا ما سنؤكده من واقع الأدلة المادية المحسوسة التالية:

(١) تأثر الأستاذ " هلال ناجى " بتخريجات د." مزهر "، واعتماده عليها، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال مراجعتى تخريجهما على كتاب: " المختار من شعر بشار للخالديين بشرح التجيبى البرقى، فقد رجعت إلى الطبعة التى اعتمداها فى الجمع والتحقيق، ورصدت الصفحات التى احتوت على شعر " للناشئ الأكبر " فى هذه الطبعة، وقمت بمقابلة رقم صفحة كل مقطعة فى هذا الكتاب لدى الأستاذ " هلال ناجى " عليه لدى د." مزهر "، وأيقنت أن الأستاذ " هلال ناجى " اعتمد اعتماداً جلياً على نشرة د." مزهر "، وهذا واضح من اتحاد أرقام صفحات بعض المقطعات لديهما على الرغم من وجود أخطاء لدى د." مزهر " فى رصد أرقام الصفحات المحال عليها فى الطبعة المقصودة للكتاب المشار إليه آنفاً، بمعنى أننا نقف على الخطأ لدى د. " مزهر "، ونقف على الخطأ عينه لدى الأستاذ " هلال ناجى ".

وهذا بيان بتخريجات كل شعر " الناشئ الأكبر" فى الطبعة المعتمدة لديهما لكتاب " المختار من شعر بشار" فى النشرتين:

م	رقم المقطعة عند		صفحة تخريجها فى المختار		الرقم الصحيح للصفحة فى كتاب المختار
	مزهر	ناجى	عند مزهر	عند ناجى	
١	٣	٤	١٢٧	١٢٧	١٢٧
٢	٢٩	٢٦	–	٢٤٣	٢٩٧
٣	٣١	٣٠	٤	٤	٤
٤	٣٨	٣٩	٣	٣	٣
٥	٥٠	٥٤	–	٢٤٦	٣٠٠
٦	٤٥	٥٨	٢٤٥	٢٤٥	٢٩٩
٧	٥٧	٥٦	١٥٥	١٥٥	١٥٥
٨	٥٨	٦٦	١٠	١٠	١٠
٩	٦٦	٧٥	٢١٧	٢١٧	٢٧١

فإذا نظرنا إلى المقطعة رقم (٤٥) عند د. " مزهر" وجدناها مخرجة على الصفحة رقم ٢٤٥ من كتاب " المختار"، وهذا خطأ سار عليه الأستاذ. " هلال "، فأثبت الرقم نفسه فى تخريج المقطعة نفسها، وهى عنده برقم (٥٨)، ورقم الصفحة الصحيح فى الطبعة المعتمدة هو ٢٩٩، وهذا بلا شك يدل على اعتماده على نشرة د. " مزهر".

وبالمثل أخطأ د." مزهر " فى تحديد رقم الصفحة فى تخريج المقطعة رقم (٦٦)، حيث حدده بأنه ٢١٧، وهذا خطأ سار عليه الأستاذ " هلال ناجى" أيضاً لاعتماده على نشرة د. " مزهر"، فأثبت الرقم نفسه فى تخريج هذه المقطعة التى أخذت عنده رقم (٧٥)، ورقم الصفحة الصحيح هو ٢٧١ .

أما المقطعة رقم (٥٠) لدى د." مزهر" فلم أجد لها تخريجاً على " المختار من شعر بشار"، ووجدت تخريجاً لها على هذا المصدر ص ٢٤٦ لدى الأستاذ " هلال ناجى"، وهى برقم (٥٤) عنده، ورجعت إلى الصفحة المذكورة فى الطبعة المعتمدة لكتاب " المختار من شعر بشار " فلم أجد المقطعة مذكورة فيها، ووجدتها مذكورة فى صفحة ٣٠٠، وعندما بحثت عن السبب فى ذلك وجدت أن محقق كتاب زهر الآداب ٥٣٠/١ خرج المقطعة على ص ٢٤٦ فى "كتاب المختار من شعر بشار"، واستند الأستاذ " هلال ناجى " على جهد هذا المحقق فى التخريج، فنقله – دون أن يرجع إلى المصدر الأصلى – على ما فيه من الوهم، أو الاعتماد على طبعة أخرى غير الطبعة المعتمدة فى جمع شعر "الناشئ الأكبر"، ولو رجع الأستاذ " هلال" بنفسه إلى المصدر الأصلى، وهو

كتاب "المختار من شعر بشار" فى الطبعة التى يخرج عليها لأدرك أن المقطعة ليست فى ص ٢٤٦ بل فى ص ٣٠٠ من الطبعة التى ذكرها فى قائمة مصادره فى نهاية الديوان، والتى اعتمد عليها فى تخريج كل شعر " الناشئ الأكبر "، أما وقد نقل تخريج هذه المقطعة على كتاب " المختار من شعر بشار" من المصدر الوسيط، وهو هامش "زهر الآداب" فكانت الأمانة العلمية تحتم عليه الإشارة إلى ذلك. إن وجود الخطأ فى تحديد رقم الصفحات فى تخريج بعض المقطعات على " كتاب " المختار من شعر بشار" فى نشرة د. " مزهر"، ووقوع الخطأ عينه فى نشرة الأستاذ " هلال ناجى" دليل دامغ على اعتماده على نشرة د. " مزهر".

(٢) أما الدليل الثانى على رجوع الأستاذ " هلال ناجى " إلى نشرة د . " مزهر " واعتماده عليها فيكمن فى سيره على الخطأ الذى وقع فيه د."مزهر" فى تحديد وزن النتفة التالية:

إن أَنتَ لم تُحدِث إليَّ يداً	حتى أقومَ بشُكرِ ما سلفا
لم أحظَ مِنكَ بنائلٍ أبداً	ورجعتُ بالحرمانِ مُنْصَرِفا

هذه النتفة تحمل رقم (٦٨) فى نشرة د. "مزهر"، ورقم (٧٧) فى نشرة الأستاذ. "هلال"، وحدَّد وزنها د. " مزهر " بأنها من السريع، وهذا خطأ، تَبِعَه فيه الأستاذ " هلال" لاعتماده على عمل د. " مزهر"، فعزا النتفة أيضاً إلى بحر السريع، والصواب أنها من الكامل.

(٣) ومن الأدلة على اعتماد الأستاذ " هلال " على عمل د. " مزهر " ما حدث فى تخريج الأرجوزة رقم (١٩) لدى الأستاذ " هلال "، فقد خرج مجموعة من أشطرها على كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار مطبوعاً ص ٢١٧، وهذا مخالف لما دأب عليه فى التخريج على هذا المصدر فى عمله بأسره، حيث كان يخرج عليه مخطوطاً، ولم يخرج عليه مطبوعاً إلا هذه الأرجوزة، ومعروف أن تخريج الشعر العارى النسبة فى المخطوطات لشاعر بعينه أمر فى غاية الصعوبة، وهذا يؤكد حقيقة مفادها أن الأستاذ. " هلال " اعتمد فى إتمام عمله على عمل د. " مزهر" حيث إن هذه الأرجوزة مخرجة فيه على مطبوع كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار ٣١٧ بلا نسبة، ورأى الأستاذ " هلال"أن الرجوع إلى هذا المصدر مخطوطاً لتخريجها عليه، يستهلك منه بعض الوقت والجهد فبادر إلى الرجوع إليه مطبوعاً مستفيداً من تخريج د. " مزهر "، ومما يعزز ما أذهب إليه أن الأستاذ. " هلال " كتب فى قائمة

مصادره بيانات هذا المصدر مخطوطاً، وفاته رصد بياناته مطبوعاً!.

(٤) ومن الأدلة على اعتماد الأستاذ " هلال ناجى" على نشرة د. " مزهر " حدوث تكرار فى نشرة د . "مزهر "بين نتفتين، ووقوع هذا التكرار أيضاً فى نشرة الأستاذ "هلال" دون أن يلفت نظره، فيشير إليه، هذا بالإضافة إلى وجود تماثل ظاهر فى الشرح بين النشرتين، كما فى شرح الأرجوزة المشار إليها آنفاً وشرح النتفة التالية، وهى تقع فى بيت واحد يحمل فى نشرة د. "مزهر " برقم (٣٤)، هو:

كأنَّ أطاريفَ الخِضَابِ بِكَفِّها ... فصوصُ عقيقٍ فوقَ قضبِ زَبَرْجَدِ

وشرح د. "مزهر " هذا البيت قائلاً: " أطارف: فى الأصل بالتاء (تطارف)، ولم أجدها فى المعجمات، والأطارف: النهايات ".

وهذه النتفة فى مجموع الأستاذ." هلال " برقم (٣٥)، وجاء شرحه لها هكذا: " فى الأصل (تطارف)، ولم أجدها فى المعاجم، والأطارف: النهايات، يقال: طرفت الجارية بنانها: إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء، وهى مطرفة ".

دعنا من التشابه الواضح فى التعقيب والشرح بين النشرتين، وهيا بنا لنقف على التكرار الحادث فى النشرتين، فالبيت السابق نقف عليه مكرراً فى نشرة د. " مزهر " ضمن نتفة برقم (١٠٥) مكونة من بيتين هما:

لنا قَـيْنَـةٌ تَرنُـو بنَاظِرتين ... بما في قُلوب النَّـاسِ عالمتينِ

تَخَالُ تَطاريفَ الخِضَابِ بكفِّها ... فُصُوصُ عَقِيقٍ فوقَ قضبِ لُجَينِ

فتكرار البيت الثانى واضح وإن تغيرت كلمة القافية فى المرة الثانية، وإذا كان هذا التكرار قد فات على د. " مزهر " فلا أرى سبباً فى فواته على الأستاذ " هلال " فى النتفة رقم (١٢١) دون الإشارة إليه إلا اعتماده على نشرة د. " مزهر ".

(٥) التشابه الملحوظ فى المنهج المتبع فى جمع النشرتين وتحقيقهما، وهذا التشابه يلمسه القارئ لأول وهلة فى الشرح، وفى ترتيب القصائد داخل الروى الواحد، أما الشرح فقد سقت عرضاً مثالاً له، وأسوق هنا مثالاً آخر ليتأكد لنا الأمر:

ذكر د. " مزهر فى شرح المقطعة رقم (٣٣) ما نصه: " باب الحديد: موضع فى الجانب الغربى من بغداد. الديارات ٢٤ قبرونيا: لم يذكر هذا الموضع فى كتب البلدان العربية القديمة، وقد يكون محرفاً من فبرونيا، وهى قديسة قتلت نحو سنة ٣٠٩هـ".

وشرح الأستاذ " هلال ناجى" المقطعة نفسها، وهى برقم (٣٦) فى مجموعه قائلاً:

" باب الحديد: موضع فى الجانب الغربى من بغداد. قبرونيا: لم يذكر هذا الموضع فى كتب البلدان العربية القديمة ".

فنلاحظ تشابهاً كبيراً بين الشرحين، ويؤكد ذلك أيضاً موافقة الأستاذ " هلال ناجى " للدكتور" مزهر" فى أن معاجم البلدان لم تتعرض لذكر قبرونيا. وليس الأمر كذلك، فقد ذكر " ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ " هذا الموضع فى كتابه معجم البلدان ٣٠٤/٤، فقال:قبرونيا: موضع أظنه من نواحى الجبل. أنشدنى أبى الثياب فى يوم مهرجان ابتداء قصيدة:

أقبرونيَا طلّتْ نَدَاكَ يَدُ الطَل وحيا الحَيا المشكورُ تالك من تلّ

إن مشايعة الأستاذ " هلال " للدكتور " مزهر" فى شرح" قبرونيا " على ما فيه النقص - كما أوضحت - تعد - بلا شك - أثراً من آثار اعتماده على نشرة د. "مزهر".

(٦) ومن الأدلة أيضاً على اعتماد الأستاذ " هلال ناجى " على نشرة د" مزهر السودانى" ذلك التوافق فى ترتيب القصائد والمقطعات داخل الروى الواحد فى النشرتين، حيث نجد تأخير الأستاذ "هلال ناجى" للأراجيز فى كل قافية، ولم يفعل ذلك فى جمعه وتحقيقه لشعر " الببغاء "، الذى ضمَّ عدداً غير قليل من الأراجيز، وما سلكه فى تأخير الأراجيز فى كل قافية هنا هو ما سلكه من قبله د." مزهر "، وهذا يؤكد اعتماده على" نشرة د . "مزهر".

مما لا ريب فيه أن الأمر قد بات جلياً أن الأستاذ " هلال ناجى" قد اعتمد على نشرة د. " مزهر "، ولست أدرى ما السر الكامن بعد ذلك وراء عدم تصريحه بجهد د."مزهر" الرائد فى جمع هذا الديوان، وعدم إقراره بالاعتماد عليه ؟.

ثانياً - ديوان " الناشئ الأكبر" بين نشرتين:

لن أقف أمام نشرتى شعر " الناشئ الأكبر " لأرصد ما انفردت به كل نشرة عن الثانية من زيادات فى التخريجات، أو ما أخلت به إحداهما ببعض الروايات التى نجدها فى النشرة الأخرى لأن ذلك أمر قليل الجدوى، وسأركز على ما هو أكثر أهمية فأقول: إن وجه الاختلاف بين النشرتين يظهر بصورة جلية فى عدد الأبيات والمقطعات على هذا النحو:

وجه المقارنـــة	نشرة د. مزهر	نشرة الأستاذ هلال
عدد الأبيات والأشطر	٥٨٦ بيتًا، ٣٧٤ شطرًا	٦٦٨ بيتًا، ٤٤١ شطرًا
عدد المقطعات	١١٤	١٣٥
ما انفردت به من مقطعات	٣	٢١
عدد المصادر	٥٢	١٠٤

وأقول من واقع هذه الإحصائية وبعد مقابلة النشرة الثانية على الأولى:إن نشرة الأستاذ " هلال" تتسم بسمات لا نجدها فى النشرة السابقة، أُجملُها فى النقاط التالية:

١- احتوت على كثير من شعر " الناشئ الأكبر "، فهى تربو على النشرة السابقة فى عدد أبياتها بـ (٨٣) بيتاً، و(٦٧) شطراً، وفى عدد مقطعاتها بـ (٢١) إحدى وعشرين مقطعة، أما ما انفردت به نشرة د. " مزهر "من عدد المقطعات فيقع فى مقطعة برقم (١٦)، ونتفتين برقم (٧)، ورقم (٦١)، وهى جميعها غير خالصة النسبة " للناشئ الأكبر " على ما سنذكر بعد ذلك، لذا بادر الأستاذ" هلال ناجى " إلى إسقاطها من نشرته ، وهذا ينتهى بنا إلى أن نقرر أن نشرة د . " مزهر السودانى " لم تنفرد ببيت واحد خالص النسبة للشاعر، لم يذكر فى نشرة الأستاذ " هلال "، وهذا يؤكد أيضاً اعتماد الأستاذ " هلال" على عمل د. " مزهر".

٢- استقصاء مصادر التخريج.

٣- الإحاطة برصد روايات الأبيات فى المصادر المختلفة.

٤- تنوع المصادر ووفرتها؛ لا سيما المخطوطة منها.

٥- الإشارة إلى طائفة من المقطعات المتدافعة، وقد أهمل د. " مزهر " الإشارة إلى تدافع هذه المقطعات، فهى عنده خالصة النسبة للشاعر، وسيأتى ذكر أرقامها تحت " ما يجب حذفه من شعر الناشئ الأكبر بنشرتيه ".

٦- المقدمة المستوعبة لأخبار" الناشئ الأكبر " ومصنفاته، ومذهبه العقدى، وموضوعات شعره، وإن كنت أضيف إليها تحت كون" الناشئ " ناقداً أن د. " محمد زغلول سلام " نشر فى مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود عام (١٩٧٨م) بحثاً بعنوان:" أبو العباس الناشئ وكتابه فى الشعر "، واحتل البحث من ص ١٧٣ - ١٩٦ . وأضيف إلى كون " الناشئ شاعراً فى آثار الدرسين " أن د. " على إبراهيم أبو زيد "

نشر كتاباً سنة(١٩٩٤م) فى دار المعارف بمصر بعنوان: " بناء القصيدة فى شعر الناشئ الأكبر "، ووقع هذا الكتاب فى ٢٨٤ صفحة.

وأضيف أيضاً إلى التعليق على المصنف رقم (٢) من مصنفات " الناشئ الأكبر" أن " أبا عبد الله الجيهانى" أحد وزراء الدولة السامانية فى بخارى فى القرن الرابع الهجرى كتب كتاباً عنوانه:" الزيادات على كتاب الناشئ من المقالات "، ذكر ذلك ياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء ٤/١٩٠-١٩٢ .

ثالثاً - ما يجب ضمه إلى ديوان الناشئ " الأكبر بنشرتيه:

رصدتُ آنفاً المحاولات التى بُذلتْ فى سبيل جمع شعر " الناشئ الأكبر "، وذكرت أن الأستاذ " كريم عويز " أعد رسالته للماجستير فيه دون أن يستطيع إضافة بيت واحد - حسب تصريح لجنة المناقشة - وأن الأستاذ "هلال ناجى" نهض باستدراك على عمله، نشره مرتين، جملته (٤) مقطعات، اشتملت على (٩) أبيات، ثبت لدىَّ أن منها نتفة ليست خالصة النسبة " للناشئ "، هى برقم (٤) فى المستدرك، ورقم (٩) فى هذا البحث تحت " ما يجب حذفه من ديوان الناشئ الأكبر بنشرتيه "، وهى فى بيتين، إذن يبقى من استدراك الأستاذ " هلال " (٧) أبيات خالصة النسبة " للناشئ "، واستدرك د."محمد حسين الأعرجى " من الدر الفريد ٢/١٣٨ بيتين على المقطعة رقم (٧٣) من مجموع الأستاذ " هلال ناجى" ونشرهما ضمن كتابه أوهام المحققين ١٣٣ .

وصرح الأستاذ " هلال ناجى " فى كتاب المستدرك على صناع الدواوين ص١/ ٣١٥ ط١، وص ٣٤٨/١ بأن حظ " الناشئ الأكبر " من الشعر الجديد الذى يستدرك على ديوانه ضئيل جدًّا، يتضح ذلك من قوله: "حظ الناشئ الأكبر من هذا الجديد كان نادراً جدًّا، بل معدوماً ".

وأقول: وعلى الرغم من تصريح الأستاذ السابق عثرت على (١٠) مقطعات، ضمت (٣٠) بيتاً خالصة النسبة " للناشئ الأكبر"، وقصيدة، ونتفة ضمتا (٩) أبيات، نسبت له ولغيره من الشعراء، لم ترد كل هذه الأبيات فيما نُشِرَ من شعر " الناشئ"، أو فيما استدرك عليه، وهذه الأبيات يجب ضمها إلى مجموع شعره، وها هى ذه:

(أ) ما خلصت نسبته إليه:

(١)

قال الناشئ الأكبر: [من الطويل]

ولما توافَقنَا غداةَ ودَاعِنَا ولم يبقَ إلاّ أنْ تزمَّ نَجَائبي

التخريج: ورد البيت فى التذكرة الفخرية ٢٠٩ بلا نسبة ضمن مقطعة صحيحة النسبة للناشئ الأكبر، وردت فى مجموع د. " مزهر" برقم (١٣)، ووردت فى مجموع الأستاذ " هلال ناجى " برقم (١٢)، وبناء على هذا يتأكد لنا أن البيت خالص النسبة للناشئ الأكبر، ويوضع فى مطلع المقطعة المشار إليها فى النشرتين.

(٢)

وقال: [من الرمل]

١ - قَومٌ إذا أخذُوا الأَقلامَ عَن غَضب ثم استَمَدُّوا بها مَاءَ المنيَّاتْ

٢- نَالُوا بها من أعاديهم وإن بَعُدُوا ما لم يَنَالُوا بحَدِّ المشْرَفِيَّاتْ

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى نثر النظم وحل العقد برواية: " عن غرض "، وورد فى نهاية الأرب برواية: " من غضب "، وورد فى زهر الأكم برواية: " عن قصب".

(٢) وورد البيت الثانى فى نثر النظم وحل العقد، وزهر الأكم برواية: " ما لا ينال ".

التخريج: الدر الفريد ٣٣٩/٤، وهما بلا نسبة فى الوافى بالوفيات ١٦٦/٧، وفيه:"كتب وزير المستظهر بالله إلى ملوك العجم عن الأمير لنفسه "، ووزير المستظهر بالله هذا اسمه " عبد الله بن جهير"، ويبدو أنه تمثل بهما، وليس أكثر من ذلك؛ لأن المستظهر بالله توفى عام (٥١٢هـ)؛ ولهذا الفارق الزمنى الكبير بين هذا التاريخ وبين وفاة " الناشئ الأكبر عام ٢٩٣هـ" أرجح نسبتهما " للناشئ "، و هما بلا نسبة فى نثر النظم وحل العقد ٩، ومرآة الجنان ٣٠/٤،ووفيات الأعيان٥٩/٣ ،ونهاية الأرب ٢٥/٧، وزهر الأكم ٢٢٥/٢ .

(٣)

قال: [من الطويل]

فـإنْ تكنِ الأيامُ خَـانَتْ فَـرُبَّمَـا أَرَتْنَا زِمَامَ الحُرِّ في قَبْضَةِ العَبْدِ

التخريج: البصائر والذخائر ١١٠/٩

(٤)

وقال: [من الوافر]

١ - وَقَالُوا البخْلُ خِدْنُ الحَزْمِ جَهْلاً وَهَلْ في الأَرْضِ أَحْزَمُ مِنْ جَوَادِ

٢- يبيعُ قَليل مَـا يَفْنَـى وَشيكاً بمَـا يَبْقَى إلى يَـوْمِ المعَـادِ

التخريج: الدر الفريد ٥/٢٩١ .

(٥)

وقال: [من الطويل]

١-لَعَمْرِي لَقَدْ صَادَتْ فُؤَادِي غَرِيـرَةٌ هِيَ الشَّمْسُ بَلْ أَضْوا مِنَ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ
٢- فِـدىً لك نَفْـسي لوْ مَنَنْتِ بِزَوْرَةٍ تَقَرُّ لها عيني وَأَشْـفِي لها صَـدْرِي
٣- سَلِي الليلَ عَنِّي كَمْ أُرَاعِي نُجُومَهُ فإنَّ الليَـالي يَطَّلعن علـى سِرِّي
٤- أبيتُ أُرَاعِي النَّجْـمَ فيكِ كَأَنَّمَا أُقَلِّبُ جَنْبِي في الفِرَاشِ عَلَى جَـمْرِ
٥- وَمِنْ شُؤْمِ جَـدِّي أَنَّ دَارِي قَرِيبةٌ وَمَا لِي سِوَى الإِعْـرَاضِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ

التخريج: تاريخ دمشق ٣٢/٢٨٦ .

(٦)

رئى الناشئ فى مسجد دمشق وقد خلع سراويله ليبيعه فقيل لو تعرضت لهؤلاء الملوك فقال: [من الطويل]

١- وإنِّي لأَرْضَى باليَسيرِ تَعَفُّفاً وَلِي هِمَّةٌ تَسْطُو عَلَى نُوَبِ الدَّهْرِ
٢- أُفَكِّرُ في بَيعِي قَبَائِي بِهِمَّتِي فَـأَرْتَاحُ مِن ذُلِّ السُّؤَالِ إلى الفَقْرِ
٣- مَخَافَةَ أَنْ أَلْقَى بَخِيلاً مُصَرَّداً يُثَمِّنُ لِي نَزْرَ العَطِيَّـةِ بِالشُّكْرِ

التخريج: تاريخ دمشق ٣٢/٢٨٧، ولعل هذه الأبيات وأبيات المقطعة السابقة من قصيدة واحدة.

(٧)

وقال: [من البسيط]

١- العَيْشُ فَان فَمَنْ عَدَّ الغِنَـى كَدَراً فَعَفَّ ثمّ اكتَفَى بالعَفْو مِنْهُ صَفَا
٢- أُشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَنْ تَهْوَى فَمَـا أَحَدٌ يَمْضِي فَيُدْرِكَ حَقًّا بَعْدَهُ خَـلَفَا
٣- واستَعْتِبِ الحُرَّ إِنْ أَنْكَرْتَ شِيمَتَه والحـرُّ يَسْتَـأْنِفُ العُتْبَى إذا أَنِفَا
٤- وَلَمْ تَجِـدْ مَنْ له في قَصْدِهِ سَبَقٌ إلاَّ وَجَـدْتَ لَهُ عَن حَظِّه جَنَـفَـا
٥- مَنْ ذَا الذي نالَ حَظّاً دُونَ صَاحِبِه يَوْماً وَأَنْصَفَـه في الوُدِّ أَوْ نَصَـفَا
٦- لا خيرَ في رَجُلٍ يُعْطِيكَ مُهْجَتَهُ حتَّى إذا أَعْجَبَتْـهُ حَالُهُ انحَرَفَا

التخريج:البصائر والذخائر ٩/١١،والأبيات ٢ ،٣ ،٥ فى الديوان تحت رقم(٧٣) عند ناجى ، ولم ترد عند مزهر .

(٨)

وقال: [من البسيط]

١- كلُّ النُّفوسِ لَهَا فى قَتْلِهَا قودٌ إلاَّ نُفُوساً أَبَادَتْهَا الدُّمَى القُتُلُ

٢- وَكُلُّ جُـرْحٍ له شَىءٌ يُلائِمُـهُ إلاَّ جُرُوحاً جَنَتْهَا الأَعْيُنُ النُّجُلُ

التخريج: تاريخ دمشق ٣٢/٣٩٠ .

(٩)

وقال: [من السريع]

١- مَنْ مَنعَ الحِكْمَـةَ أَرْبابَهَا أَصْبحَ في الحُكْمِ لَهُم ظالِمَا

٢- وواضعُ الحِكْمةِ في غَيْرِهم يَكونُ في الحُكْمِ لَهَا غَاشِما

٣- سَمِعتُ يوماً مثلاً سائراً وكُنْتُ في الشِّعْرِ لَهُ نَاظِمَا

٤- لا خيرَ في المَرْءِ إذَا ما غَدَا لا طالباً علماً ولا عَالِما

الرواية: (٣) ورد البيت الثالث فى تاريخ دمشق، ومعجم الأدباء برواية: " طلبت يوما... فكنت" .

(٤) وورد البيت الرابع فى المصدر السابق برواية: «إذا لم يكن»، وورد فى معجم الأدباء برواية: «لا طالب العلم».

التخريج:البيتان ٣ ،٤ له فى تاريخ دمشق ٣٢/٢٨٧ ، والأبيات فى العقد الفريد بلا نسبة ٢/٢١٥، وأنشد أبو الفضل الرياشى البيتين ٣ ،٤ فى معجم الأدباء ١/٦٩ ، وبنسبة البيتين ٣ ،٤ للناشئ الأكبر يتضح لنا أن الأبيات جميعها له لتعلقها بهما.

(١٠)

وقال: [من الطويل]

١- مُلِكْنَا (وَكُنَّا للمَمَالِيكِ) مَيْسَمَا وَدِنَّا وَكُنَّا للدِّيانَةِ مَوْسِمَا

التخريج: البصائر والذخائر ٩/١١، وفيه: " وكل المماليك "، ولعل الصواب ما أثبت .

(١١)

وقال: [من الكامل]

١- إنّي امْرُؤ أخْشَى (المَعائبَ) كُلَّهَا وَأرَى المرُوءةَ في اجْتِنَابِ المآثمِ
٢- والعَفْـوُ منِّي لِلْكِرَام سَجِيَّة لِيَبينَ فَضْلَ تَكَرُّمي وَتَحَلُّمي
٣- فَإذَا أضَرَّ بي اللئيـمُ جَزَيْتُهُ بِفَعَالِهِ والذَّنْبُ لِلْمُتَقَدِّمِ

التخريج: الإبانة عن سرقات المتنبى ١١٢، وفيه " أَخْشَى المَعايبَ "، والمقطعة فى هذا المصدر للناشئ فقط، ولم أجدها فى ديوان الناشئ الأصغر.

(ب) ما نسب إليه وإلى غيره:

(١)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١- ظباءٌ أعَارتها المَهَا حُسْنَ مَشيها كَمَا قَدْ أعَارتْها العُيونَ الجآذرُ
٢- فَمِنْ حُسْنِ ذاك المشْي جَاءَتْ فقبَّلَتْ مَوَاطِئَ من أقْدَامِهِنَّ الغدائرُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى ديوان الناشئ الأصغر هكذا: " أعارتها العيون " .

(٢) وورد البيت الثانى فى يتيمة الدهر، ومن غاب عنه المطرب، وخاص الخاص، وجمع الجواهر، والإعجاز والإيجاز برواية: " أقدامهن الضفائر " .

التخريج: هما للناشئ (دون تحديد للأصغر أو الأكبر) فى الدر الفريد ٤/٥٥، وعنه وردت فى ديوان الناشئ الأصغر ٢٧٦ ، ولأبى محمد المطرانى فى من غاب عنه المطرب ١٣٣، ويتيمة الدهر ٤/١١٨، وخاص الخاص ١٨١، والإعجاز والإيجاز ٢٤٣ - ٢٤٤، وسمط اللآلى ١/٥١٩، وتزيين الأسواق ٢/٢١٠، وزهر الآداب ٢/٥٩٦ ، وجمع الجواهر ٨٧ .

(٢)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١- لعمري لجوٌّ من جواءِ سُوَيْقة أسافلُه مَيثٌ وأعلاه أجْرَعُ
٢- أحبُّ إلينا أن نُجَاورَ أهلَه ويُصبحَ منَّا وهو مَرأى ومَسمَعُ
٣- منَ الجَوْسَق الملعُون بالرَّيِّ لا يَني على رأسهِ دَاعِي المنيَّةِ يَلْمَعُ
٤- يَقُولُون لي اصبراً فقلتُ لَطَالما صبرْتُ ولكنْ لا أرى الصَّبر ينفعُ
٥- فليتَ عَطائي كان قُسِّم بينهم وكان لي الصَّمَّانُ والحزنُ أجمعُ
٦- وكان لهم أجري هَنيئاً وأصبحتْ بيَ البازلُ الكوماءُ بالرَّمل تضبعُ
٧- أأجعلُ نَفْسِي عِدْلَ عِلْجٍ كأنَّمَا يَمُوتُ به كلبٌ إذا مَاتَ أَبْقعُ؟

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى ديوان الغَطَمَّشِ الضَّبى برواية: "طربت لجو من جواء سويقة "، وورد فى الأشباه والنظائر برواية: "جواء سويقة ".

(٢) وورد البيت الثانى فى ديوان الغطمش الضبى برواية:"أحب إلينا من جواء سويقة " وورد فى الأشباه والنظائر برواية:" نجاورَ أهلنا".

(٣) وورد البيت الثالث فى ديوان الغطمش الضبى برواية: "على الجوسق"

(٤) وورد البيت الرابع فى الأشباه والنظائر برواية: " يقولون لى اصبر واحتسبْ قلتُ طالما... ولكنْ ما أرى».

(٥) ورد البيت الخامس فى ديوان الغطمش الضبى برواية: " وظلت بى الوجناء فى الدو تضبع "، وورد فى الأشباه والنظائر برواية:

فيا ليت أجرى كان قُسِّم فيهمِ ومن دونىَ الصمّان والرَّملُ أجمعُ

(٦) وورد البيت السادس فى الأشباه والنظائر برواية:" فكان ...فى الرَّمل..."

التخريج: الأبيات للجدلى فى الحيوان ٢٦١/١ -٢٦٢، ومعروف أن الناشئ الأكبر يعرف بالجدلى، وهى لأعرابى فى الأشباه والنظائر ٣٢/٢ بزيادة بيتين بعد الأول، والثالث، والأبيات ١، ٥، ٢، ٣ على هذا الترتيب للغَطَمَّشِ الضبى فى ديوانه ضمن شعر ضبة وأخبارها ٢٤٤- ٢٤٥، وأرجح نسبتها إليه.

رابعاً - ما يجب حذفه من الديوان بنشرتيه:

سبق أن ذكرت أن د. " مزهر " جمع " للناشئ الأكبر " ١١٤ ما بين قصيدة ومقطعة، وانفرد مجموعه بثلاث مقطعات، إحداها برقم (٦)، والثانية برقم (١٦)، والثالثة برقم (٦١)، هذه المقطعات غير خالصة النسبة " للناشئ الأكبر"؛ فالأولى " المرقمة بـ (٧) لعبد الصمد بن عكاشة "، في التشبيهات ١١٦، و العقد الفريد ٧٤/٦، والأغاني ٢٦٠/٣، والمحب والمحبوب٢٣٥/١، ٢٩٠/٤، وزهر الآداب ٦٠٩/٢، ونهاية الأرب ١١٨/٥، ومعاهد التنصيص ١٣٦/٣ (الثاني منها فقط)، وبلا نسبة في الحماسة الشجرية ٨٧٣/٢، وشرح المقامات للشريشي ٤٠٦/١، والتذكرة الفخرية ٢٠٩، وثمة مصادر أخرى مذكورة في هامش المحب والمحبوب ٢٩٠/٤ . والثانية المرقمة بـ (١٦) للناشئ الأصغر، وليس الأكبر، كما ظن د." مزهر " لسببين؛ الأول منهما يكمن في تصريح الحصري القيرواني (ت ٤١٣ هـ) في زهر الآداب ٩٧٣/٢ بأن قائل هذه الأبيات معاصر له، والثاني يكمن في أنها في مدح "سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان"، ومعروف أن سيف الدولة ولد عام (٣٠٣هـ)، وتوفي عام (٣٥٦هـ)، والفارق الزمني بين ابن سيف الدولة وبين شاعرنا كبير لذا تأكد لدينا أن هذه المقطعة " للناشئ الأصغر"؛ وليست " للناشئ الأكبر ". والثالثة المرقمة بـ (٦١) هي للناشئ الأصغر أيضاً ، فهي له في ديوانه ٢٢٥ ضمن القصيدة الطائية التي صرح الشيخ " السماوي " أنها تنسب " للزاهي " أيضاً ، ومن ثم أسقط الأستاذ " هلال ناجي" هذه المقطعات الثلاث من نشرته، التي جاءت في (١٣٥) ما بين قصيدة ومقطعة، وأذكر هنا أن نشرته تلك انفردت بالنص على طائفة من المقطعات والقصائد المتدافعة التي نسبت " للناشئ " ولغيره من الشعراء، وها هي ذي أرقام المقطعات التي أشار الأستاذ " هلال" إلى كونها متدافعة، وموقف د. " مزهر " من تلك الإشارة:

م	رقم المقطعة عند		موقف مزهر من الإشارة
	هلال	مزهر	
١	٦	١٠	لم يشر
٢	٣٠	٣١	لم يشر
٣	٤٤	لم ترد	-
٤	٥١	٤٩	لم يشر
٥	٦٤	لم ترد	-
٦	٦٧	٥٩	لم يشر
٧	١١٧	١٠١	لم يشر

وأثبت هنا المقطعات التى أدرجت وهماً فى النشرتين على أنها خالصة النسبة "للناشئ الأكبر"، وليس الأمر كذلك ذاكراً أرقامها فى النشرتين أو فى إحداهما، إذا كانت قد انفردت بذكرها دون النشرة الأخرى، محاولاً إعادة تحقيق هذه المقطعات مع سرد رواياتها فى المصادر، وتخريجاتها، ونسبتها إلى أربابها ليأخذ دارس شعر "الناشئ الأكبر" حذره منها، فيحاول الابتعاد بقلمه عن دراستها، واستنباط أحكام على أساسها.

وقد ميزتُ المقطعات فى كل نشرة من النشرتين بوضع الحرف الأول من اسم جامعها ومحققها إثر رقم المقطعة، فوضعت حرف(الميم) إثر كل مقطعة أقصدها عند د. "مزهر السودانى"، ووضعت حرف (الهاء) إثر كل مقطعة أقصدها عند الأستاذ "هلال ناجى"، وهكذا سرت فى السطور التالية:

(١)

المقطعة رقم (٢٣م)، ورقم (٢٢هـ)، وهى: [من الكامل]

١- راحٌ إذا عَلَتِ الأكفَّ كؤوسُها فكَأنَّها من دونِهَا في الرَّاحِ
٢- وكأنَّما الكاساتُ ممّا حَولها من نورها يَسبَحنَ في ضَحضاحِ
٣- لو بُثَّ في غَسَقِ الظلام شُعاعُها طلعَ المساءُ بغُرَّةِ الإصْبَاحِ
٤- نَفَضَتْ عَلَى الأجْسَام ناصعَ لَوْنِها وَسَرَتْ بلذَّتِها إلى الأرواحِ

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى ديوان الصنوبرى برواية: " ومدامة علت "، وورد فى التذكرة الفخرية برواية: " بالراح ".

(٢) وورد البيت الثانى فيه برواية: " فيما بيننا ".

(٣) وورد البيت الثالث فيه برواية: " طلع الصباح "، وورد فى التذكرة الفخرية برواية: " الظلام ضياؤها ".

(٤) وورد البيت الرابع فى ديوان المعانى برواية: " نفضت على الأيام حمرة لونها"، وورد فى التذكرة الفخرية برواية: " صبغة لونها ".

التعقيب: تم إدراج هذه المقطعة فى مجموع شعر الناشئ الأكبر بنشرتيه على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك؛ فهى للصنوبرى فى ديوانه ٤٦٩، وزد على تخريجه: التذكرة الفخرية ١٩٨ بلا نسبة، والبيت الرابع لبعض المحدثين فى ديوان المعانى١/٣١٩، وهى فى ديوان الناشئ الأصغر ٢٨٨ - ٢٨٩ ضمن ما نسب للشاعر ولغيره.

(٢)

النتفة رقم (٢٤م)، ورقم (٢٥هـ)، وهى: [من الوافر]

خُلِقتَ كما أرادتكَ المَعَالِي فأنتَ لِمَن رجاكَ كما يريدُ

التعقيب: تم إدراج هذا البيت فى نشرتى شعر الناشئ الأكبر اعتماداً على زهر الآداب ٥٨٥/٢ . قلت: حدث تحريف فى زهر الآداب؛ حيث حرف اسم النامى إلى الناشئ، لذا يلزم حذف هذا البيت من النشرتين لأنه خالص النسبة لأبى العباس النامى، فهو له فى ديوانه ص ٥٦ من قصيدة فى عشرة أبيات، وانظر ما به من مصادر.

(٣)

القصيدة رقم (٢٦م)، ورقم (٢٧هـ)، وهى: [من البسيط]

١- فلو شَهِدْتَ مقـاماتي وأَنديـتي يومَ الخِصَام وماءُ المـوت يَطَّـرِدُ
٢- في فتيةٍ لم يلاق الناسُ مذ وُجِـدُوا لهم شبيهاً ولا يُلْـفَوْن إن فُقِـدوا
٣- مُجَاوِرُو الفضل أفلاكُ العُلا سُبُلُ الـ تقوى مَحلُّ الهُدَى عُمد النُّهى الوُطُدُ
٤- كأَنَّهم في صُدور النَّاس أفئدةٌ تحسُّ ما أخطئوا فيها وما عَمَدُوا
٥- يُبْدون للناس ما تُخْفِي ضَمَائرُهم كَأَنَّهم وَجَدوا منها الذي وَجَـدُوا
٦- دَلُّوا على باطِنِ الدنيا بظاهِـرها وَعِلْم مَا غابَ عنهم بالذي شَهِدُوا
٧- مطالع الحَقِّ ما مِنْ شُبْهَةٍ غَسَقَتْ إلاَّ وَمِنْهمْ لـدَيْهـا كـوكـبٌ يَـقِـدُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى ديوان ابن الرومى برواية: " مقامى ثم أنديتى ".

(٢) ورد البيت الثانى فيه برواية: " إذا وجدوا... يلفون ".

(٤) ورد البيت الرابع فيه برواية: " تحسن ما أخطأوا ".

التعقيب: أدرجت هذه القصيدة فى نشرتى شعر الناشئ الأكبر على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فيلزم إخراجها مما خلصت نسبتها إليه؛ لأنها لابن الرومى فى ديوانه ٨٠٨/٢ .

(٤)

النتفة رقم (٣٧هـ)، ولم ترد عند د. مزهر، وهى: [من الطويل]

١- لدى إقحواناتٍ حففنَ بناصع من الوردِ مُخضَرِّ الغصون نضيدِ
٢- تمَلّيها أَيْدِي الصَّبا فَكَأَنَّها ثغورٌ هَـوَت شوقاً لعضِّ خُدُودِ

الرواية:(١) ورد البيت الأول فى نهاية الأرب برواية: " يفطن بناضر... محمر الثياب نضيد "

(٢) ورد البيت الثانى فيه برواية:" إذا الريح هزتها توهمت إنها ● هوت قصداً..."

التعقيب: أدرج الأستاذ هلال ناجى هذه النتفة فى مجموع شعر الناشئ الأكبر اعتماداً على الحماسة الشجرية ٢/٧٦٢، وأنوار الربيع ٥/٢٠٧- ٢٠٨ . قلت ينبغى إخراجها مما خلصت نسبته للناشئ الأكبر فى هذه النشرة، على الرغم من نسبتها إليه أيضاً فى التذكرة الفخرية ٢٣٨؛ لأنها للواسطى فى المحب والمحبوب ٣/٩٧ .

(٥)

القصيدة رقم (٥٧هـ) ولم ترد عند د. " مزهر "، وهى: [من مجزوء الرجز]

١- قلتُ لها لا تُكثرى ● خُذى فُؤادِى أو ذَرى
٢- حبُّكِ ما فَارقَنِى ● فى سَفَرى أوْ حَضَرى
٣- فليتَ شعرى ما الذى ● عندك؟قالتْ لى: حرى
٤- قُلْتُ: فَهَاتِيه إذاً ● قالتْ نَعَم فى السَّحَر
٥- فلمْ أزلْ فى لَيْلَتى ● مُغْتَبِطاً بالنَّظَر
٦- حِرٌ كبيرٌ أملسٌ ● فى حُسن وَجهِ الخزَر
٧- لم تَرَ عينى مِثلَهُ ● إلاَّ حِرَ أُمِّ "البُحتُرى

التعقيب: أدرج الأستاذ " هلال ناجى " هذه النتفة فى مجموع شعر الناشئ الأكبر اعتماداً على البصائر والذخائر ٣/٨٣ . قلت: رجعت إلى هذا المصدر ٦/٥٧ طبعة د. وداد القاضى، وهى الطبعة العلمية المعتمدة فألفيت أن المقطعة فيه ليست منسوبة للناشئ الأكبر، بل منسوبة لابن النقاش، لذا يلزم إخراجها مما خلصت نسبته للشاعر.

(٦)

المقطعة رقم (١٠٦ هـ)، ولم ترد عند د. " مزهر "، وهى: [من الطويل]

١- إذَا كَانَ دُونِي مَنْ بُليتُ بجَهْلِه ● أَبَيتُ لِنَفْسِي أَنْ أُقَابَلَ بالجَهْلِ
٢- وإنْ كُنتُ أَدْنَى مِنْه في الحِلْمِ وَالحِجَى ● عَرَفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ وَالفَضْلِ
٣- وإن كان مِثْلِي في محلٍّ من الحجى ● أَرَدْتُ لِنَفْسِي أَنْ أجَلَّ عن المِثْلِ

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى العقد الفريد برواية: " أن تقارع بالجهل ".

(٢) وورد البيت الثانى فى العقد الفريد برواية: " منه قدراً ومنصباً "، وورد فى الجليس والأنيس برواية: " فى الفضل والحجى... فإن له حق التقدم "، وورد فى الغرر والعرر برواية:" أدنى منه فى العلم...." وورد فى الدر الفريد برواية: " فى الفضل والحجى".

(٣) وورد البيت الثالث فى ديوان ابن شبل البغدادى برواية:" مِثلِى فى الفَطَانَة وَالحِجَى"

التعقيب:أدرج الأستاذ " هلال ناجى " هذه المقطعة فى ديوان " الناشئ الأكبر "، وخرجها على مصدر واحد، ويضاف إلى تخريجها:هى للناشئ الأكبر فى الدر الفريد ٢٨/٢، وقال مؤلفه: " وتروى لزين العابدين على بن الحسين، وهى فى الغرر والعرر للناشئ (فقط) ٣٧٣، وعلى الرغم من ذلك أقول: يلزم حذفها مما خلصت نسبته "للناشئ "، فقد أنشدها النضر بن شميل (ت٢٠٤ هـ) فى الجليس والأنيس ٤١٣/٢ فى ثلاثة أبيات منها بيت، ورد بعد الأول ولم يرد هنا، هذا البيت هو:

وَإِنْ كَانَ مِثْلِى فى مَحَلى من العُلاَ هَوَيْتُ إذاً حِلْماً وصفحاً عن المثل

وهى بلا نسبة فى العقد الفريد ٢٨٣/٣ بزيادة بيت، هو:

وَإِنْ كَانَ مِثْلِى ثم جاء بزلةٍ هويتُ لصفحى أن يضاف إلى العَدْلِ

والمقطعة للناشئ الأصغر فى ديوانه ٢٩٤ (ضمن ما نسب إليه وإلى غيره)، وهى لابن شبل البغدادى فى ديوانه ١٣١، وانظر فى ذلك تعقيبنا واستدراكنا على هذا الديوان، وهى فى ديوانه أيضاً بتحقيقنا - تحت الطبع - ضمن ما نسب إليه وإلى غيره، وفيه استقصاء للتخريج والروايات.

(٧)

النتفة رقم (٩٧م)، ورقم (١١١هـ)، وهى: [من الطويل]

١- رأيتَ على أكوارِنا كلَّ ماجدٍ يَرَى كلَّ ما يُفنى من المالِ مَغْنَما

٢- نُدوِّمُ أسيافاً ونعلو قواضباً وننقضُّ عقباناً ونطلعُ أَنْجُمَا

الرواية: (١) ورد البيت الأول فى يتيمة الدهر، والبديع، ومعاهد التنصيص برواية: " كل ما يبقى من المال مغرما"

(٢) وورد البيت الثانى فى يتيمة الدهر برواية:" ونعلو عواليا "،وورد فى البديع برواية " ونعلو أسنة ".

التعقيب: يلزم حذف هذه النتفة مما خلصت نسبته للناشئ الأكبر بنشرتيه؛ لأنها خالصة النسبة لإسماعيل الشاشى، فهى له فى يتيمة الدهر ٣/٣٨٩، ومعاهد التنصيص ١/٨٣، وبلا نسبة فى بديع ابن منقذ ٦٣، وهى للناشئ الأصغر فى ديوانه ٢٩٥ ضمن ما نسب إليه وإلى غيره.

(٨)

النتفة رقم (١١٩هـ)، ولم ترد عند د. " مزهر " وهى : [من الطويل]

وجُودُ الغِنَى أن لا تكاثِرَ فى الغِنَى ونيلُ الغِنَى أن لا تُفَكِّرَ فى الغِنَى

الرواية: (١) ورد البيت فى يتيمة الدهر برواية:

وجُودُ المنَى أن لا يُكَاثَرَ بالمنَى ونيـلُ المنَى أن لا يُكَاثَرَ بالغِنَـى

التعقيب: أدرج الأستاذ هلال ناجى هذه النتفة فى مجموع شعر الناشئ الأكبر اعتماداً على كتاب الذخائر والأعلاق ١٨١ . قلت يلزم حذف هذا البيت من نشرته؛ لأنه لابن جنى فى يتيمة الدهر ١/١٢٥ .

(٩)

النتفة رقم (٤) من كتاب المستدرك على صناع الدواوين ص١/ ٣١٦ط ١، ص١/٣٤٩ط٢ : [من المتقارب]

بلوتُ الليالي فلمْ يتَّزِنْ بأدنى الإساءَةِ إحسانُها

فلا تحمِدَنْها على وصْلِها ففي نَفَسِ الوصْلِ هجرانُها

التعقيب: أدرج الأستاذ " هلال ناجى " هذه النتفة فى استدراكه على ديوان الناشئ الأكبر وخرجها على مخطوطة المنتخل للميكالى.

قلت:رجعت إلى مطبوع هذا الكتاب فوجدت النتفة فيه" للشاشى"، وقرأ الأستاذ "هلال" هذا الاسم على أنه " الناشئ "، لذا يلزم إخراج هذه النتفة من شعر" الناشئ الأكبر"؛ لأنها ليست خالصة النسبة إليه ، فهى " لإسماعيل الشاشى" فى يتيمة الدهر ٣/٣٩١ ، وخاص الخاص ١٩٦- ١٩٧، ولباب الآداب للثعالبى٢/١١٩ ، والمنتخل٢/٥٣٨

(١٠)

النتفة رقم (١٢٨ هـ) ولم ترد عند د. " مزهر " ،وهى : [من الخفيف]

١- إنَّمَا مجلسُ النَّدَامَى بسَاطٌ لـلأحـاديثِ بَيْنَهم بَسَطُوهُ

٢- فإذا ما انقضَىَ الشرابُ وَقَامُوا لانصـرافٍ من فَـوْقِـه رَفَـعُوهُ

الرواية:(١) ورد البيت الأول فى فصول التماثيل برواية: " مجلس الشراب "، وورد فى نور الطرف ونور الظرف، وجمع الجواهر، وزهر الآداب، والوافى بالوفيات، ومستوفى الدواوين برواية:" الشراب... للمودات بينهم وضعوه»

التعقيب: يلزم إخراج هذه النتفة مما خلصت نسبته للناشئ الأكبر؛ لأن فى نسبتها اختلافاً كبيراً، فهى لأبى حفص الشطرنجى فى قطب السرور٣١٦ . وفى معجم الأدباء ١٠١/٢، والغرر والعرر ٢٧٩، والوافى بالوفيات ١٦٦/٦ أن المأمون وقَّع بها، ويروى البيت الأول للناشئ فى نور الطرف ونور الظرف ٢٧٩ ضمن مقطعة، وهى بلا نسبة فى فصول التماثيل ٢٢٧، وزهر الآداب ٤٤٩/١، وجمع الجواهر ٧٥، ومستوفى الدواوين ١٠٩/٣، والأبيات كما وردت فى نور الطرف ونور الظرف هى:

١- ولقد قلتُ للأخلاَّءِ يوماً قولَ ساعٍ بالنُّصحِ لو سَمِعوهُ

٢- إنما مَجلِسُ الشرابِ بِساطٌ للموداتِ بينهم وضَعُوهُ

٣- فإذا ما انتهَوا إلى ما أَرادُوا من نَعِيمٍ ولذَّةٍ رَفَعُوهُ

٤- وهمُ أحْرياءُ، إنْ كان منهمْ حافظٌ، ما أتَوْه أن يمنعوهُ

والجدير بالذكر أن فى المصادر المذكورة اختلافاً ملموساً فى رواية كثير من ألفاظ الأبيات.

ويبقى أمر فى غاية الأهمية، لابد من الإشارة إليه، وهو من الخطورة بمكان، بحيث لا يمكن التغاضى عن ذكره، يكمن هذا الأمر فى أن جامعَيْ شعر " الناشئ الأكبر "تسامحا كثيراً فى جمع شعره؛ حيث جمعا بعض النتف من المصادر على أنها " للناشئ الأكبر "، وبعد رجوعنا إلى تلك المصادر ألفينا أنها غير منسوبة " للناشئ الأكبر " حصراً، وإنما وجدناها منسوبة " للناشئ " فقط دون إفصاح من مؤلفيها عما إذا كانوا يقصدون " الناشئ الأكبر " ، أو " الناشئ الأصغر " ، وسوف أزجى على ذلك بعض الأمثلة :

(١) الرجز التالى أورده د. " مزهر السودانى " فى نشرته برقم (٦٢)، والأستاذ "هلال ناجى " فى مجموعه برقم (٦٩) على أنه خالص النسبة " للناشئ الأكبر "، والرجز هو:

مثل دعاءٍ مُستجابٍ إن علا أو كدعاءٍ نازلٍ إذا هبط

وخرجاه على محاضرات الأدباء فقط، وبرجوعنا إلى هذا المصدر ألفينا أنه فيه

للناشئ فقط دون تمييز، وبرجوعنا لديوان " الناشئ الأصغر " وجدنا الرجز فيه فى ص٢٧٧ منفرداً فى نتفة مستقلة، ويبدو أنه من قصيدة الناشئ الأصغر الطائية الشهيرة المذكورة فى ديوانه ٢٢٤ - ٢٢٨ والتى أفصح الشيخ السماوى - رحمه الله تعالى - عن نسبتها أيضاً إلى " الزاهى "، وقد أشار إلى ذلك د. " عبد المجيد الإسداوى "، وهو بصدد تحقيقه لديوان " الناشئ الأصغر "، وأرجح نسبة الرجز "للناشئ الأصغر".

(٢) النتفتان المرقمتان برقم(١١١،١١٠) عند د . " مزهر "، ورقم (١٢٩، ١٣٠) عند الأستاذ " هلال"، وتقع الأولى فى بيت واحد، وتقع الثانية فى ثلاثة أبيات، تشتركان فى روى واحد، ووزن واحد، والأولى هى:

ما فى البريةِ أَخْزَى عندَ فاطرِها ممَّن يقولُ بإجبارٍ وتشبيه

ومطلع المقطعة الثانية هو:

لو كان للهِ شبه من خَليقته كانت دلائله من خلقه فيه

جمع المحققان هاتين النتفتين من كتاب البدء والتاريخ، وبرجوعنا إليه وجدنا النتفتين فيه " للناشئ " فقط، وبرجوعنا إلى ديوان الناشئ الأصغر ص ٢٦٤ وجدنا فيه قصيدة طويلة على وزن وقافية وموضوع هاتين المقطعتين، وردت هذه القصيدة فى الأصل المخطوط " لديوان الناشئ الأصغر "، قالها فى مجادلة مجبر، وعلى هذا الأساس أرجح نسبتهما " للناشئ الأصغر "، وأقول بلزوم حذفهما مما خلصت نسبته "للناشئ الأكبر".

ولم يتوقف الأمر عند حد هذه النتف فقط، فهناك نتف كثيرة نسبت " للناشئ " فقط دون تمييز فى المصادر، نجد هذه النتف فى النشرتين على أنها " للناشئ الأكبر "، وهذه النتف كانت تستلزم وقفة متأنية من المحققيْن للتأكد من نسبتها " للناشئ الأكبر"، وإزجاء الأدلة على ذلك، أو وضعها فى قسم خاص تحت عنوان " ما نسب للناشئ الأكبر ولغيره من الشعراء "، وهذه النتف تحمل فى النشرتين الأرقام التالية: (٨هـ)، (١١م، ١٣هـ)، (٣٤م، ٣٥هـ)، (٥٣م، ٥٢هـ) ، (٢م ،٨١هـ) ، (٧٨م ،٩٠هـ) ، (١٠٢م ،١١٨هـ) ، (١٠٥م ،١٢١هـ) ، (١٠٦م ،١٢٧هـ) .

خامساً: رصد ما لم يرصد من روايات الأبيات:

لم تستوعب نشرتا د." مزهر السودانى "، والأستاذ " هلال ناجى " لشعر" الناشئ الأكبر" كل الروايات التى ذكرتها المصادر التى روت أشعاره، وفى الثبت التالى روايات

لم تثبت فى النشرتين لطائفة من الأبيات، أثبتها هنا إتماماً للتحقيق، وتطلعاً إلى تزويد الباحث والقارئ بروايات أخرى للأبيات، لعل فيها فائدة للشعر والشاعر:

القصيدة رقم (٥ م)، ورقم (٢هـ): ورد البيت الرابع منها فى التذكرة الفخرية ١٩٨ برواية: " لرقة جسمها "، وورد البيت السابع فيه برواية: " يودى به "، وورد البيت الثامن فيه برواية: " ودواؤها من دائها ".

المقطعة رقم (٨م)، ورقم (٥هـ): ورد البيت الأول فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٠٣ برواية: " ومراقبين تكاتمان ..قد لذ بينهما "، وورد البيت الثانى فيه برواية: " يتناقلان السر " ، وورد البيت الثالث فيه برواية : " فإذا سهت عين الرقيب تسالبت *عيناها..." ، وورد البيت الخامس فيه برواية : " تجنى لها من كفه " .

المقطعة رقم (١٠م)، ورقم (٦هـ): تكرر صدر البيت الثانى مكان صدر البيت الثالث فى، وورد البيت الأول فى الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى ٤١٤/٢، ومرآة الجنان ٢٥١/٢ برواية: " الصديق تجنباً "، وورد البيت الثانى فى الجليس والأنيس برواية:" وأراه إن عاقبته..فيكون تركى للعتاب..." ، وورد البيت الثالث فيه برواية : " وإذا بليت بجاهل متحكم " * يجد المحال من الأمور صوابا "، وورد فى مرآة الجنان برواية : "بجاهل متغافل ... يدعو المحال من الأمور صوابا "، وورد البيت الثالث فى الغرر والعرر ١٢٥ برواية:" بجاهل متهكم ... يدعو المحال من الأمور صوابا "، وورد البيت الرابع فيه وفى ديوان الناشئ الأصغر ٢٨٦ ، وتتمة اليتيمة ٨٦/١ ، والغرر والعرر برواية : " عن الجواب " .

القصيدة رقم (١٢م)، ورقم (١١هـ): هذه القصيدة فى ٧٧ بيتاً، وتراجع رواياتها على الإنباه على قبائل الرواة ٢١– ٢٥، وتهذيب الكمال ١٧٧/١ .

المقطعة رقم (١٣م)، ورقم (١٢هـ): ورد البيت الأول منها فى تاريخ دمشق ٣٩٠/٣٢ برواية: "البين جد جده "، وورد البيت الثانى منها فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٠٣ برواية: " غلة..يعجن ...الكتائب "، وورد فى التذكرة الفخرية ٢٠٩ برواية: "طلبنا من الركب المجدين عوجة "، وورد البيت الثالث فى تاريخ دمشق ، والتذكرة الفخرية برواية : " توافقنا كتبن " .

النتفة رقم (١٧) فى النشرتين: ورد البيت الأول منها فى المحب والمحبوب ١٠٠/٣ برواية: " عن كثب "، وورد فى شرح المقامات للشريشى ١٠٦/١برواية:" من كثب".

القصيدة رقم (٢٢م) ورقم (٢١هـ):ورد بيتها الأخير فى الأفضليات ١٦٢ برواية: "فتاحا " .

النتفة رقم (٢٧م)، ورقم (٢٤هـ): ورد البيت الأول منها فى الأمالى الخميسية ١٣٤/٢، وتاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢ برواية: " فما خلدوا " .

النتفة رقم (٢٩م)، ورقم (٢٦هـ): ورد البيت الأول منها فى المصون فى سر الهوى المكنون ٦٦ برواية: " من جد "

النتفة رقم (٢٨) فى النشرتين: ورد البيت الأول منها فى تاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢ برواية: " حل شهوة"

المقطعة رقم (٣٠م)، ورقم (٢٩هـ): ورد البيت الثانى منها فى نور الطرف ونور الظرف ٣٥٨ برواية: " من الحجال وغيدا "، وورد فى مستوفى الدواوين ١٩٧/١ برواية: " بحسنها من ....الحجال " .

المقطعة رقم (٣٢م)، ورقم (٣١هـ): البيت الأخير فى صبح الأعشى ٣٧١/١ برواية: " تخلط " .

المقطعة رقم (٣٣م)، ورقم (٣٦هـ): ورد البيت الخامس منها فى العمدة ٨٧/١ برواية: صدغه ضد خده مثل...إذا ما اعتبرت ...." .

المقطعة رقم (٤٦م)، ورقم (٤٩هـ): ورد البيت الثانى منها فى تاريخ دمشق ٣٨٦/٣٢ برواية: "بقدره * بسطت فكان العذل "، وورد البيت الثالث فى العقد الفريد ٢/, ٢٩٤.

النتفة رقم (٥٠هـ) فقط:ورد البيت الأول منها فى الدر الفريد ١٠٦/٣ برواية:" أو فرحة".

المقطعة رقم (٤٩م)، ورقم (٥١هـ): ورد البيت الأول فى ديوان النامى ٥٩، وديوان ابن رشيق ٧٩ برواية: " هل للمزن "، وورد فى نور الطرف ونور الظرف ١١٢ برواية: "مهجة عاشق "، وورد البيت الثانى فى ديوان النامى برواية: " وكاللؤلؤ المبتول "، وورد البيت الثالث فى ديوان النامى، ونور الطرف ونور الظرف برواية: "من خزور "، وورد فى معاهد التنصيص ٢١٠/٢ برواية: " وشياً من خزور "، وورد صدر البيت الرابع فى ديوان ابن رشيق القيروانى برواية: " ترقرق دمعاً فى خدود توشحت "، وورد البيت الخامس فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٩٢ برواية: " ونقش بلا يد " .

المقطعة رقم (٥١م)، ورقم (٥٣هـ):ورد البيت الأول منها فى الدر الفريد ٣٦٢/٢ برواية: " فى الأفكار "، وورد البيت الثالث منها فيه برواية: " مطمع ".

النتفة رقم (٥٠م)، ورقم (٥٤هـ):ورد البيت الأول منها فى نور الطرف ونور الظرف برواية: " لفقد الديار "، وورد فى المستطرف ٧٩/٣ برواية: " بكاء المحب ".

المقطعة رقم (٤٥م)، ورقم (٥٨هـ):ورد البيت الرابع منها فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٥٩ برواية:" صائنات"

المقطعة رقم (٥٩م)، ورقم (٦٧هـ): ورد البيت الثانى منها فى المحب والمحبوب ١٧٣/٤ برواية: " حين تمزجها ... نجوم ليل تعلو..." .

المقطعة رقم (٧٣هـ) فقط:صحح روايات بعض ألفاظها د." محمد حسين الأعرجى " فى كتابه: " أوهام المحققين " ص ١٣٣ .

المقطعة رقم (٦٦م)، ورقم (٧٥هـ):ورد البيت الأول منها فى المصون فى سر الهوى المكنون ٥٣ برواية:" ما تولى * إلا أقر له بالعجز معترفا "، وورد البيت الثالث فيه برواية: "على غصن ".

القصيدة رقم (٧٠م)، ورقم (٧٩هـ): ورد البيت الثالث منها فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٩٦ برواية:" جنى قطوفه ".

المقطعة رقم (٨٠م)، ورقم (٩٢هـ):ورد البيت الأول منها فى تاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢ برواية: " أنصفوك "، وورد البيت الرابع منها فيه برواية: " وهم جعلوك رقيباً.

النتفة رقم (١٢٢هـ) فقط:ورد البيت الأول منها فى حسن المحاضرة ٣٦١/٢ برواية: " حملن عقائقاً "، وورد البيت الثالث فيه برواية: " دمع القطر فى أهدابه "، وورد فى المحب والمحبوب ٩٥/٣ برواية: " كحل مرته ".

القصيدة رقم (١٠٧م)، ورقم (١٢٦هـ): ورد البيت الأول منها فى نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار٥٠٣ برواية: " وشدت "، وورد البيت الثالث منها فيه برواية: "وحصلت بين مجمة "، وورد البيت الثامن منها فيه برواية: " برصينه ونفيسه وخصصته".

النتفة رقم (١١٠م)، ورقم (١٢٩هـ): وردت فى باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل ٥٤ برواية:" ممن يدين ".

المقطعة رقم (١١٢م)، ورقم (١٣١هـ): ورد البيت الأول منها فى العقد الفريد

٢١٨/٢ برواية: " شادن ما فى يديه ما يدعيه "، وورد البيت الثانى منها فيه برواية: " إذا قلل الدعاوى "، وورد البيت الثالث فيه برواية: " بحسب الذى ادعى ما عداه "، وورد البيت الرابع فيه برواية: " ومحك الفتى .... للناس ".

النتفة رقم (١٣٣هـ) فقط: ورد البيت الثانى منها فى المحب والمحبوب ١٨٧/٤ برواية:" كأنها نار"

سادساً - استقصاء مصادر التخريج:

استقصاء مصادر تخريج الأشعار أحد الأمور الرئيسة فى جمع وتحقيق الدواوين ذات الأصول الضائعة، ولهذا الاستقصاء قيمة عظيمة فى دراسة الشعر العربى، إذ يدل دلالة قوية على مكانة الشاعر، ومنزلته الفنية من خلال تهافت الرواة على رواية أشعاره، كما يفصح عن اتجاهه الشعرى، ويعبد السبيل أمام دارس شعر هذا الشاعر، لأن فيه ذكراً للمصادر، وتحديداً لأماكن الشعر فيها، ومن ثم يسهل عليه الرجوع إليه لإدراك ما قد يكون فى المصادر من تعليقات نقدية، هذا فضلاً عن كون استقصاء التخريج يزيد فى توثيق الشعر، لذا كانت أهميته عظيمة فى العملية التحقيقية، وانطلاقاً من هذه الأهمية بادرت إلى استقصاء تخريج طائفة من أبيات " الناشئ الأكبر "،وهذا ثبت ضمنته من التخريجات ما لم تتضمنه نشرتا ديوانه .

القصيدة رقم (٥ م)، ورقم (٢هـ): وردت الأبيات ١ ،٢ ،٤ ،٧ ،٨ منسوبة للناشئ الأكبر فى التذكرة الفخرية ١٩٨

المقطعة رقم (٨م)، ورقم (٥هـ): للناشئ فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٠٢، وللناشئ الأصغر فى ديوانه ٢٨٤ ضمن ما نسب إليه وإلى غيره من الشعراء.

المقطعة رقم (١٠م)، ورقم (٦هـ): له فى تاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢، ولأبى مسلم الجهنى فى تتمة اليتيمة ٨٦/١، وللناشئ الأصغر فى مرآة الجنان ٢٥١/٢، وهى بلا نسبة فى الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى ٤١٤/٢، والبيتان ٣ ،٤ منها بلا نسبة فى الغرر والعرر ١٢٥ ، وهى فى ديوان الناشئ الأصغر ٢٨٦ ضمن ما نسب إليه وإلى غيره .

القصيدة رقم (١٢م)، ورقم (١١هـ):له فى الإنباه على قبائل الرواة ٢١ -٢٥، وتهذيب الكمال ١٧٧/١، ونشرها محققة د. يوسف بكار فى مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ع ٣-٤ سنة(١٩٧٩م).

المقطعة رقم (١٣م)، ورقم (١٢هـ): له فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٠٣، وتاريخ دمشق ٣٩٠/٣٢، والتذكرة الفخرية ٢٠٩ .

النتفة رقم (١٧) فى النشرتين: له فى المحب والمحبوب ١٠٠/٣، وشرح المقامات للشريشى ١٠٦/١ .

القصيدة رقم (٢٢م)، ورقم (٢١هـ):ورد البيتان الأخيران منها له فى الأفضليات ١٦٢ .

النتفة رقم (٢٧م)، ورقم (٢٤هـ): له فى الأمالى الخميسية ١٣٤/٢، وتاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢ .

النتفة رقم (٢٩م)، ورقم (٢٦هـ): له فى المصون فى سر الهوى المكنون ٦٦، ومنازل الأحباب، ومنازه الألباب ٢١٩ .

النتفة رقم (٢٨) فى النشرتين: له فى تاريخ دمشق ٣٨٨/٣٢ .

المقطعة رقم (٣٠م)، ورقم (٢٩هـ): له فى نور الطرف ونور الظرف ٣٥٨، وورد البيتان ٢ ،٣ منسوبين إليه فى الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٧٠٤/٤ ، ووردت الأبيات ٢-٤ منسوبة إليه فى مستوفى الدواوين ١٩٧/١

المقطعة رقم (٣٢م)، ورقم (٣١هـ): البيت الأخير منها له فى صبح الأعشى ٣٧١/١، وتاريخ ابن خلدون ١٨٤/٢ .

المقطعة رقم (٣٥م)، ورقم (٣٣هـ):له فى مخطوط رياض الألباب ومحاسن الآداب ٢٨ .

المقطعة رقم (٣٣م)، ورقم (٣٦هـ): ورد الخامس منها بلا نسبة فى العمدة ٢٨٧/١ .

النتفة رقم (٣٨هـ) فقط : له فى المنصف ٣٤٦ .

القصيدة رقم (٤٤هـ) فقط :لكشاجم فى ديوانه ٣٨٤ .

المقطعة رقم (٤٦م)، ورقم (٤٩هـ): له فى تاريخ دمشق ٣٨٦/٣٢، والدر الفريد ٢٠٨/٣، والبيت الأخير منها بلا نسبة فى العقد الفريد ٢٩٤/٢، والصناعتين ٣٨٥، والبديع لأسامة بن منقذ ٨٤، وهى لابن أبى الإصبع فى كتابه تحرير التحبير ٣٢٢ .

النتفة رقم (٥٠هـ) فقط: له فى الدر الفريد ١٠٦/٣ .

المقطعة رقم (٤٩م)، ورقم (٥١هـ): له فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٩٢، ونور الطرف ونور الظرف ١١٢، وهى ما عدا البيت الثانى لابن رشيق فى ديوانه ٧٩، والبيت الأخير منها بلا نسبة فى معاهد التنصيص ٢/٣١٠، وأرجح نسبتها للنامى لقول الحصرى القيروانى(ت ٤١٣ هـ): " إنها لبعض أهل العصر "، وهذا يؤكد عدم نسبتها للناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ)، وهى للنامى فى ديوانه ٥٩ .

المقطعة رقم (٥١م)، ورقم (٥٣هـ): له فى الدر الفريد ٢/٣٦٢ .

النتفة رقم (٥٠م)، ورقم (٥٤هـ): فى نور الطرف ونور الظرف ١٦٦، والدر الفريد ١/٣٨ ، والثانى منها بلا نسبة فى ديوان المعانى ١/٢٥٦ ،والتذكرة الفخرية ٢٤٢، ونهاية الأرب ٢/٢٥٨ ،وهى بلا نسبة فى المستطرف ٣/٧٩ ، والثانى للناشئ الأوسط فى يتيمة الدهر ٢/١٢٧ ، وقرى الضيف ٢/١٤٨ ،والتذكرة الحمدونية ٦/٩٢ ، وقول الحصرى فى زهر الآداب ١/٥٣٠ فى ديباجتها :" وشركك فيه صديقنا أبو العباس " يقصد - الناشئ الأصغر- " ، وهذا يفيد بأن النتفة ليست للناشئ الأكبر للفارق الزمنى بينه وبين الناشئ الأصغر، كما ذكرت آنفاً ، وأنشد المظفر بن عبد الرحمن البيت الثانى فى الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى ٣/٢٤١، وقبله بيت آخر هو :

وقدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بشقِّ الإزار غَدَاةَ الرَّحيلِ وَبَلِّ الخِمَار

المقطعة رقم (٤٥م)، ورقم (٥٨هـ): له فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٥٩ .

المقطعة رقم (٥٩م)، ورقم (٦٧هـ):ورد البيتان ١ ،٢ منها بلا نسبة فى المحب والمحبوب ٤/١٧٣ ، وانظر ما بهامشه من مصادر ، وهما لابن المعتز فى ديوانه ٢/١٥٦ بزيادة بيت لم يرد فى ديوان الناشئ الأكبر .

المقطعة رقم (٦٠م)، ورقم (٦٨هـ): له فى تاريخ دمشق ٣٢/٣٩٠ .

النتفة رقم (٦٢م)، ورقم (٦٩هـ): له فى الدر الفريد ٥/١٠١ .

المقطعة رقم (٧٣هـ) فقط: له فى الدر الفريد ٢/١٣٨ بزيادة ثلاثة أبيات، والبيت السادس منها كرر فى المصدر نفسه ٥/٤٣٨ .

المقطعة رقم (٦٦م)، ورقم (٧٥هـ): له فى المصون فى سر الهوى المكنون ٥٣ .

النتفة رقم (٦٨م)، ورقم (٧٧هـ):بلا نسبة فى الغرر والعرر ٢٧٦ .

القصيدة رقم (٧٠م)، ورقم (٧٩هـ):وردت الأبيات ١- ٣ منها له فى المصون فى سر الهوى المكنون ١٩٦ .

المقطعة رقم (٨٠م)، ورقم (٩٢هـ): له فى تاريخ دمشق ٣٨٧/٣٢ بتقديم البيت الرابع على الثالث.

المقطعة رقم (١١٣هـ) فقط: خرجها المحقق على الغرر والعرر ٢٩١، وليست فى هذه الصفحة، وإنما هى فى ص ٤٦٣، وهى بلا نسبة فى المستطرف ٣٨٥/١ .

النتفة رقم (١٢٢هـ) فقط: له فى المحب والمحبوب ٩٥/٣، وحسن المحاضرة ٣٦١/٢ .

القصيدة رقم (١٠٧م)، ورقم (١٢٦هـ): وردت الأبيات ١، ٣، ٥، ٧، -١٦ له فى نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار ٥٠٣ .

النتفة رقم (١١٠م)، ورقم (١٢٩هـ):له فى باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل ٥٤ .

المقطعة رقم (١١٢م)، ورقم (١٣١هـ): بلا نسبة فى العقد الفريد ٢١٨/٢ بتقديم الرابع على الثالث.

النتفة رقم (١٣٣هـ) فقط: له فى المحب والمحبوب ١٨٧/٤ .

سابعاً: ملحوظات أخرى على مجموع الأستاذ " هلال ناجى ":

عنَّت لى بعض الملحوظات على عمل الأستاذ." هلال ناجى"، فرأيت رصدها هنا لتضاف إلى الاستدراكات السابقة كى تكتمل الصورة، ونرتقى بالديوان درجة نحو الكمال، وها هى ذى بعض الملحوظات:

(١) حدد الأستاذ " هلال " وزن القصيدة رقم (٥٦)، ومطلعها:

يا ديارَ الأحبابِ هلْ من مجيبٍ عنكِ يشفى غليلَ نَائِى المزارِ

بأنها من الطويل، وليس الأمر كذلك؛ فهى من الخفيف كما نص د." مزهر " فى نشرته برقم (٤٧).

(٢) ورد البيت التالى فى المقطعة رقم (٨٦) هكذا:

أُصافى فى المرء يألفُنى فنجرى جميعاً باختلافٍ واتِّفاقِ

والصواب حذف حرف الجر (فى) كى يستقيم وزن البيت ويتضح معناه.

(٣) فات الأستاذ " هلال ناجى " إثبات وزن النتفة رقم (١٠٩)، وهى من الوافر، وهى من النتف التى انفرد مجموعه بذكرها.

(٤) ورد البيت التالى فى مجموع الأستاذ " هلال " ضمن المقطعة رقم (١٢٤) هكذا:

فياما أقبحُكنَّ بازىَّ الغداة   إن لم تَجِئن إلينا بهنَّهْ

هذا البيت من الأبيات المدورة، والصواب أن يكتب هكذا:

فيا ما أقبحُكنَّ بازىَّ الغدا   ةِ إن لم تَجِئْن إلينا بهنَّهْ

(٥) وعلى العكس من ذلك كتب البيت التالى فى المقطعة رقم (٤٥) مدوراً هكذا:

خبرتُ الأنامَ فما إن وجدتُ على مِحْنةٍ مَن يُساوى نَقِيرا

والصواب أن يكتب غير مدور هكذا:

خبرتُ الأنامَ فما إن وجدت   عَلَى مِحْنةٍ من يُساوى نَقِيرا

(٦) ذكر الأستاذ " هلال ناجى " أن المقطعة رقم (٦٤) من الشعر المتدافع بين "الناشئ الأكبر"، و" كشاجم ". قلت: رجعت إلى ديوان " كشاجم " فلم أقف عليها فيه، لذا أرجح نسبتها " للناشئ الأكبر ".

وبعد، فهذا ما عَنَّ لى رصده من ملحوظات على نشرتى مجموع شعر " الناشئ الأكبر " أضعها بين أيدى المحققين الفاضلين، ولهما الحق - كل الحق - فى أن يقبلاها، ويأخذا بها فى طبعة لاحقة لشعر " الناشئ "، أو لا، كما أن لغيرهما ذلك الحق، وما هذه الملحوظات إلا وجهات نظر، أتطلع إلى أن أرى ثمرتها لدى الدارسين ومحبى التراث العربى فى دراسة شعر " الناشئ الأكبر"، بقدر ما بذلت فى رصدها من جهدٍ ووقتٍ، والحمد لله من قبل ومن بعد، وهو الهادى إلى سواء الصراط.

المصادر والمراجع:

١- الإبانة عن سرقات المتنبى:للعميدى (ت ٤٣٣هـ) بعناية:إبراهيم البساطى. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩م.
٢- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: لأبى بكر محمد (ت٣٨٠هـ)، وأبى عثمان سعيد
(ت٣٩١هـ) ابنى هشام تحقيق د.محمد يوسف - هيئة قصور الثقافة - القاهرة - ٢٠٠٢م.
٣- الإعجاز والإيجاز: للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) - بعناية: إسكندر آصاف - دار صعب - بيروت - د.ت .
٤- الأغانى: لأبى الفرج الأصفهانى (٣٥٦هـ) - تحقيق: لفيف من المحققين بإشراف:محمد أبى الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢م.
٥- الأفضليات:لابن الصيرفى (ت ٤٦٣هـ) - تحقيق د. عبد العزيز المانع، وآخر - بدمشق - ١٩٨٢م
٦- الأمالى الخميسية: للإمام المرشد بالله يحيى الشجرى (ت ٤٧٩هـ):عالم الكتب - بيروت- د.ت .
٧- الإنباه على قبائل الرواة:لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق: إبراهيم الإبيارى - دار الكتاب العربى ١٩٨٥
٨- أوهام المحققين: تأليف د. محمد حسين الأعرجى - دار المدى- سورية - ط١- ٢٠٠٤م.
٨- الإنباه على قبائل الرواة:لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق: إبراهيم الإبيارى - دار الكتاب العربى ١٩٨٥
٩- بحوث فى النقد التراثى: للأستاذ هلال ناجى - دار الغرب الإسلامى - ط١- ١٩٩٤م.
١٠- البديع فى نقد الشعر:لأسامة بن منقذ(ت ٥٨٤هـ): تحقيق: أحمد بدوى، وآخر. طبعة الحلبى. ١٩٦٠م
١١- البصائر والذخائر: لأبى حيان التوحيدى (٤١٤هـ) - تحقيق د: وداد القاضى - دار صادر- ط١- ١٩٨٨م.
١٢- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس:لابن عبد البر القرطبى (ت٤٦٣هـ) تحقيق د: محمد الخولى- دار الكتب العلمية- د.ت

١٣- تاريخ ابن خلدون: لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ـ مكتبة المدرسة - بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٣ م.

١٤- تاريخ دمشق: لابن عساكر (ت٥٧١ هـ) - دراسة وتحقيق: على شيرى - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨ م

١٥- تحرير التحبير:لابن أبى الإصبع المصرى (ت٦٥٤هـ) - تحقيق: حفنى شرف -- القاهرة - ١٩٩٥م.

١٦- التذكرة الحمدونية: لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) ـ تحقيق:إحسان عباس، وآخر ـ دار صادر ـ ط١ ـ ١٩٩٦ م

١٧- التذكرة الفخرية: للبهاء الإربلى (ت ٦٩٢هـ) تحقيق د. حاتم الضامن، وآخر- عالم الكتب - ١٩٨٧م

١٨- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق:لداود الأنطاكى- تحقيق:محمد التونجى- عالم الكتب ١٩٩٣م.

١٩- التشبيهات: لابن أبى عون(ت ٣٢٢هـ) بعناية: محمد خان - جامعة كمبردج - ١٣٦٩هـ.

٢٠- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال:للمزى (ت ٧٤٢ هـ) - تحقيق: بشار معروف - موسسة الرسالة - ١٩٨٥

٢١- الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى: للمعافى بن زكريا النهروانى (ت٣٩٠هـ) - تحقيق د. محمد مرسى الخولى، وآخر - عالم الكتب - بيروت - ط١- ١٩٨٧م.

٢٢- جمع الجواهر فى الملح والنوادر:للحصرى القيروانى (ت٤١٣هـ) تحقيق:على البجاوى - دار الجيل- ١٩٨٧م.

٢٣- حسن المحاضرة:للسيوطى (ت ٩١١هـ)- تحقيق: أبى الفضل إبراهيم - دار الفكر- القاهرة- ١٩٩٨م

٢٤- الحيوان: للجاحظ: تحقيق وشرح: عبد السلام هارون - هيئة قصور الثقافة - مصر - ٢٠٠٢م.

٢٥- خاص الخاص: لأبى منصور الثعالبى ـ قدم له: حسن الأمين ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ د.ت.

٢٦- خزانة الأدب وغاية الأرب: لابن حجة الحموى (ت ٨٣٧ هـ) - تحقيق: عصام شعيتو - دار مكتبة الهلال - بيروت - ط١- ١٩٨٧م.

٢٧- الدر الفريد وبيت القصيد: لمحمد بن أيدمر (ق٨هـ) - مخطوط أشرف على طباعته مصوراً: فؤاد سزكين- معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - فرانكفورت - ١٩٨٩

٢٨- ديوان ابن رشيق (ت٤٥٦هـ): جمعه ورتبه د.عبد الرحمن ياغى - دار الثقافة بيروت - د. ت .

٢٩- ديوان (شعر) ابن شبل البغدادى (ت ٤٧٣ هـ):جمع وتحقيق:د. حلمى الكيلانى - مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى - ع ٥٤ - السنة ٢٢ - ١٩٩٨م.

٣٠- ديوان (شعر) ابن شبل البغدادى: تعقيب ونشر ما لم ينشر - عبد الرازق حويزى - مجلة تراثيات ع ٨ .

٣١- ديوان الصنوبرى(ت ٣٣٤هـ): تحقيق د.إحسان عباس - بيروت ١٩٧٠م

٣٢- ديوان كشاجم (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق د.النبوى شعلان - مكتبة الخانجى - ط١ - ١٩٩٨م

٣٣- ديوان (شعر) المأمون العباسى: صنعة الأستاذ: حسين اللهيبى - مجلة الذخائر - بيروت - ع ٣ - ٢٠٠٠م

٣٤- ديوان (شعر) ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) تحقيق د. يونس السامرائى - عالم الكتب - بيروت ١٩٩٧م

٣٥- ديوان (شعر) الناشئ الأصغر (ت٣٦٦هـ) - تحقيق د. عبد المجيد الإسداوى - مكتبة عرفات - الزقازيق - مصر - ط١- ١٩٩٤ م.(منشور ضمن كتابه: شعراء مغمورون فى الجاهلية والإسلام).

٣٦- ديوان (شعر) الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ):جمع وتحقيق د. مزهر السودانى - حولية كلية التربية - جامعة البصرة - ع١- ١٩٧٩ م، وجمع وتحقيق الأستاذ: هلال ناجى - مجلة المورد العراقية- المجلد ١١، ١٢ سنة ١٩٨٢- ١٩٨٣م

٣٧- ديوان(شعر) النامى المصيصى(ت ٣٩٩هـ) جمع وتحقيق: صبيح رديف - دار البصرى - بغداد - ١٩٧٠ م.

٣٨- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة:لابن بسام (ت ٥٤٣هـ)-تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة- ١٩٧٩م.

٣٩- رياض الألباب ومحاسن الآداب: للشريف الأسيوطى (ت٨٥٩ هـ)، والمنسوب خطأ لـ" لنواجى" - المكتبة الأزهرية - برقم ٢٧٤ أباظة، ٦٨٧٩ أدب.

٤٠- زهر الآداب وثمر الألباب: للحصرى القيروانى(ت٤٥٣هـ)- تحقيق: على محمد

البجاوى - عيسى البابى الحلبى - مصر - ط٢ - ١٩٦٩ م.

٤١- زهر الأكم فى الأمثال والحكم: للحسن اليوسى (ت ١١٠٢) - تحقيق: محمد حجى، وآخر . دار الثقافة . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٨١م.

٤٢- سمط اللآلئ فى شرح أمالى القالى - لأبى عبيد البكرى- تحقيق: عبد العزيز الميمنى - دار الكتب العلمية -لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٣٥ م.

٤٣- شعر ضبة وأخبارها فى الجاهلية والإسلام:جمع د.حسن أبو ياسين - الرياض - ط١- ١٩٩٥ م . ٤٤- صبح الأعشى: للقلقشندى (ت ٨٢١هـ) - نشرة الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر- ٢٠٠٥م

٤٥- الصبح المنبى عن حيثية المتنبى - ليوسف البديعى - تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين - دار المعارف - مصر - ط٣ - ١٩٩٤ م.

٤٦- العقد الفريد :لابن عبد ربه الأندلسى (ت٣٢٨هـ) - تحقيق:أحمد أمين، وغيره - مصر- ١٩٦٩م.

٤٧- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده:لابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) : تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت - ط٥ - ١٩٨١م

٤٨- غرر الخصائص الواضحة، ودرر النقائص الفاضحة: لبرهان الدين الكتبى (ت ٧١٨هـ) . دار صعب . بيروت

٤٩- فصول التماثيل فى تباشير السرور: لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) - تحقيق د: جورج قنازع، دمشق ١٩٨٩

٥٠- قرى الضيف: لعبد الله بن سفيان - تحقيق: عبد الله المنصور - أضواء السلف - الرياض - ط١- ١٩٩٧م

٥١- قطب السرور فى أوصاف الخمور: لإبراهيم بن القاسم(ت ٤٢٥هـ) تحقيق: أحمد الجندى - بدمشق - ١٩٦٩

٥٢- لباب الآداب:لأبى منصور الثعالبى (ت٤٢٩هـ) - تحقيق:قحطان التميمى - بغداد - ١٩٨٨م

٥٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء:للراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ) - تحقيق: رياض عبد الحميد مراد - دار صادر - بيروت - ط١-٢٠٠٤م٠

٥٤- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب:للسرى الرَّفاء(ت ٣٦٢هـ) تحقيق: ما جد الذهبى، دمشق ١٩٨٦م.

٥٥- المختار من شعر بشار: للخالديين -للتجيبى البرقى - اعتنى به: السيد محمد

بدر الدين العلوى - لجنة التأليف والترجمة - مطبعة الاعتماد - مصر.
٥٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان:لليافعى (ت٦٧٨هـ) - نشره خليل المنصور - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٩٩٧م.
٥٧- المستدرك على صناع الدواوين: صنفه:نورى القيسى، وهلال ناجى- ج١ مطبعة المجمع العلمى العراقى - ١٩٩١ م، ج١،٢ عالم الكتب - بيروت ط١-١٩٩٨م.
٥٨- مستوفى الدواوين: لمحمد بن عبدالله الأزهرى (من أعيان القرن التاسع الهجرى) تحقيق: زينب القوصى ، ووفاء الأعصر - مركز تحقيق التراث - القاهرة - ٢٠٠٣-٢٠٠٤م .
٥٩- المصون فى سر الهوى المكنون: للحصرى القيروانى (ت٤١٣هـ) تحقيق د .النبوى شعلان- دار العرب للبستانى- القاهرة -١٩٨٩م .
٦٠- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:لعبد الرحيم العباسى (ت ٩٦٣ هـ) . تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد . عالم الكتب . بيروت .١٣٦٧هـ، ١٩٤٧ م.
٦١- معجم الأدباء:لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ) تحقيق:محمد نجاتى وآخر . دار الفكر . ط٣ . ١٩٨٠م.
٦٢- معجم البلدان:لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - د . ت .
٦٣- من غاب عنه المطرب:لأبى منصور الثعالبى - تحقيق: النبوى شعلان - مكتبة الخانجى- ط١- ١٩٨٤
٦٤- منازل الأحباب ومنازه الألباب: للشهاب الحلبى (ت ٧٢٥هـ) تحقيق: محمد الديباجى - دار صادر٢٠٠٠م
٦٥- المنتحل: لأبى منصور الثعالبى (ت٤٢٩هـ)- صححه: أحمد أبو على- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة
٦٦- المنتخل:لأبى الفضل الميكالى(ت ٤٣٦هـ) تحقيق:يحيى الجبورى- دار الغرب الإسلامى- ط١- ٢٠٠٠م.
٦٧- المنصف: لابن وكيع التنيسى (٣٩٣هـ) - تحقيق: محمد رضوان الداية - دار قتيبة - دمشق ١٩٨٢م.
٦٨- نثر النظم وحل العقد: لأبى منصور الثعالبى(ت٤٢٩هـ) . دار الرائد العربى . بيروت . لبنان . ١٩٨٣
٦٩- نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار: لشهاب الدين العنابى(ت ٧٧٦هـ) تحقيق:

السيد السنوسى، وآخر- دارالقلم- الكويت - ١٩٨٦

٧٠- نشر الشعر وتحقيقه فى العراق حتى نهاية القرن السابع الهجرى: إعداد د. على جواد الطاهر، والأستاذ. عباس هانى الجراخ - دار الشئون الثقافية العامة - بغداد - ٢٠٠٠م.

٧١ - نهاية الأرب - لشهاب الدين النويرى (٧٣٣هـ) - دار الكتب المصرية - ١٩٧٥م

٧٢ - نور الطرف ونور الظرف: للحصرى القيروانى (ت٤١٣هـ) - تحقيق: لينة أبو صالح - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١- ١٩٩٦م.

٧٣- الوساطة بين المتنبى وخصومه: للقاضى الجرجانى (ت٣٩٢ هـ) ـ تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، وآخر ـ المكتبة العصرية ـ صيدا.

٧٤- وفيات الأعيان: لابن خلكان (ت٦٨١هـ) - تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٤م

٧٥- يتيمة الدهر:للثعالبى ـ تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية ـ مصر ـ ١٩٥٦م.

عبقرية التأليف العربي للدكتور كمال عرفات نبهان

أ. د. عبد الستار الحلوجي(*)

قليلة هى الأعمال التى تشد القارئ بموضوعها وبما تقدمه من فكر أصيل كتب بلاغة راقية. وقليلة هى المؤلفات التى تأسرك فلا تستطيع فكاكًا من سحرها وجمالها فى هذا الزمن الذى تعددت فيه مظاهر القبح فى القول والفعل معًا. فأمام فيض المؤلفات وفوضى النشر يجد الإنسان نفسه محاصرًا بغثاء كغثاء السيل، وقلما يظفر بعمل مبدع يثرى العقل والوجدان. وقد احتل جمال حمدان مكانته المرموقة فى دنيا الفكر والثقافة لأنه مفكر مبدع، ولأنه يصب حصاد فكره فى قوالب لغوية بديعة.

قليلون هم أمثال حمدان، وقليلة هى الكتب التى تطاول كتابه «شخصية مصر؛ دراسة فى عبقرية المكان». ومن الكتب التى تذكّر بجمال حمدان وكتابه هذا، كتاب صدر حديثًا بعنوان «عبقرية التأليفة العربى» للدكتور كمال عرفات نبهان. ولا يقتصر وجه الشبه بين الكتابين على وجود كلمة «العبقرية» فى العنوان، ولكن وجه الشبه الحقيقى هو ما فى الكتابين من أصالة وإبداع فى الفكر، ومن سيطرة رائعة على الموضوع في كل منهما، ومن أسلوب رائق بليغ يتمتع من المؤلفان.

ولقد كتبت د. ناريمان متولى عن الإبداع فى مجال المكتبات(1)، وحاولت أن تلتمس العناصر التى يمكن الاحتكام إليها لوصف كتاب أو مؤلف بأنه مبدع، واتخذت من غزارة الإنتاج مؤشرًا، وهو مؤشر فيه نظر، بل فيه شك كبير.

وقد افتتن كثير من المتخصصين فى علوم المكتبات بالدراسات الببليومترية أو القياسات الوراقية كما يحلو للبعض أن يسميها، وهذه الدراسات تقيس الكم ولا تقيس الكيف، ولا يخفى أن قيمة أى كتاب لا تقاس بحجمه ولا بعدد صفحاته، وإنما بما يقدمه من فكر أصيل، وأن أقدار المؤلفين لا تحدد بعدد ما ألّفوه من كتب وما نشروه من صفحات وإنما بما يمكن أن تضيفه تلك المؤلفات إلى رصيد المعرفة. وكثرة المؤلفات شىء، وأصالته وجودتها شىء آخر. وكثيرًا ما تكون هذه الكثرة على حساب الجودة، بل كثيرًا ما تكون نتيجة نقل وسطو على كتابات الآخرين وأفكارهم، أو ترجمة لمؤلفات أجنبية. وبعض المؤلفين المعاصرين يفعل ذلك بكل أسف. ومنطقهم يقوم على أن الكتاب لو طبع منه ألف نسخة فقط وقرأه ألف فرد فقط، فإن من بين هؤلاء جميعًا قلّة لا تتجاوز عشرة أو عشرين هي التى يمكن أن تكتشف هذا النقل، وأن تتعرف على

---

(١) أستاذ المكتبات - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

الأصل الأجنبى المترجم أو المنقول عنه، ويبقى تسعمائة وثمانون قارئًا يمكن أن يُفتنوا بما قرأوا، وأن يتصوروا أنهم أمام مؤلف عبقرى فذ. ولقد كان القدماء من الشجاعة بحيث سمُّوا هذا النوع من التأليف سرقة، وألّفوا كتبًا معروفة فى السرقات الأدبية.

ولكن ما الإبداع؟ وما العبقرية؟.

لقد ارتبط مفهوم العبقرية فى كل لغات البشر بقوى خفية، ويمسّ يشبه مسّ الجنون، فالعرب تخيلوا واديا تسكنه الجنّ أطلقوا عليه «وادى عبقرى» وتوهموا أن مَنْ يتمتع بشىء من الإلهام فقد مسّه شىء من الجن التى تسكن هذا الوادى. وكلمة genius فى اللغة الإنجليزية أيضًا لا تبعد كثيرًا عن هذا التصور ولا عن الجن Jinn. وعلماء النفي يعرِّفون العبقرية بأنها ومضات ذهنية كومضات الضوء أو الكهرباء، وهذه الومضات ليست متصلة ولا مستمرة، ولايمكن استدعاؤها وفقًا لإرادة الإنسان، لأنها إلهام مفاجئ لايرتبط بزمان ولامكان. وقد عرّف العقاد العبقرية بأنها «التفرد والسبق والابتكار[1]»، والإبداع يكون على غير مثال سابق، وليس اجترارًا ولا تكرارًا لأفكار سابقة.

ولست أبالغ ولا أجامل إذا قلت إن العبقرية قاسم مشترك بين كتابى جمال حمدان وكمال عرفات نبهان؛ فأولهما يقدم حقائق علم الجغرافيا على طبق من ذهب، وثانيهما يقدم حقائق علم المعلومات على نفس الطبق. العبقرية فى الكتاب الأول عبقرية مكان وعبقرية مؤلف، وفى الكتاب الثانى عبقرية فكر وإنتاج وعبقرية مؤلف أيضًا، فكلا المؤلفين يغوص فى الأعماق البعيدة لتخصصه، ويشرح لنا غوامضه، ويكشف لنا أسراره الدفينة، ويقدم لنا شيئا جديدًا لم يُسبق إأليه. ويتفق الكتابان فى أن كلا منهما يشدّك بدءًا من عنوانه، ولا تكاد تقرأ فيه حتى تجد نفسك منساقا وراء المؤلف واقعًا فى أسره، لا تستطيع أن تنفك عنه، بل لا تحب أن تنفك عنه لأنك تجد فيه الفكر العميق والبصيرة النافذة والرؤية المستنيرة والأسلوب العذب الجميل. وصدق د. مصطفى الشكعة حين قال فى دراسته القيّمة التى قدم بها لكتاب نبهان[2]: «إن هذا الجهد يمثل نجمًا جديدًا فى سماء المكتبات والمعلومات منهجًا ومحتوى وتحليلاً وتعمقًا وابتكارًا».

وقارئ هذا الكتاب سرعان ما يتبين أنه أمام باحث يجيد السباحة فى بحور التراث العربى، ويجيد فن الغوص إلى أعماق الأعماق، ويقفز إلى السطح فى رشاقة منقطعة

---

(١) عبقرية عمر. القاهرة : مكتبة دار نهضة مصر، ٢٠٠٢، ص ١٨ (مكتبة الأسرة).

(٢) ص ١٥م.

النظير ليقدم لنا دررًا نفسية استخرجها بمهارة فائقة وعرضها بطريقة تجلّيها وتوضح لنا أبعادها التى تخفى على كثير من المتعاملين مع التراث العربى. فهو يقدم لنا نماذج قديمة موغلة فى القدم، ويقرنها بنماذج حديثة مسرفة فى الحداثة. يخترق الزمان والمكان فى سهولة ويسر، يتنقل عبر العصور والأوطان مشرّقًا تارة ومغرّبًا أخرى، ويتحول من موضوع إلى موضوع، وفى كل موضوع تحسّ أنك أمام شيخ من شيوخه وعلَم من أعلامه البارزين. ولولا أن له جناحين قويين ما استطاع أن يحلّق بنا فى تلك الأجواء البعيدة، وأن يعبر بنا تلك المسافات الشاسعة، وأن يخوض بنا فى تلك المجالات الموضوعية الخصبة المتنوعة.

رجل تمثّل تراثنا العربى في كل عصوره، وفى مختلف بيئاته، وفى شتى مجالاته المعرفية، وأخرجه لنا عسلاً مصفّى سائغًا للشاربين، ومؤلف تميز بوضوح الرؤية وتحديد الهدف، فهو يعرف طريقه فلا يحيد عنه، ولا تتفرق به السبل ، ويُحكم السيطرة على أفكاره ويحتفظ بخيوطها كلها فى قبضته فلا يفلت شىء منها من بين أصابعه. ولذا نراه يحدد مجال كتابه فى نصاعة ووضوح لا لبس فيه فيقول[1]:

«إن هذه الدراسة ليست تاريخًا للتأليف العربى، فذلك مجال آخر له طبيعته ومناهجه الخاصة، ولكن هذه الدراسة تُخضع بعض ظواهر التأليف كحالات للدراسة الاستقرائية من أجل الخروج بتصنيف لعلاقات من النصي، وتحديد خصائصه وتسمياته وآلياته، ووظائف كل نوع من أنواع تفارع النصوص أو علاقات النصوص مثل وظيفة التلخيص أو الاستدراك أو التذييل أو الشرح أو الهجوم أو التأييد... إلخ».

ومن مقدمته للكتاب يتضح لنا أننا أمام مؤلف يعى تمامًا قيمة عمله، ويعرف بالضبط ما أضافه واستحدثه، فهو يعدد لنا المجالات الجديدة التى يتفرد الكتاب بتقديمها في موضوع التأليف فى نقاط محددة هى[2]:

- تعريف التأليف عمومًا والعربى خصوصًا، وتمييز أنواعه.
- تعريف المؤلف وبيان خصائصه فى الثقافة العربية والإسلامية.
- تعريف النص، وتمييز أشكاله المختلفة.
- طرح نظرية الببليوجرافيا التكوينية، وهى نظرية جديدة فى مضمونها وتسميتها.

---

(١) ص ١٨.
(٢) ص ٢٥م - ٢٦م.

- ابتكار إطار لتمثيل علاقات التأليف العربى أطلق عليه «ببليوجرام» وقسّمه إلي سبعة أشكال هي: الببليوجرام الخطى، والمجتمع الإشعاعى، والتشجيري، وببليوجرام التفارع المتعدد، والببليوجرام المغلق، والببليوجرام المركب، وذلك بهدف تحليل علاقات التفارع للنصوص على نص أصلي، وابتكار مصطلحات جديدة لوصف وتسمية هذه العلاقات. وقد أمكن تحديد نحو ستين نوعًا من التأليف النصى وتحديد خصائص كل نوع وطبيعة الجهد العلمى فى تأليفه، ووظائفه الاتصالية العلمية، وعلاقاته من الأنواع الأخرى من التأليف النصى»[١].

- وضع مخطط زمنى لعلاقات النصوص أسماه «الببليوكرونوجوام» وهو أداة لتمثيل الامتداد الزمنى لتأثير النص فى مؤلفات تالية، أو لتمثيل المسافات الزمنية التى تفصل بين ظهور النص الأصلى والمؤلفات التى تفارعت عليه، ويقيس «مدى استمرار النص الأصلى والملؤفات التى تفارعت عليه، ويقيس «مدى استمرار النص الأصلى فى تحريكه لمؤلفات تابعة عليه أوتابعة لتوابعه»[٢].

- تحديد آليات التأليف العربى بدءًا من التأليف التميهيدى للنص، ومرورًا بتشغيل النص (مثل التلخيص والتهذيب)، وتحويله من نثر إلى شعر أو من العامية إلى الفصحى أو العكس، أو تطويعه لظروف ثقافية أو بيئية أخرى، ومصاحبته (ويقصد بها الشروح والتفاسير بأنواعها)، وخدمته بإعداد الكشافات والأطراف، ومحاورته (ويقصد بها الاختلاف معه ومناقضته)، ونمذجته بتوليد نص منه أو احتوائه فى نص آخر أو محاكاته والتأليف على مثاله.

- استقراء ظواهر هامة فى التأليف العربى مثل تكامل النصول وتواصله وتراكمها.

- استقراء بعض الخصائص السوسيولوجية للاتصال العلمى فى الحضارة العربية وانعكاس العلاقات الاجتماعية فى المجتمع العلمى على علاقات النصوص وأشكال التأليف والاتصال العلمي»[٣].

ولاينسى المؤلف أن يذكرنا بأن الكتاب «يحتوى على كثير من المصطلحات التى تمت صياغتها لتكون رصيدًا للببليوجرافى وعالم المعلومات والمخطوطات والنصوص ومؤرخ العلم وناقد الأدب ومجالات أخرى كثيرة، ومن ذلك: المجانسة، التدريج،

---

(١) ص ٢٦م.
(٢) ص ٧٨.
(٣) ص ٢٦م.

المعجمة، الموسعة، التزمين، النمذجة، المقايسة الببليوجرافية... إلخ، مع الحرص على البحث عن مقابل لها بالإنجليزية لوصل الحلقات بين الحضارات»[١].

وهكذا نرى أننا أمام كتاب فذّ لمؤلف فذّ فى زمن تقزمت فيه أكثر المؤلفات التى تخرجها المطابع، وأننا أمام مؤلف يحترم نفسه ويحترم قارئه، ويضع كل كلمة موضعها بلا تزيدٍّ أو تنقّص. وحسبه أنه عكف على عمله هذا سنوات طويلة ناهزت الثلاثين عامًا «وانتهت به إلى تقديم هذا الكتاب الفريد فى عالم المكتبات إلى المكتبة العربية» على حد تعبير الدكتور الشكعة فى دراسته القيّمة التى قدم بها الكتاب.

فالكتاب عصارة سنين طويلة من البحث والتأمل فى ظاهرة التأليف العربى منذ أقدم عصوره إلى الوقت الحاضر. ولو لم يكن فيه إلا ابتداع نظرية «الببليوجرافيا التكوينية» التى يصفها المؤلف بأنها «أشبه بعلم الأجنّة الذى يخلص الولاء للجنين (النص) حتى يخرج للحياة، ثم يمنحه الولاء مجددًا عندما يسهم فى نقل بعض الخصائص الوراثية للنص لأجيال تالية من جنسه»[٢]. ويعرّفها بأنها «دراسة ظواهر التأليف» وأنها «علم عدم فصل ما وصلته المعرفة الإنسانية»[٣].

لو لم يكن فيه إلا هذه الإضافة لكفاه، ولكنه عززها بابتداع صيغ جديدة ونحت مصطلحات أدخلها اللغة العربية لأول مرة مثل الكرشنة والسرينة والعبرنة وتيىء النص وتفصيحه. وهذه المصطلحات وأمثالها تدل على المستوى المتميز للأداء اللغوى للمؤلف.

وثمة سمات أخرى فى الكتاب ينبغى أن توضع فى ميزان حسناته، منها هذا البناء المحكم لفصوله ومباحثه، وتلك اللغة الراقية التى نفتقدها كثيرًا فى هذه الأيام، ومنها هذاالعدد الضخم من المراجع التى بلغت ٢٤٢ مرجعًا عربيًا، ومنها أيضًا أن المؤلف بدأه بفهرسين؛ أحدهما مختصر والاخر مفصل، وختمه بثلاثة كشافات؛ أحدها للمصطلحات والموضوعات، والثانى لعناوين الكتب، والثالث للأعلام.. وهذه الكشافات لا تقتصر على متن الكتاب وإنما تشمل أيضًا مقدمته وتقديم الدكتور الشكعة له، كما تغطى الحواشى التى ذيلت بها الصفحات. وذلك جهد ضخم بذله المؤلف طواعية لأنه يدرك أهميته فى إبراز مخبوءات الكتاب وتيسير الاستفادة منه، وهو فى الوقت نفسه دليل على حرفية فائقة.

(١) ص ٢٦م.
(٢) ص ٤٦.
(٣) ص ٤٨.

ومن الملامح الملفتة فى الكتاب أيضًا هذا الإخراج الطباعى المتميز سواء فى الورق أو أبناط الطباعة، وهذه المراجعة الدقيقة التى خضع لها النص فقلَّت أخطاؤه الطباعية إلى حد كبير.

ورغم هذه السمات الإيجابية التي تحسب للكتاب، فإن الشباك الدقيقة التي نصبها المؤلف لاصطياد الأخطاء قد أفلتت منها هنات يسيرة أذكر منها أمرين:

أولهما: الاعتماد على مصادر ثانوية في بعض الأحيان، ومثال ذلك أنه في ص ١٠ ينقل تعريف الجرجاني للتدوين عن معجم للمصطلحات الأدبية وضعه مجدي وهبة، وأنه في ص ١٤ ينقل عن كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيد، ولكنه يرد النص إلى كتاب روزنتال، «مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى».

وثانيهما: وقوع بعض الأخطاء الطباعية هنا وهناك[1]. ومن حسن الحظ أن أغلبها يسهل على القارئ اكتشافه.

وبرغم هذه الهنات اليسيرة، يظل الكتاب عملاً بحثيًا قيِّمًا، يتألق أحيانًا ويتوهج أحيانًا أخرى، ولكن روح الإبداع تسرى فى جميع فصوله وصفحاته التى قاربت الستمائة. ويكفى أن تقرأ الفصل الثالث الذى يحدد فيه المؤلف الإطار النظرى للبحث وأدوات وصف علاقات النصوص، أوْ الفصل الحادى عشر الخاص بهيكل تصنيف علاقات التأليف، أوالفصل الثانى عشر الذي ضمنه ملاحظات عامة حول التأليف النصى وسوسيولوجية الاتصال العلمى فى الحضارة العربية الإسلامية. يكفى أن تقرأ أيًا من تلك الفصول لتدرك عن يقين أنك أمام باحث أصيل تغوص قدمه فى أعماق التراث، وتمتد ذراعه فى الفضاء العريض وكأنه شجرة جميلة وارفة تنشر ظلها ويفوح عطرها وتتدلى منها ثمارها اليانعة. وذلك هو كمال عرفات نبهان الذى أصاب شيئًا غير قليل من اسمه الثلاثى هذا : الكمال والمعرفة والنباهة.

(١) لعل أبرزها سقوط كلمة (الفرقان) فى ختام التعريف بالمؤلف، المذكور على غلاف الكتاب، حيث وردت عبارة (بمؤسسة فى لندن) وصوابها (بمؤسسة الفرقان فى لندن). ومن أمثلتها أيضًا: كلمة (تعريفا) ص ١٦ م سطر ٩ من أسفل وصحتها (تعريفه). وتصنيف) ص ٢٥ م سطر ٦ من أسفل وصحتها (وتضيف) و (Billiometrics) ص ٢٣ سطر ١١ وصحتها (Bibliometrics) . و (ص ٦٦) فى هامش ص ٦٥ وصحتها (ص ٦٧).

من أخبار التراث

أ. حسام أحمد عبد الظاهر(*)

شهر يوليو ٢٠٠٦م:

- فى يوم الثلاثاء ٤ يوليو عقدت الهيئة المصرية العامة للكتاب ندوة تحت عنوان (زبدة الفتوحات المكية) ؛ وتم فيها مناقشة كتاب (زبدة الفتوحات المكية لابن عربى) للدكتور صلاح الدين التجانى ؛ وهذا الكتاب هو أحد إصدارات سلسلة (المختصرات التراثية) التى تصدر عن هيئة الكتاب، ناقش الكتاب نخبة من المهتمين بالتصوف وهم : الدكتور عبد الحميد مدكور ، و الدكتور عامر النجار ، و الدكتور رمضان بسطاويسى ، و الأستاذ سعيد عبد الفتاح ، عُقدت الندوة بقاعة الندوات بدار الكتب والوثائق القومية .
- وفى يوم الثلاثاء ١١ يوليو عُقدت بمكتبة القاهرة الكبرى ندوة حول تاريخ الطب فى الحضارة الإسلامية مع مناقشة الطبعة الجديدة من كتاب (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أُصيبعة ؛ والتى صدرت بتحقيق الدكتور عامر النجار . شارك فى الندوة الأساتذة الدكاترة : أحمد فؤاد باشا ، وعبد الحميد مدكور ، ومحمد الخواجة ، وحامد أبو أحمد ، ومصطفى عبد الغنى ، ومحيى الدين عبد الفتاح .
- وضمن فعاليات مهرجان جرش بالأردن (٢٦يوليو - ١١ أغسطس) وبالتعاون مع منتدى الفكر العربى، عُقدت ندوة عن العلامة ابن خلدون فى إطار احتفالات العالم بمرور ٦٠٠ عام على وفاته ، كما عُقدت ندوة أخرى إحياءً لذكرى مرور ٥٠٠ عام على وفاة الشاعرة عائشة الباعونية .
- أصدرت مؤسسة التراث الأندلسى بمدينة غرناطة الإسبانية كتابًا باللغتين الإسبانية والإنجليزية عنوانه (ابن خلدون ... منطقة الوسط فى القرن الرابع عشر ... صعود وسقوط إمبراطوريات) ، اشترك فى كتابته مجموعة من الباحثين من دول مختلفة منها : إسبانيا ، والمغرب ، وتونس ، ومصر .
- صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة كتاب (ابن عروس ... السيرة والنصوص واللوحات) ، دراسة وتحقيق الأستاذ محمود الهندى .

(*) باحث بمركز تحقيق التراث - دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

شهر أغسطس ٢٠٠٦ م:

● خلال هذا الشهر أصدر مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة الجزءين الثالث عشر والرابع عشر من الطبعة الجديدة لكتاب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) لأبى المحاسن ابن تغرى بردى ؛ بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت، والدكتور جمال محمد محرز. كما صدر عن المركز الجزء الثالث من كتاب (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران) للبقاعى بتحقيق إحدى لجان التاريخ بالمركز ـ بإشراف أستاذنا الدكتور حسن حبشى ـ رحمه الله ـ وتتكون من الأساتذة : نجوى مصطفى كامل ، وأحمد عبد الستار ، وحسام أحمد عبد الظاهر ، وإكرامى محمد أبو العلا .

● وفى إطار مهرجان القراءة للجميع ـ بمصر ـ أصدرت مكتبة الأسرة هذا الشهر طبعة جديدة من كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) للقزوينى بتحقيق الأستاذ محمد بن يوسف القاضى . وكتاب (رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة) لأحمد بن فضلان بتحقيق الأستاذ محفوظ أبو بكر ابن معتوقة .

شهر سبتمبر ٢٠٠٦م :

● خلال الفترة ١٠ـ ١٤ سبتمبر عُقد بالجامعة الأردنية بعمان المؤتمر الدولى السابع لتاريخ بلاد الشام تحت عنوان (الأوقاف فى بلاد الشام منذ الفتح العربى الإسلامى إلى نهاية القرن العشرين) ، وقُدم للمؤتمر الكثير من الأبحاث منها : بحث الدكتور شكران خربوطلى عن أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها فى العصر الأيوبى ، وبحث الدكتور ضيف الله الزهرانى حول وثيقة دار الحديث الأشرفية ، وبحث واقع الأوقاف فى نيابة دمشق فى العهد المملوكى المتأخر من واقع كتب المذكرات واليوميات للدكتورة هند غسان أبو شعر ، وبحث الدكتور عليان الجالودى عن الأوقاف العلمية فى يوميات المؤرخ الدمشقى ابن طوق ، وبحث الدكتور أيمن فؤاد سيد عن أوقاف المماليك ببلاد الشام على منشآتهم فى القاهرة من خلال خطط المقريزى . كما اشترك الدكتور خالد محمود الحايك ببحث عن الكتب الوقفية على مدرسة الحديث الضيائية وأثرها فى إثراء المكتبة الإسلامية ، أما الدكتور سمير الدروبى فكان بحثه عن خزائن الكتب الموقوفة بجامع بنى أمية فى دمشق .

- صدر هذا الشهر عن مركز تحقيق التراث الجزء التاسع من كتاب (شرح كتاب سيبويه) للسيرافى بتحقيق الدكتور شعبان صلاح ، والأستاذ عبد الرحمن عصر .
- وصدر عن سلسلة الذخائر الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية من كتاب (الخصائص) لابن جنى بأجزائه الثلاثة بتحقيق الأستاذ محمد على النجار
- وفى إطار مهرجان القراءة للجميع - بمصر - أصدرت مكتبة الأسرة هذا الشهر طبعة جديدة من كتاب (مقدمة ابن خلدون) بأجزائه الثلاث بتحقيق الدكتور على عبدالواحد وافى، وكتاب (الموافقات فى أصول الشريعة) لأبى إسحاق الشاطبى بأجزائه الأربعة بتحقيق الدكتور محمد عبد الله دراز ، والأستاذ أحمد السيد على .

شهر أكتوبر ٢٠٠٦م:

- أُعلن فى هذا الشهر أن قسم الترميم لمخطوطات مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج قد أعد تقريرًا علميًا عن مخطوطات المكتبة التى تبلغ أربعة آلاف مخطوطة يحتاج الكثير منها للترميم .
- وفى يوم الخميس ١٢ أكتوبر افتتح الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر موقع مكتبة الأزهر - فى شكله الجديد - على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)؛ وذلك بمنحة من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم قدرها ٥ ملايين دولار ، وقد تم حتى الآن حفظ وترميم ومسح ضوئى لـ ٢٨ ألف مخطوطة والتى تعادل ٣ ملايين ورقة، وموقع المكتبة هو : http: // www.alazharonline.org
- وفى يوم الأحد ١٥ أكتوبر أقام مركز دراسات التراث العلمى بجامعة القاهرة بالتعاون مع كلية العلوم بنفس الجامعة ندوة تحت عنوان (المنهج العلمى فى الإسلام ونظرة الغرب له)، حاضر فيها الدكتور أحمد فؤاد باشا .
- وفى يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر صدر مع جريدة القاهرة كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النفرى ، ضمن مشروع الكتاب للجميع الذى ترعاه دار المدى للثقافة والنشر .
- وفى يوم الأحد ٢٢ أكتوبر استضاف المنتدى الثقافى المصرى بالقاهرة الدكتور عبدالغفار هلال، الذى تحدث عن التصوف الإسلامى وأشعار المتصوفين .
- وصدر عن سلسلة الذخائر الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة كتاب

(الفهرست) لمحمد بن إسحاق النديم، قام بإعداد هذه الطبعة ـ عن طبعة المستشرق الألمانى فلوجل ـ الدكتور محمد عونى عبد الرءوف ، والدكتورة إيمان محمد السعيد .

● وصدر عن دار عويدات اللبنانية كتاب (كيف نُهب العراق ... حضارة وتاريخًا) لمؤلفه فيليب فلاندران ؛ والذى يوثق فيه لعمليات النهب والتهريب التى تعرضت لها الآثار والمخطوطات والتراث العراقى ضمن حالة الفوضى العارمة التى اجتاحت العراق منذ الاحتلال الأمريكى فى إبريل ٢٠٠٣م تحت سمع وبصر القوات الغازية .

● صدر هذا الشهر عن مركز تحقيق التراث الجزء التاسع عشر من كتاب (الخطط التوفيقية) لعلى باشا مبارك ، قام بإعداد هذا الجزء ـ عن طبعة بولاق ـ الدكتورة إلهام محمد خليل ، وحسام أحمد عبد الظاهر .

شهر نوفمبر ٢٠٠٦م:

● فى الفترة من ١ـ ٥ نوفمبر؛ أقامت الجمعية المصرية للنقد الأدبى بالتعاون مع جامعة عين شمس مؤتمرها الرابع تحت عنوان (البلاغة والدراسات البلاغية) ، والذى شارك فيه نخبة من العلماء والمتخصصين فى النقد الأدبى من مصر والبلاد العربية والأجنبية .

● وفى يومى الجمعة والسبت ٣ و ٤ نوفمبر؛ نظم المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد بالتعاون مع منظمة التربية والعلوم (الأونسكو) والمجلس الأوروبى المتوسطى مؤتمرًا عن حركة الاستشراق ، شارك فيه نخبة من الكتاب والأدباء وأساتذة الأدب والفلسفة بالجامعات المصرية .

● وفى يوم الأربعاء ٨ نوفمبر؛ افتتح الدكتور محمد صابر عرب رئيس مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، والدكتور مايكل ألبن رئيس مكتب مكتبة الكونجرس معمل المسح الضوئى للمخطوطات بدار الكتب؛ والذى قامت مكتبة الكونجرس بتزويده للدار على سبيل الاستعارة طويلة الأجل ، فى إطار اتفاقية التعاون المشترك بين دار الكتب ومكتبة الكونجرس .

والهدف من إنشاء هذا المعمل هو رقمنة بعض المخطوطات المهمة بدار الكتب ؛ وذلك للحفاظ عليها وإتاحتها لجمهور الباحثين فى مختلف دول العالم فى صورة رقمية.

وقد بُدئ العمل بهذا المعمل بالمسح الضوئى لستين مخطوطًا تدور كلها فى مجال العلوم التجريبية كالطب والفلك والرياضة والطبيعة والزراعة وغيرها ، ومن هذه

المخطوطات : (التوقيعات الفلكية على الشهور القبطية) للسبكى ، و(الرسالة الفتحية فى الأعمال الجيبية) لسبط المارديني ، و(زاد المسافر فى معرفة رسم فضل الداير) لابن رجب المجدى ، و(شفاء الأسقام فى وضع الساعات على الرخام) لابن أبى بكر الصوفى ، و(البرهان فى أسرار علم الميزان) لابن أيدمر الجلدكى ، و(البدر المنير فيما يتعلق بالشمس والقمر من التدبير) لجابر بن حيان ، و(إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب) لابن الهائم ، و (المقنع فى علم الجبر والمقابلة) لابن الهائم .

- وفى هذا الشهر قرر المجلس الأعلى للآثار فى مصر تسجيل ثلاثة وثلاثين مخطوطًا فى عداد الآثار الإسلامية ، وكانت هذه المجموعة قد ضُبطت فى حوزة مواطن سورى بمطار القاهرة أثناء دخوله للبلاد ، وقد قرر المجلس بقاء المخطوطات فى حيازة المواطن السورى باعتباره مالكها لكن بشرط بقائها داخل جمهورية مصر العربية ومنع خروجه بها ؛ وذلك طبقًا للمادة الأولى من قانون حماية الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣م . وكانت دار الكتب والوثائق القومية قد عقدت لجنة للبت فى مدى حاجتها لتلك المخطوطات، وأفادت بأنها أثرية وغير مملوكة لأحد وليست من مقتنيات دار الكتب. ومن الجدير بالذكر أن من مخطوطات هذه المجموعة مخطوط بعنوان (الكوكب الساطع فى نظم جامع الجوامع) فى التصوف بخط مغربى مؤرخ بسنة ٨٧٧هـ ، ومخطوط (جامع الأمهات) لابن الحاجب ويرجع لسنة ١١١٩هـ ، ومخطوط (كفاية الطالب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى) للغرابلى ويرجع لسنة ١٠٨١هـ .

- وخلال الفترة من ١٢ ـ ١٤ نوفمبر؛ شهدت معرة النعمان مسقط رأس أبى العلاء المعرى فاعليات المؤتمر السنوى عن أبى العلاء المعرى ، تحت رعاية وزارة الثقافة السورية، وقام بافتتاح المؤتمر محافظ إدلب نائبًا عن وزير الثقافة السورى. شارك فى هذا المؤتمر العديد من الباحثين منهم ـ من مصر ـ الدكاترة أحمد درويش، ومحمد الطويل ، و سعيد عبادة . أكد المؤتمر على ضرورة الاهتمام بالرموز الثقافية والتراثية لترسيخ جذور اللغة العربية فى عصر العولمة ، وأهمية الاعتناء بتراث أبى العلاء المعرى الشعرى والنثرى، وإعادة تحقيق مالم يُنشر من تراثه .

- وفى يومى الأربعاء والخميس ١٥ و١٦ نوفمبر؛ عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مؤتمرًا دوليًا بالقاهرة تحت عنوان (تراث القدس ... ذاكرة المكان والإنسان) شارك فيه الكثير من الباحثين العرب .

ومن الأبحاث المقدمة لهذا المؤتمر بحث الدكتور خضر إبراهيم سلامة عن المجموعات الخطية المقدسية ، وبحث الدكتور غسان بحيبش عن مخطوطات مؤسسة إحياء التراث ، وبحث الدكتور يوسف زيدان عن مخطوطات القدس وفهارسها ، وبحث نفائس المخطوطات الحديثية فى القدس للدكتور محمود مصرى ، وبحث الدكتور أيمن فؤاد سيد عن المخطوطات الموقوفة على مكتبات القدس فى العصر المملوكى ، وبحث الدكتور محمد فتحى عبد الهادى تحت عنوان (نحو قاعدة بيانات إلكترونية لمخطوطات القدس) .

كما قدم الدكتور عبد الحكيم الأنيس بحثًا تقويميًا لكتب الفضائل مُتخذًا كتاب تاريخ بيت المقدس المنسوب لابن الجوزى أنموذجًا فى هذا الصدد؛ أما الدكتور نوفان رجا السوارية فقد قدم بحثًا حول القدس فى تراث شمس الدين الخليلى ، وقدم الدكتور محمد الحزماوى بحثه عن مخطوط (سوانح الأنس برحلتى لوادى القدس) للدمياطى .

وعن جهود المؤسسات العلمية والثقافية فى خدمة تراث القدس؛ تحدث الدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع ، والأستاذ عادل صلاحى ؛ وذلك بتناول جهود المؤسسات السعودية ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى بلندن .

وعُقد على هامش المؤتمر مائدتين مستديرتين : الأولى منهما دارت حول شهادات بعض الأساتذة عن تراث القدس ، والثانية دارت حول الآفاق المستقبلية لتراث القدس .

- وفى نفس اليومين ١٥ و١٦ نوفمبر؛ انعقد مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب الرابع عشر بعنوان (تاريخ الوطن العربى عبر العصور - التاريخ الاقتصادى) وقد عُرضت به مجموعة من الأبحاث من بينها : بحث الدكتور عبد الحكيم عبد الحق عن جهود العلماء فى تنمية الحياة الاقتصادية فى العصر العباسى الأول ، وبحث الصناعات والحرف فى العهد النبوى للدكتور ياسر أحمد نور ، وبحث الدكتور سعيد مغاورى عن القمح فى نصوص برديات القرون الأولى للهجرة ، وبحث عن بعض مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك للدكتورة حياة ناصر الحجى .

- صدر هذا الشهر عن مركز تحقيق التراث الجزء الرابع من كتاب (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران) للبقاعى ، بتحقيق إحدى لجان التاريخ بالمركز - وفقًا للمنهج الذى اختطه أستاذنا الدكتور حسن حبشى - رحمه الله - لنشر الكتاب - وتتكون اللجنة من الأساتذة : نجوى مصطفى كامل ، وأحمد عبد الستار ، وإكرامى محمد أبو العلا ، وقام بمراجعة الأشعار الأستاذ أحمد عبد الباسط .

شهر ديسمبر ٢٠٠٦م:

● خلال الفترة من ٢-٤ ديسمبر؛ نظم المجلس الأعلى للثقافة بمصر مؤتمرًا دوليًا عن العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، وقد استهدف المؤتمر دراسة الجوانب المختلفة لفكر ابن خلدون وتأثير فكره على المجتمع العربى الإسلامى . وقد قُدمت للمؤتمر العديد من الأوراق البحثية منها : بحث الدكتور الطيب تيزينى وعنوانه (ابن خلدون فى ذكرى مئويته السادسة) ، وبحث الدكتورة ماريا خسيوس عن وجهات نظر ابن خلدون فى الأندلس بين الشرق والغرب ، وعن ابن خلدون فى دراسات المستعربين الروس تحدث الدكتور فصيح بدرخان .

أما الدكتور رضوان السيد فقد تناول بحثه مصادر الفكر السياسى الخلدونى ، وقدم الدكتور سيف عبد الفتاح بحثًا عنوانه (بناء المقاييس والتراث السياسى الإسلامى - قياس الفساد نموذجًا لدى ابن خلدون) ، وتناول الدكتور فرخيليو مارتينيث موضوع (العلم والسلطة والمدارس فى زمن ابن خلدون) ، وعن الأصول الاجتماعية للتربية عند ابن خلدون تحدث الدكتور سعيد إسماعيل على .

وقدم الدكتور محمد حافظ دياب بحثًا عن طه حسين ومقدمة ابن خلدون ، وعن مقدمة ابن خلدون بين الأصالة والاقتباس تحدث الدكتور رجب عبد المنصف .

وعن مصادر ابن خلدون فى المقدمة والتاريخ تحدث الدكتور أيمن فؤاد سيد ، أما فقه التاريخ لدى ابن خلدون فكان موضوعًا لبحث الدكتور محمد سعيد عز الدين ، وبحث الدكتور نور كيرباييف الذى جعل عنوانه (فلسفة ابن خلدون التاريخية) ، وقدم الدكتور محمد حمدى إبراهيم دراسة مقارنة بين منهج ابن خلدون ومنهج المؤرخ اليونانى ثوكيديديس .

ومن الجدير بالذكر أن احتفال مصر بالمئوية السادسة لابن خلدون يأتى فى ختام عام من احتفالات العالم به ، والمعروف أن ابن خلدون استقر به المقام فى مصر وتولى العديد من الوظائف بها ثم مات ودفن فيها .

● صدر هذا الشهر عن مركز تحقيق التراث الجزء العاشر من كتاب (شرح كتاب سيبويه) للسيرافى بتحقيق الدكتور صلاح رواى، والدكتورة مها مظلوم خضر. والجزء الثانى عشر من كتاب (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) لأبى المحاسن ابن تغرى بردى بتحقيق الدكتور محمد محمد أمين . والجزآن الأول والثانى بأقسامهما من الطبعة الثالثة لكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى بتحقيق الدكتور

محمد مصطفى زيادة . والجزآن الخامس عشر والسادس عشر من الطبعة الجديدة لكتاب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) لأبى المحاسن ابن تغرى بردى بتحقيق الدكتور إبراهيم طرخان ، والدكتور جمال الدين الشيال ، والأستاذ فهيم شلتوت .

- أصدر المجلس الأعلى للثقافة بمصر طبعة جديدة من كتاب (مؤلفات عبد الرحمن بن خلدون) للدكتور عبد الرحمن بدوى .
- وفى هذا الشهر احتفلت المكتبة الوطنية التونسية بالمئوية السادسة لوفاة ابن خلدون؛ فاحتضنت المكتبة معرضين عنه الأول رعته إسبانيا وتم تخصيصه عن ابن خلدون فى عصره ـ القرن التاسع الهجرى / الرابع عشر الميلادى ـ والمعرض الآخر بكل ما كُتب عن ابن خلدون فى العالم بالإضافة إلى كتبه المطبوعة . وأصدرت المكتبة قرصين ممغنطين عن ابن خلدون جمعت فى أولهما المقالات التى صدرت عن ابن خلدون فى الدوريات العالمية ، وفى ثانيهما ترجمة لحياة ابن خلدون وببليوجرافية تشتمل على ما كتبه ابن خلدون وما كُتب عنه .
- أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن إصدارات سلسلة (المختصرات التراثية) كتاب (مختصر كتاب نهاية الأرب) للنويرى، قام بإعداده الدكتور مرزوق إبراهيم .
- أصدر المركز المصرى لتوثيق التراث الحضارى التابع لمكتبة الإسكندرية قرصًا مُدمجًا عن الإنجازات العلمية للحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى ، شارك فى إصدار القرص دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ومنظمة اليونيسكو ، وهذا القرص المُدمج يضم سبعة مخطوطات من مقتنيات دار الكتب والوثائق القومية .

فى الطريق إليك
من إصدارات مركز تحقيق التراث

- التبر المسبوك فى ذيل السلوك ـ الجزء الرابع :

المؤلف: السخاوى .

تحقيق: أ/ نجوى مصطفى كامل ، د / لبيبة إبراهيم مصطفى.

- تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر - الجزء الثانى :

المؤلف: كمال الدين الفارسى

تحقيق : أ/ مصطفى حجازى ، ود/ أحمد فؤاد باشا .

- ربيع الأبرار وفصوص الأخبار - الجزء الرابع :

المؤلف: الزمخشرى .

تحقيق: د/ عبد المجيد دياب .

- الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية :

المؤلف : صفى الدين الأرموى .

تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة .

- رسالة فى الهيئة :

المؤلف: ابن سينا .

تحقيق: د/ مها مظلوم خضر .

مراجعة وتقديم: د./ أحمد فؤاد باشا .

- السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزآن الثالث والرابع : [إعادة طبع]

المؤلف : المقريزى .

تحقيق : د./ سعيد عبد الفتاح عاشور .

- شرح كتاب سيبويه - الجزآن الثامن و الثالث عشر:

المؤلف: السيرافى .

الجزء الثامن : تحقيق : أ/ أشرف محمد فريد ، أ/ مصطفى عبد السميع .

الجزء الثالث عشر : تحقيق : د/ محمد عبد الله جبر .

- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبى) - الجزء الثالث:

المؤلف: بدر الدين العينى .

تحقيق: د/ محمود رزق محمود .

● مدارج السالكين ـ الجزء الخامس :

المؤلف: ابن قيم الجوزية .

تحقيق: د/ عبدالحميد مدكور .

● نهاية الأرب فى فنون الأدب ـ ٣٢ مجلدًا : [إعادة طبع]

المؤلف : النويرى .

تحقيق : نخبة من المحققين .

خطة العمل بمركز تحقيق التراث

خلال الشهور القادمة

جار العمل فى تحقيق الكتب الآتية :

● بغية الفلاحين ، للجفنى .

● جواهر القرآن ودرره ، لأبى حامد الغزالى .

● درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، لابن حبيب .

● السموم ودفع مضارها ، لجابر بن حيان .

● شرح كتاب سيبويه ، للسيرافى جـ ١٧ ،١٩ ، ٢٠ .

● عقد الجمان ، للعينى (العصر الأيوبى) جـ ٤ .

● عقد الجمان ، للعينى (العصر المملوكى) جـ ٥ .

● مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية جـ ٦ .

● مزيل الاشتباه فى أسماء الصحابة والتابعين ، لعبد الكريم بن ولى الدين .